

روائع الأدب العالمي للناشئين

مغامرات هكسبري فين مارك توين



مغامرات مکبری فین

**مغامرات
هكلبری فین
مارک توین**

**ترجمة
مختار السويفی**





مهرجان القراءة للجميع ٩٧
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة سوزان مبارك
(الأب العالمى للناشئين)

الجهات المشتركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة الإدارة المحلية
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب

مغامرات هكبرى فين
مارك توين
ت: مختار السويفى
لوحة الغلاف:
للغنان: جمال قطب
تصميم الغلاف
الإشراف الفنى:
للغنان محمود الهندى
المشرف العام
د. سمير سرحان



مقدمة

وهكذا تمضى مسيرة مكتبة الأسرة لتقدم فى عامها الرابع تسع سلاسل جديدة تضم روائع الفكر والإبداع من عيون كتب الآداب والفنون والفكر فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية، تروى تعطش الجماهير للثقافة الجادة والرفيعة، وتلضم إلى مجموعة العناوين التى صدرت خلال الأعوام الثلاث الماضية لتغطى مساحة عريضة من بحور المعرفة الإنسانية، ولتقطع بأن مصر غنية بتراثها الأدبى والفكرى والإبداعى والعلمى، وإن مصر على مر التاريخ هى بلاد الحكمة والمعرفة والفن والحضارة .. عبقرية فى المكان وعبقرية الإبداع فى كل زمان.

سوزان مبارك

على سبيل التقديم...

مكتبة الأسرة ٩٧ رسالة إلى شباب مصر الواعد تقدم
صفحات متألفة من متعة الإبداع ونور المعرفة مصدر
القوة في عالم اليوم..
صفحات تكشف عن ماضينا العريق وحاضرنا
الواد وتستشرف مستقبلنا المشرق.

د. سمير سرحان

المؤلف

ولد « مارك توين » فى ولاية ميسورى سنة ١٨٣٥ م ٠٠ وعاش حياة بائسة فى فترة الطفولة ، فلم ينل الا حظا متواضعا من التعليم ٠٠

وعندما كان فى الثالثة عشرة من عمره ، اشتغل كعامل طباعة ٠٠ ثم ساعد أخاه الأكبر فى اصدار احدى الجرائد المحلية الصغيرة التى كان يكتب فيها بعض القصص القصيرة بين حين وآخر ٠٠

وفى سن العشرين هجر الطباعة واشتغل ملاحا على البواخر النهرية العاملة جيئة وذهابا فى نهر المسيسيبى ٠٠ وقد قال مارك توين فيما بعد : أن معظم

الشخصيات التي وصفها في قصصه ورواياته ، كانت
شخصيات حقيقية صادفها أثناء عمله في بواخر
المسيحي .

وفي سنة ١٨٦٢ ، بدأ مارك توين عمله في
الصحافة . وأخذ يكتب بانتظام في بعض الجرائد
والمجلات . وبعد نحو خمس سنوات ، أصدر أول
مجموعاته القصصية . ثم أصدر بعد ذلك مجموعة من
الكتب ، تناول فيها وصف انطباعاته والأحداث التي
صادفها والشخصيات التي قابلها أثناء سفرياته
ورحلاته .

ومن أهم الكتب والمؤلفات التي أصدرها ، رواية
« مغامرات توم سوير » سنة ١٨٧٦ م و « الأمير
والفقير » سنة ١٨٨٠ م و « مغامرات هكلبرى فين »
سنة ١٨٨٤ م .

ويقول معظم نقاد الأدب ، ان رواية « مغامرات
هكلبرى فين » تعتبر درة فريدة بين جميع الأعمال

الأدبية التي كتبها مارك توين ، كما تعتبر علامة بارزة فى الأدب الأمريكى الكلاسيكى بصفة عامة .

غير أن متعة القارئ ستزداد حتما ، اذا كان قد قرأ أيضا رواية « مغامرات توم سوير » قبل أو بعد هذه الرواية .. ففى كل من هاتين الروايتين سيعيش القارئ فى رحاب المغامرات الطريفة التى قام بها هذان الصديقان .. سواء فى ذلك المغامرات التى قاما بها معا واشتركا فيها سويا ، أو المغامرات التى قام بها كل منهما على حدة ..

واسم « مارك توين » هو الاسم المستعار لهذا الأديب الأمريكى الشهير .. أما اسمه الحقيقى فهو : صمويل لانجهورن كليمنس .. ولكن قراء الأدب وعشاق الاطلاع على الأعمال الأدبية ، يعرفونه باسم الشهرة الذى عرف به وذاع به صيته فى مختلف أنحاء العالم ..

وقد مات مارك توين فى سنة ١٩١٠ م .

ومن يريد الاستزادة من المعلومات المتعلقة بحياة
هذا الأديب الكبير .. فنرجوه الرجوع الى المقدمة
الخاصة برواية « مغامرات توم سوير » المنشورة ضمن
هذه السلسلة ..

« المترجم »

الفصل الأول

عصابة توم سوير

لن تعرفنى جيدا الا اذا كنت قد قرأت « مغامرات توم سوير » ٠٠ وعلى أية حال فان هذا لا يسم ٠٠ !

اريد أن تعرف فقط أن كتاب « مغامرات توم سوير » قد انتهى على النحو التالى :

لقد عثرنا -- أنا وتوم -- على كنز من النقود كان للصوص قد خبأوه فى الكهف ٠٠ وكان نصيب كل منا ستة آلاف من الدولارات الذهبية ٠٠ وقد تولى القاضى تاتشر استثمار هذه النقود لصالحنا ٠٠ وكان كل منا

يحصل على دولار واحد - كفايدة يومية - على مدار السنة .

وكانت الأرملة مسر دوجلاس قد تبنتني واعتبرتني ابنا لها ، وأعلنت أنها أصبحت مسئولة عن تربيتي وتهذيبى .

ولكن الحياة فى بيت محترم طول الوقت كانت صعبة بالنسبة لى . . خصوصا اذا وضعنا فى الاعتبار النظام الدقيق الصارم الذى كانت تفرضه الأرملة كأسلوب للحياة . . لهذا فلم أطق استمرار الإقامة فى هذا البيت وقررت الفرار . .

وقد اتصل بى توم سوير واخبرنى أنه ينوى تكوين عصابة من اللصوص . . وانه لن يشركنى فى عصابته تلك الا اذا عدت للحياة فى بيت الأرملة مرة أخرى . . وعلى هذا فقد قررت العودة . .

وكانت الأرملة تأسف على حالى . وتدعونى دائما بالحمل الضال المسكين . . وألبستنى مرة أخرى

ثيابا جديدة نظيفة .. وأنا لا أحب مثل هذه الثياب
لأنها تجعلني أتصبب عرقا ولا أشعر فيها بالراحة ..

وهكذا عدت مرة أخرى الى الالتزام بالنظام
المقرر فى هذا البيت .. فاذا دقت الأرملة جرس
الدعوة الى تناول الطعام ، فان عليك أن تكون جالسا
الى المائدة فى الوقت المحدد تماما .. واذا جلست الى
مائدة الطعام فلا يمكنك أن تبدأ فى تناوله .. وعليك
أن تنتظر قليلا حتى تميل الأرملة رأسها وتقول بعض
شكاواها عن الطعام ، حتى ولو لم يكن هناك أى سبب
للشكوى ..

وقد جاءت أختها مسز واطسون لتعيش معنا
فى البيت .. وهى عذراء عجوز تلبس نظارة طبية ..
وكانت تجبرنى هى الأخرى على العمل الشاق فى حفظ
الكلمات المكتوبة فى كتاب الهجاء لمدة تقرب من ساعة
كل يوم ..

لقد مللت كثرة التنبيهات والتوجيهات التى
كانت تقولها مسز واطسون بصفة مستمرة : هكلبرى

.. لاتضح قدمك على هذا الشيء .. هكلبرى ..
.. لاتحنى على هذا النحو وقف معتدلا .. هكلبرى ..
.. لاتتأب وتفتح فمك عن آخره على مثل هذا النحو ..
لماذا لاتحاول أن تصبح مهذبا .. ؟!

وفى المساء كانت الأرملة تستدعى الخدم
الذين يعملون فى بيتها ، حيث يؤدى الجميع صلواتهم
قبل أن يتوجهوا الى النوم ..

صعدت الى غرفة نومى .. ولم تكن لدى أية رغبة
فى النوم .. فجلست بجوار النافذة .. وشعرت
بالوحدة .. وسمعت صيحة أطلقها طائر الليل كعلامة
على أن شخصا ما قد مات .. كما سمعت نباح كلب
يأتى من بعيد كعلامة على أن شخصا آخر على وشك الموت
.. وهكذا أحسست بالبوأس والخوف ، وتمنيت لو
أن لى شريكا أو صديقا يواسينى فى أحزاني .. !

وبعد فترة طويلة .. سمعت دقات ساعة المدينة :
يوم .. يوم .. يوم .. اثنى عشرة دقة .. وبعد
اتهاء الدقات عاد السكون ثقيلآ أكثر من ذى قبل ..

وفجأة .. سمعت فرع شجرة ينكسر .. ورأيت
بين الأشجار شيئا يتحرك في الظلام الدامس .. ثم
سمعت مواء قطعة .. وهذا شيء عظيم ، فمواء القطعة
هو النداء السرى بينى وبين توم .. وعلى الفور رددت
مواءه بمواء من عندى .. وأطفأت نور الحجرة ، وقفزت
من النافذة على السطح المنحدر ، ومنه قفزت الى الأرض
.. وانا على يقين بأن توم سوير ينتظرنى ! ..

وعلى الفور أخذنا طريقنا هابطين الى سفح
التل .. [لأن البيت الذى أعيش فيه يقع بأعلى
التل] .. وهناك قابلنا جو هاربر و بن روجرز
وولدين أو ثلاثة أولاد آخرين .. وذهبنا جميعا نحو
شاطئ النهر ..

وقمنا بفك رباط أحد القوارب .. وركبناه
وأخذنا نجدف فى النهر لمسافة ميلين ونصف ميل
الى أن وصلنا الى نقطة معينة على جانب التل ، وهناك
رسونا ..

وتسللنا خلال بعض الاعشاب والشجيرات ..

وأرشدنا توم الى فتحة صغيرة فى جانب التل .. وقمنا
بإشعال شموعنا وبدأنا نزحف الى داخل تلك الفتحة ،
حيث وجدنا أنفسنا فى مكان يشبه الغرفة ، ولكنه
كان رطباً بارداً .. وهناك توقفنا ..

وقال توم :

- والآن .. سيبدأ عمل عصاة اللصوص التى
كوناها .. وعلى كل من يريد أن ينضم الى تلك
العصاة أن يقسم على أنه س يلتزم بنظام العصاة
وقواعدها .. وأن يكتب اسمه ويوقع امضاءه
بالدم !

وأخرج توم من جيبه ورقة كان قد كتب فيها
قواعد ونظام العصاة وأخذ يقرأها .. ثم أقسم كل
واحد منا بأنه سيخلص للعصاة ولن يبسوح أبداً
بأسرارها .. وأنه اذا تعرض أى فرد من أفراد العصاة
للأذى من أى شخص آخر ، فان على أى فرد من أفراد
العصاة أن يقوم بقتل هذا الشخص وقتل عائلته
أيضاً ! ..

وقد أعجب كل فرد بهذا القسم ، واعتبروه
شيئا بديعا .. وتساءل بن وجرجز :
- والآن .. ما هو العمل الرئيسى لهذه
العصابة .. ؟!

فقال توم بلا تردد :

- سنقوم بقطع الطريق على العربات المسافرة
ونحن نرتدى أقنعة تغطى وجوهنا .. ونقوم بقتل
الناس والاستيلاء على ساعاتهم وأموالهم .. كما نقوم
بخطف بعض الناس والاحتفاظ بهم كرهائن فى هذا
الكهف الى أن نحصل على الفدية .. !

- فدية .. ما معنى فدية .. ؟!

- لا أدري بالضبط .. ولكن هذا ما تفعله بعض
العصابات الأخرى .. وقد قرأت عن ذلك فى الكتب ..
وعلى أية حال فهذا واجبنا وعلينا أن نفعله ..
- ولكن كيف نفعله .. كيف نفعل شيئا لا نعرف
معناه ..

- ما هذا ٠٠ ان علينا أن نفعله معناها أن علينا
أن نفعله ٠٠ هل تريد أن تخالف ما جاء في الكتب ٠٠
وتفسد علينا كل شيء ٠٠ ١٩

- ولكن يا قوم سویر ٠٠ كيف سيفتدى هؤلاء
الناس ٠٠ مادمننا لا نعرف ماذا سنصنع بهم ٠٠
وما رأيك أنت في تلك المشكلة ٠٠ ١٩

- لا أعرف ٠٠ ولكن ربما أن الاحتفاظ بهم
كرهائن حتى يفتدوا ، معناه أن نحفظ بهم حتى
يموتوا ٠٠ ١

- ان هذا سيؤدي الى متاعب ومشاكل كثيرة
٠٠ اذ يجب أن نقدم اليهم الطعام ٠٠ كما أنهم
سيبذلون محاولات كثيرة للهرب منا ٠٠

- ما هذا الفئ تقوله يا بن روجرز ٠٠ كيف
يهربون منا ونحن نقيم عليهم حراسة مشددة ٠٠ ان
علينا أن نطلق عليهم النار اذا تحرك أى واحد منهم
ولو قيد أنملة ٠٠ ١

- حراسة ١٩ ٠٠ معنى ذلك أننا سنبقى في

حرامستهم طول الليل دون أن ننام .. وأعتقد أن هذا
تصرف غبي .. لماذا لا يقوم واحد منا باحضار عصا
غليظة و .. يفتدى ، هؤلاء الناس بمجرد وصولهم الى
هذا الكهف .. ١٩

- لا نستطيع أن نفعل ذلك لأنه غير مذكور
بالكتب .. هذا هو السبب !

- موافق .. ولكن لدى سؤال آخر : هل
سنقوم بقتل النساء أيضا .. ١٩

- بن وجرز .. لو كنت غبيا مثلك لاكتفيت
بغلق فمي حتى لا أتكلم .. هل سنقوم بقتل النساء
.. هه .. ان هذا لم يرد بالكتب .. انك ستقوم
باحضار النساء الى هذا الكهف .. عليك أن تتصرف
معهن بمنتهى الأدب واللطف .. وبعد فترة ستقع
النساء في حبك .. ولن تقبل أية واحدة منهن أن
تعود الى بيتها مرة أخرى !

- معنى ذلك أن الكهف سيصبح مزدحما
بالنساء .. وبالرهائن الذين سنحتفظ بهم حتى

يفتقدوا .. ولن يكون هناك مكان لنا نحن اللصوص
أفراد العصابة .. وعلى أية حال استمر .. فلم يعد
لدى شيء أقوله .. !

وهكذا انتخبنا توم سوير رئيسا للعصابة ..
وانتخبنا جو هاربر نائبا للرئيس .. وعدنا بعد
ذلك الى بيوتنا .. فتسلقت السطح المائل حتى وصلت
الى نافذة غرفة نومى ، قبل أن يطلع ضوء النهار .
وكانت ملابسى الجديدة ملوثة بشحم الشموع وبالأوحال
.. وكنت مرهقا للغاية . !

وفى الصباح نلت بعض التوبيخ من مسز
واطسون بسبب قذارة ملابسى .. أما الأرملة مسز
دوجلاس فلم توبخنى ، وانما قامت بتنظيف ملابسى
مما علق بها من شحم وأوحال ونظرت الى نظرة ملوها
الأسف والحزن . لدرجة أنى فكرت أن أتصرف تصرفا
مهذبا ، ولو للحظة بسيطة ، ان كنت قادرا على
ذلك ..

أما بالنسبة لآبى .. فقد مر أكثر من عام دون

أن أراه .. وكنت مسرورا لذلك ، لأنه كان يضربنى
ريوذيبنى دائما .. وفى خلال تلك الفترة سمعت أنه
قد غرق فى النهر ، اذ عشر الناس على رجل غريق على
بعد نحو اثنى عشر ميلا من المدينة ، واعتقد الناس
أن هذا الغريق كان أبى .. لأن حجم جسمه كان مماثلا
لحجم جسم أبى ، كما كان يرتدى مثله ملابس رثة
مزقة ، وله شعر طويل مماثل لشعر أبى ..

وقد واصلنا لعبة اللصوص لمدة شهر .. ثم
استقال جميع الأولاد من العصابة .. لم نسرق شيئا
.. ولا قتلنا أحدا .. وانما كنا نتظاهر بفعل ذلك
فقط .. كنا نتظاهر بالهجوم على رعاة الخنازير وعلى
النساء اللواتى يحملن الحضراوات على عربات صغيرة
يتوجهن بها نحو السوق .

وقد أطلق قوم سوير على الخنازير اسم «سبائك
الذهب» وعلى الحضراوات اسم «المجوهرات» ! ..
وكنا نعود الى الكهف لفتحيل احصاء ما استولينا
عليه من الذهب والمجوهرات .. ونحصى أيضا عدد
ما قتلناه من الناس .. !

وفى مرة أرسل توم أحد أفراد العصابة ليتجول
فى الشوارع وهو يحمل احدى المشاعل المشتعلة ..
[وهذه الاشارة معناها أن على جميع أفراد العصابة
أن يتجمعوا فوراً] .

وعندما اجتمعنا ، أخبرنا توم بأن لديه معلومات
سرية عن فرقة كاملة من التجار الأسبان وأثرياء
العرب ستتوجه فى اليوم التالى لتعسكر فى « كهف
هولو » .. ومعها مائتان من الأفيال وستمائة حصان
وأكثر من ألف حمار .. وكل هذه الحيوانات محملة
بالماس .. ومع هذه الفرقة حراسة لا تزيد عن
اربعمائة جندي .. ولذلك فعلينا أن نترصد فى انتظار
هذه الفرقة ونهجم عليهم فى الوقت المناسب ، ونقتل
بعضاً منهم ، ثم نستولى على الماس .. !

وأخبرنا توم فى نهاية الاجتماع أن علينا جميعاً
أن ننظف بنادقنا وسيوفنا وأن نبقى مستعدين يقظين
للحظة الحاسمة .. وكانت مهمة تنظيف الأسلحة
مهمة شاقة لأن بنادقنا وسيوفنا كانت كلها مصنوعة

من الخشب ، ولا يؤدي تنظيفها الى أى تحسين
يذكر ٠٠ !

لم أصدق أننا سنستطيع أن نهزم كل هؤلاء.
الاسبان والعرب ٠٠ ولكنى كنت أريد أن أرى الخيل
والأفيال ٠٠ ولذلك فقد تجمعت مع أفراد العصاة
فى اليوم التالى ٠٠ وتربصنا فى مخبأ على أحد جوانب
التل ٠٠

وعندما تلقينا اشارة البدء خرجنا مندفعين من
بين الأشجار وبدأنا الهجوم ٠٠ لم يكن هناك أسبان
ولا عرب ولا خيول ولا أفيال ٠٠ بل كانت هناك رحلة
مدرسية تتكون من مجموعة من الأطفال ٠٠ فحاصرناهم
واستولينا منهم على بعض قطع الكعك ٠٠ ولكن عندما
ظهر المدرس المشرف على الرحلة ألقينا الكعك ولذنا
بانفرار ٠٠ !

وعندما أخبرت توم سوير بأننى لم أر أية قطعة
من الماس ٠٠ اندهش وأخبرنى بأنه كانت هناك أحمال
ثقيلة من الماس ٠٠ وكثير من العرب والاسبان ٠٠ !

وسألكه لماذا لم نستطيع أن نرى هذه الأشياء
التي رأها ٠٠ فقال لي أنني إذا قرأت كتابا يسمى
« دون كيشوت » فأنى سأعرف السر فى ذلك وأصبح
فى غنى عن السؤال ٠٠

وأخبرنى توم أن كل ذلك كان نتيجة لفعل
السحر ٠٠ وأفهمنى بأن لنا أعداء يسمون السحرة ٠٠
وأنهم قاموا بتحويل كل قافلة العرب والأسبان الى
مجرد أطفال يقومون برحلة مدرسية ، وذلك لمضايقتنا
وازعاجنا ٠٠ وهما قلت له ان من الواجب علينا اذن أن
نهجم على هؤلاء السحرة ٠٠

فقال توم على الفور :

— ان هذا يدل على العبط ٠٠ هل تعرف
لماذا ٠٠ لأن هؤلاء السحرة يستطيعون استحضار بعض
الشياطين الذين سيمزقونك اربا قبل أن تنطق بكلمة
٠٠ شياطين ضخمة طويلة مثل الأشجار وعريضة
مثل بناية الكنيسة ٠٠

فقلت بلا تردد :

– اذن علينا أن نقوم نحن أيضا باستحضار بعض الشياطين لمساعدتنا ٠٠ وبذلك نتمكن من الهجوم على القافلة ٠٠ !

– ولكن كيف سنقوم باستحضار الشياطين ٠٠ ؟
– لا أدري ٠٠ ولكن كيف يتمكن الآخرون من استحضارهم ٠٠ ؟

– آه ٠٠ انهم يحكون مصباحا قديما أو خاتما مصنوعا من الحديد ٠٠ وفي لمح البصر ، تحضر الشياطين مندفعة وسط البرق والرعد وسحب الدخان ٠٠ وهؤلاء الشياطين مسخرون لخدمة أى شخص يحك المصباح أو الخاتم ٠٠ وإذا طلبت منهم أن يبنوا لك قلعة طولها أربعين ميلا ، ويملاونها لك بالحلويات أو بما تشتهييه نفسك ٠٠ أو طلبت منهم أن يحضروا اليك ابنة ملك الصين لتتزوجها ٠٠ فان هؤلاء الشياطين سيحققون طلبك قبل أن تشرق الشمس فى صباح اليوم التالى ٠٠

وصممت على أن أقوم بهذه التجربة ٠٠ وكان
لدى مصباح قديم مصنوع من الصفيح ، وخاتم مصنوع
من الحديد ، وأخذت أحكما بكل ما أوتيت من قوة
حتى تعبت وتصيب منى العرق ٠٠ فقد كنت بالفعل
أريد أن تبني لى الشياطين قلعة كبيرة لكى أبيعها ٠٠
وقد باءت جهودى بالفشل ، ولم يحضر ولا شيطان
واحد ٠٠

وهكذا اقتنعت أخيرا بأن نوم سوير كان يتخيل
كل هذا الموضوع برمته ٠٠

الفصل الثانى

هك يعيش مع أبيه

ومر نحو ثلاثة أو أربعة شهور ٠٠ وحل فصل الشتاء ٠٠ وقد انتظمت فى المدرسة معظم الوقت ، وأصبحت أستطيع أن أتهدى بعض الكلمات ، وبدأت أقرأ وأكتب ٠٠

فى البداية كنت أكره الذهاب الى المدرسة ٠٠ ولكن بمرور الوقت اعتدت على ذلك ٠٠ كما اعتدت أيضا على تحمل النظام وتقاليده وعادات الأرملة مسز دوجلاس التى أكدت لى بأنى اتحسن بطريقة مرضية

.. وأنها أصبحت راضية عني .. ولم أعد أتسبب في
حدوث أية مشاكل ..

وفي صباح أحد الأيام .. وبينما كنت أتناول
أفطاري .. مددت يدي بسرعة الى الملاحه الموضوعه
على المائدة ، وأخذت بعض الملح ، ورميته خلف كتفي
الأيسر كطريقة لإبعاد سوء الحظ .. وعندما لمحتني
مسز واطسون صاحت قائلة :

— ابعدي يدك يا هكلبرى .. يالك من ولد
جبان .. !

وعندما خرجت من البيت في ذلك الصباح كنت
مكفهرًا وأشعر بالغضب .. لقد اسرعت الى حديقه
البيت وتسلمت سورها وقفزت الى الشارع .. وكانت
الأرض مغطاة بالثلج .. ولاحظت وجود آثار لأقدام
مطبوعة على صفحه الجليد فأخذت أتأملها .. ولاحظت
أن الكعب الأيسر للحذاء الذي كانت تلبسه هذه
الأقدام التي تركت آثارها على صفحه الجليد ، كان

على شكل صليب ، وكانت تلك طريقة متبعة لطرد
الشياطين ..

وهبطت من أعلى النسل الى سفحه ، وتوجهت
فورا الى بيت القاضى تاتشر الذى قال لى بمجرد أن
رأنى :

- مالى أراك تلمث يابنى وأنفاسك متقطعة ..
هل جئت لتحصل على فوائد أسواك .. ؟

فاجبت بسرعة :

- لا يا سيدى .. لقد جئت لأعطيك كل هذه
الأموال .. كل الآلاف الستة من الدولارات الذهبية
.. أرجوك أن تأخذها جميعا دون أن تسألنى عن شيء
.. حتى لا أضطر الى قول الأكاذيب .. !!

نفهم القاضى تاتشر هذا الموضوع .. فقام
وأحضر ورقة وكتب عليها بمض الكلمات ..

وقدما لي وهو يقول :

- وقع بامضائك هنا .. فهذه الورقة تثبت انى
اشتريت ثروتك منك .. وأنتك قبضت ثمنها .. !
ووقعت على الورقة .. وغادرت البيت بسرعة ..
وفى تلك الليلة .. عندما صعدت الى غرفة
نومى .. وبمجرد أن أغلقت الباب واستدردت متوجها
الى السرير .. فوجئت بأبى جالسا على مقعد بالغرفة ..
ومع ذلك لم أخف منه ..

لقد كان فى حوالى الخمسين من عمره .. وله
شعر دهنى طويل لا يسرحه بمشط .. ويتدلى حول
رأسه ووجهه ، ومع ذلك فإن فى استطاعتك أن تلاحظ
بسهولة بريق عينيه ينفذ بين خصلات الشعر الاسود
.. وكانت له سسوالف كثيفة تغطى خديه ..
ولا تستطيع أن تتبين اللون الحقيقى لوجهه .. أما عن
ملابسه فهى عبارة عن أسمال بالية ..

وعندما لاحظت أن نافذة الغرفة كانت مفتوحة ،

فهمت على الفور أنه تسلل الى الغرفة من خلالها ،
بعد أن تسلق السطح المنحدر ٠٠ وطل أبى ينظر الى
صامتا الى أن قال فى النهاية :

- هاه ٠٠ أراك ترتدى ملابس عظيمة ٠٠
ولعلك تظن أنك أصبحت شخصا هاما ٠٠ اليس
كذلك ٠٠ اذن ٠٠ دعنى أسمعك وأنت تقرأ
القراءة والكتابة ٠٠ ولعلك تظن أنك أصبحت أحسن
وأفضل من أبيك الذى لا يقرأ ولا يكتب ٠٠ اليس
كذلك ٠٠ اذن ٠٠ دعنى أسمعك وانت تقرأ
شيئا ٠٠ !

وأخذت أحد الكتب ٠٠ وبدأت أقرأ شيئا عن
جورج واشنطن والحرب ٠٠ وبعد أن قرأت لمدة دقيقة،
ضرب أبى الكتاب وألقاه على الأرض ٠٠ وقال
بغضب :

- لقد أصبحت تستطيع القراءة فعلا ٠٠
اسمعنى الآن جيدا ٠٠ اذا شاهدتك مرة فى تلك
المدرسة ، فسوف اسلخ جلدك ٠٠ فاهم ٠٠ ؟

وأخذ يتمم ويفهم بكلمات لم أسمعها جيدا ..
ثم قال في حقد ظاهر وواضح :

- لقد أصبحت مدلا يفوح منك العطر ..
لديك سرير .. وملابس للنوم .. ونظارة .. وأرض
غرفتك مفروشة بالسجاد .. بينما أبوك ينام في
الشارع بلا مأوى .. لقد أخبروني بأنك أصبحت غنيا
لديك أموال طائلة .. لقد جئت الى المدينة منذ يومين
.. وطول الوقت وأنا أسمع الناس يتحدثون عن
ثروتك .. لقد وصلت سيرتك الى مناطق كثيرة على
طول شواطئ النهر .. ولهذا جئت اليك .. لأخذ
جميع أموالك .. وعليك بتسليمها الى غدا فأنا
أريدها .. !!

فقلت له بهدوء :

- لم يعد لدى أى مال .. ويمكنك أن تتأكده من
ذلك اذا سألت القاضي تاتشر .. !
- طبعاً سأسأله .. والآن أخبرنى .. كم تحمل
من النقود فى جيبك .. ؟!

- ليس معى سوى دولار واحد ٠٠ وانى
أريده لكن ٠٠٠

- اعطنى اياه فورا ٠٠ !

وأخذ الدولار وأخبرنى أنه ذاهب الى المدينة
ليشتري بعض الويسكى ٠٠

وفى اليوم التالى ، ذهب أبى وهو سكران الى
القاضى تاتشر وطالبه بالنقود ورفض القاضى أن يعطيه
شيئا ٠٠ وأقسم أبى بأنه سيحصل على هذه النقود
بقوة القانون ٠٠

وقد لجأ القاضى تاتشر ومعه الأرملة الى القانون
أيضا ٠٠ وذهبا الى المحكمة ٠٠ وطالبا القاضى بأن
يحكم بإبعاد هذا الأب الفاسد عن ابنه ٠٠ وأن يوافق
القاضى على أن يتولى أحدهما رعاية هذا الابن والحرص
على مصالحه ٠٠

ولكن قاضى المحكمة كان جديدا ٠٠ ولم يكن
يعرف شيئا عن سمعة أبى ، لذلك فقد حكم بأنه

لا يوافق على ابعاد الابن عن أبيه .. وقد سر أبى
بهذا الحكم كثيرا ..

وهددنى أبى بالضرب اذا لم أعطه فورا بعض
النقود .. فاقترضت ثلاثة دولارات من القاضى
تاتشر ، فخطفهم من يدى وذهب ليسكر ، وبعد أن
ثمل تماما ، أخذ يتجول فى الشوارع محدثا ضجة
وصخباً شديداً ، وظل يصرخ ويلعن كل شئ ؛ ويخبط
على كفة ميزان مصنوعة من الصفيح ، حتى منتصف
الليل .. وعند ذلك أمكسوا به ووضعوه فى السجن
.. وفى صباح اليوم التالى قدموه الى المحكمة فحكم
عليه بالسجن لمدة اسبوع ..

وبمجرد اطلاق سراحه .. ذهب فورا الى القاضى
تاتشر وطالبه بالنقود من جديد .. كما قام بالبحث
عنى ليمنعنى من الذهاب الى المدرسة .. كما بدأ
يتردد كثيرا على بيت الأرملة ، الى أن هددته بأنه اذا
لم يبتعد عن بيتها فانها ستسبب له الكثير من

المتاعب .. فأصابه الجنون وصرخ فى وجهها بأنه
سيربها من هو ولى الأمر الحقيقى لهذا الولد ..

وهكذا خطفنى أبى فى أحد أيام الربيع .. وابتعد
بى لمسافة ثلاثة أميال ، ووضعنى فى كوخ قديم مبنى
بفروع الشجر يقع فى الغابة المجاورة لشاطئ
النهر ..

ولم تتح لى أية فرصة للهرب .. فقد كان يغلق
باب الكوخ بالمفتاح ، ويحتفظ بالمفتاح تحت رأسه
طوال الليل .. وكانت لديه بندقية ..

وكنا نعيش على ما نصطاده من الأسماك ، أو
ما يصطاده هو من حيوانات الغابة باستعمال البندقية
.. وبين حين وآخر كان يغلق على باب الكوخ بالمفتاح.
ويذهب الى أقرب محل ليبادل بعض الأسماك أو
الحيوانات ببعض الويسكى .. وبعد أن يشرب ويشمل
يبدأ فى ضربى .. !

ومر شهران وأنا فى هذه الحالة البائسة ..
وأصبحت ملابسى مجرد أسمال ممزقة تعلوها
القذارة ..

وأخيرا بدأ أبى فى استعمال العصا باستمرار
٠٠ وكان يضربنى بقسوة شديدة لدرجة أنى لم أعد
أتحمل استمرار الحياة على هذا النحو ٠٠ وقسرت
التخلص من هذا العذاب بأية طريقة ٠٠ فحاولت
الهرب من الكوخ عندما يكون أبى نائما أو عندما يكون
بالخارج ٠٠ ولكن لم يكن هناك أى منفذ ٠٠ ولا توجد
ولو نافذة صغيرة تتسع لمرور أى كلب من خلالها ٠٠
أما ماسورة المدخنة فهى ضيقة ولا تصلح طريقا للهرب
٠٠ أما الباب الخشبى فقد كان قويا ومحكما ٠

وفى النهاية جاء الفرج ٠٠ وعثرت على منشمار
صديء كان مخفيا بين الألواح التى يتكون منها
السقف ٠٠ فقممت بتنظيف المنشمار ٠٠ وبدأت على
الفور فى قطع الخشب بالجدار السفلى للكوخ وكان
يتكون من جذع شجرة كبيرة ٠٠

كان عملا شاقا مضنيا ٠٠ وما أن أوشكت على
الانتهاء منه حتى سمعت طلقة من بندقية أبى تتروّد
فى الغابة فى مكان قريب من الكوخ ، وعلى الفور تخلصت
من آثار عملى وأخفيت المنشمار ٠٠



كان أبى يضربنى بقسوة شديدة ..

وأمرنى أبى بالذهاب الى القارب لاحضار الاشياء
التي جلبها معه .. وكانت عبارة عن جوال به نحو
خمسین رطلا من الدقيق .. ولحم .. وطلقات للبندقية
.. وأربعة جالونات من الويسكى وبعض أشياء
أخرى ..

ووضعت جميع هذه الأشياء بداخل الكوخ ..
وبعد قليل حل الظلام .. وبعد أن تناولنا طعام
العشاء بدأ أبى فى الشراب .. وضمنت أنه سيصبح
ثملا فى خلال ساعة على الأكثر ، وعندئذ سأتمكن
من سرقة المفتاح ، أو اتمام نشر الفتحة التي صنعتها
فى خشب الجدار السفلى .

وأخذ أبى يشرب ويشرب الى أن تهاوى ساقطا
على البطانية المفروشة على الأرض . ولكنه لم ينم وظل
مستيقظا وهو يئن ويغمغم بأصوات غريبة ويتقلب من
ناحية الى أخرى .. وظل على هذه الحال لفترة طويلة
الى أن غلبنى النعاس وأصبحت غير قادر على الاحتفاظ
بعينى مفتوحتين .. واستسلمت للنوم مستغرقا
فيه ..

فضحك ساخرا وقال :

— يا هك فين ! ٠٠ هل سمعت من قبل أن سجيننا كان لديه جاروف وعتلة من الحديد ٠٠ وهل هذا معقول ٠٠ ان مثل هذا السجن قد يكون لديه أيضا مفتاح السجن ٠٠ هل هذا معقول ٠٠ !

— طيب ٠٠ لنفرض أننا لن نستخدم الجاروف والعتلة الحديدية ٠٠ كيف سنحفر النفق ٠٠ !

— سنستخدم السكاكين ! ٠٠ اننا فى حاجة الى سكينين ٠٠ !

— هذه فكرة غبية جدا يا توم ٠٠ هل سنحفر النفق بالسكاكين ٠٠ !

— لا يهم اذا كانت هذه الفكرة غبية او ذكية ٠٠ فجميع المساجين قد استخدموا السكاكين فى حفر أنفاقهم ٠٠ كانوا يحفرون بالسكاكين ليس فى التربة الترابية الهشة فقط ، بل وفى الصخور الصلدة أيضا ٠٠ وكان هذا العمل يستغرق فى العادة فترات طويلة جدا ٠٠ هناك مثلا ذلك السجن الذى كان محبوسا فى

الكروخ .. وكان يحمل في يده مكينا ويقول اني ملاك
الموت وانه سقتلني ليتخلص عني الى الابد ..

وعندما كنت أحاول أن أفهمه أني هكلمري ابنه
ولست ملاك الموت ، كان يضحك ضحكة مخيفة ..
ويواصل مطاردته في وهو يلعنني .. وبينما كنت
أحاول الافلات منه ، استطاع أن يمسك ظهري معطفي ..
واعتقدت أن نهايتي قد أصبحت وشيكة .. لولا أني
استطعت أن أخنع معطفي في سرعة البرق وأنقذت
حياتي ..

وعندئذ كان قد بدأ يشعر بالتعب ، فاستند
بظهره على الباب .. وقال انه يود أن يستريح لمدة
دقيقة وبعد ذلك يقتلني .. ثم قال بعد ذلك أنه
سينام قليلا ليستعيد قواه .. وعندما يستيقظ
سيريني من السيد هنا ..

وما أن بدأ في النعاس .. حتى أسرعت بالامساك
بالبنديقية وصوبتها نحوه . وجلست أنتظر أي هياج
متوقع .. وأخذ الوقت يمر ثقيلًا .. وببطء .. !!

الفصل الثالث

هك يتمكن من الهرب ٠٠

- استيقظ ٠٠ !!

وفتحت عيني بسرعة ، ونظرت حولى لأعرف
أين أنا ٠٠ وكان ضوء الشمس قد ملاً أرجاء الكوخ
أثناء نومي العميق ٠٠ ورأيت أبى واقفاً بوجهه
الغاضب وتبدو عليه أعراض المرض ٠٠ وسألنى
بحدة :

- ماذا كنت تصنع بهذه البندقية ٠٠ ؟!

فاجبت :

- كان هناك شخص ما يحاول الدخول الى الكوخ .. فجلست مستعدا فى انتظاره .. !

ولماذا لم توقظنى .. ؟

- حاولت أن أوقظك فلم أفلح .. !

- طيب .. هيا اخرج الآن لترى ما اذا كانت السنابير التى تركناها مدلاة فى الماء قد اصطادت لنا أسماكا تصلح لافطارنا .. !

وفتح لى باب الكوخ بالمفتاح .. وتوجهت مباشرة نحو الشاطئ .. فرأيت بعض فروع الاشجار طافية فوق سطح النهر .. وعرفت أن النهر قد بدأ موسم فيضانه وارتفع ماؤه .

وفجأة رأيت قاربا جميلا طافيا فوق سطح الماء

بعد أن جرفه التيار من مكان ما .. كان قارباً سليماً
تماماً ويبلغ طوله نحو أربعة عشر قدماً .. وفى لمح
البصر قفزت الى مجرى النهر وأنا فى كامل ملابسى ،
واندفعت سابحاً نحو القارب ، واعتليتته ، واستخدمت
مجاديفه لتوجيهه نحو الشاطئ ..

كنت فرحاً بعثورى على هذه اللقطة .. وصممت
على أن أخفى هذا القارب فى مكان لا يعلمه أحد غيرى
.. وقلت لنفسى : سأستخدمه عندما تتاح لى فرصة
الهرب .. وبدلاً من اختفائى فى الغابة بعد الهرب
كما كنت قد خططت من قبل .. يمكننى الآن ركوب
القارب والسفر به الى مكان يبعد خمسين ميلاً ..
لأقيم فيه بعيداً عن أبى .

وفى اللحظة التى بدأت فيها تجميع الاسماك التى
اصطادتها السنانير ، ظهر أبى الذى جاء يستعجلنى ..
واخذ يسبنى ويلعننى، لأنى تأخرت فى هذا العمل ..
وحمل معه خمس أسماك توجه بها نحو الكوخ ..

وبعد أن تناولنا طعام الافطار .. جلسنا
لنستريح . وكان كل منا يبدو تعباً منهوك القوى ..
وبدأت أفكر فى خطة الهرب الجديدة .. لعل أجد
طريقة ذكية لتضليل أبى وتضليل الأرملة ومنعهما من
بدء أية محاولة للبحث عني .. وذلك أفضل بكثير من
الاعتماد على الحظ ..

وأفرغ أبى فى جوفه كمية ضخمة من الماء ،
وقال لى محلوا :

— هذا الرجل الذى كان يحاول الدخول الى
الكوخ .. لا بد أنه كان ينوى شرا .. ولا بد أن
أقتله .. فإذا جاء مرة أخرى فعليك أن توقظنى على
الفور .. سامع .. ؟!

وكان هذا الكلام الذى قاله أبى الآن .. هو
الذى أوحى الى بالفكرة التى أبحث عنها .. وقلت
لنفسى : الآن .. يمكننى أن أهرب وأنا مطمئن تماما
من أن أحدا لن يتعقبنى ..

وفى حوالى الثانية عشرة ظهرا ، كنا نسير بجوار الشاطيء ، وشاهدنا كثيرا من فروع وجذوع الأشجار وقطع الأخشاب طافية فوق سطح النهر . ثم شاهدنا « طوفا » يتكون من تسعة جذوع مربوطة الى بعضها فسحبناه الى الشاطيء . ثم جلسنا لتناول غدائنا .

وكان الطوف بجذوعه التسعة كافيا لدفع أبى الى التفكير فى التوجه الى المدينة لبيع أخشابه . لذلك فقد سحبنى أبى وأدخلنى الى الكوخ وأغلق على بابهِ بالمفتاح . وذهب نحو النهر .

وعلى الفور تناولت المنشار . وأكملت نشر الجزء المتبقى من الفتحة التى أنوى الهرب من خلالها . وقبل أن يصل أبى الى الشاطيء الآخر من النهر ، كنت قد خرجت من الفتحة . ورأيتهُ هو وطوفهُ كنقطة بعيدة فوق سطح الماء قرب الشاطيء الآخر !

وحملت جوال الدقيق الى المكان الذى خبات فيه
القارب .. ثم بدأت أنقل الى القارب كل شيء ..
اللحم ، والويسكى ، والبن والسكر ، والبارود
والطلقات ، والدلو ، والمنتشار القديم ، وبطانيتين ،
والقلاة ، وأبريق القهوة ، وكل شيء آخر له قيمة ..
وكننت أحتاج أيضا الى فأس .. ولكن لم يكن
بالكوخ سوى فأس واحد .. وكننت قد قررت أن أتركه
لأحقق به غرضاً أضمره .. وأحضرت البندقية وانتهيت
من شحن القارب بكل هذه الأشياء ..

وكننت قد تركت آثارا وعلامات كثيرة على الأرض
من أثر زحفى خلال الفتحة وقيامى بنقل وجـر الأشياء
التي شحنتها بالقارب .. وقررت أن أخفى جميع هذه
الآثار والعلامات .. فأخذت أغطيها بالتراب كما
تخلصت من نشارة الخشب المتخلفة من عملية النشر

التي قمت بها .. كما غطيت فتحة الهرب بنفس قطعة
الخشب التي نشرتها .. وثبتها في مكانها ببعض
الأحجار ..

وبعد أن تأكدت من أنني لم أترك أثرا يدل على
فعلتي ، قمت بتغطية منقولات القارب ببعض الحشائش
حتى أخفيتهما تماما .. ثم أخذت البندقية وتوجهت نحو
الغابة لاصطياد بعض الطيور التي أنوى أن أستخدمها
كجزء من الخطة .. ولكنني رأيت خنزيرا برياً يقف
جوار إحدى الأشجار فاطلقت عليه النار ، فقتل على
الفور ، وسحبته الى الكوخ .

وعندما وصلت الى الكوخ ، تناولت الفأس وقمت
بتحطيم الباب .. ثم أدخلت الخنزير الى داخل
الكوخ ، وهويت بالفأس على رقبتة وتركته ينزف كل
دمائه على الأرض .. ونزعت بعض خصللات من شعري
ولصقتها على سن الفأس الملوثة بدماء الخنزير ..
والقيت الفأس في أحد أركان الكوخ ..

وأحضرت حقيبة قديمة ملأتها بالأحجار الثقيلة
وجررتها على الأرض بحيث تترك أثرا ظاهرا يدل على
أن جثتي قد سحبت الى النهر وقذفت فيه .. والقيت
الحقيبة والخنزير الى ماء النهر ..

ثم طرأت في ذهني فكرة أخرى ، فذهبت الى
المكان الذي خبأت فيه القارب ، وحملت جوال الدقيق
وأعدته الى نفس المكان الذي كان موضوعا فيه بداخل
الكوخ ، ثم أحدثت بالجوال ثقباً لكي تتساقط منه
ذرات الدقيق .. وحملت الجوال مرة أخرى واتجهت
به نحو بحيرة ضحلة مجاورة كان لها مجرى مائي
لا يتصل بالنهر .. وبطبيعة الحال فقد ترك الدقيق
المتساقط من الجوال خطاً أبيض يصل ما بين الكوخ
وشاطئ البحيرة .. وبعد ذلك أغلقت الثقب الذي
أحدثته في جوال الدقيق ، وأعدت بقية الجوال الى
القارب ..

الآن .. اكتملت خطتي .. وقللت لنفسي :

لا شك أنهم سيتتبعون الأثر الذي تركه جر الحقيبة الى شاطئ النهر ، وسيعتقدون أن جثتي قد سحبت الى النهر وألقيت فيه .. كما أنهم سيتتبعون الأثر الذي تركه الدقيق المتساقط حتى شاطئ البحيرة وسيعتقدون أن هذا هو الطريق الذي سلكه اللصوص الذين قتلوني وسرقوا محتويات الكوخ ..

وهكذا أصبحت مطمئنا الى أنهم لن يبحثوا في النهر الا عن جثتي فقط .. وأنهم سيتوقفون عن البحث بعد أن ييأسوا من العثور عليها ..

وهأنذا أخيرا قد استعدت حريتي .. ويمكنني أن أذهب الى أى مكان أريد .. وقررت أن أذهب الى جزيرة جاكسون .. فهى جزيرة منعزلة غير مأهولة ولا يسكنها أحد ولا يذهب اليها أحد .. فضلا عن أنى أعرف كل شبر فيها معرفة جيدة .. وأخذت أجدف فى ظلام الليل حتى وصلت الجزيرة قبل مطلع الفجر ..

واخترت جزءا من الشاطئ تخفيه أعشاب طويلة
كثيفة وخبأت فيه القارب .. وتأكدت من أن أحدا لن
يستطيع أن يرى القارب المخبوء من أية جهة كانت ..

وكان ضوء الفجر قد أوشك على الظهور بينما
كنت آخذ طريقى متوجها الى الغابة التى تقع بوسط
الجزيرة .. ولكنى توقفت عند طرف الغابة وقللت
لنفسى : لأحصل على قسط من الراحة والنوم قبل أن
أتناول افطارى .. !

الفصل الرابع

فى جزيرة جاكسون ..

- يوم .. !!

استيقظت على هذا الصوت الذى يشبه انفجار قنبلة .. ففزعت واقفا ، وأفسحت لرأسى مطلا بين الأعشاب الكثيفة لأتبين الأمر ..

ورأيت المعديّة وهى تسير فوق سطح النهر ، وتطلق بعض المتفجرات فى الماء .. وفهمت أنهم يفعلون ذلك ليساعدوا جثتى الغريقة لكى تطفو فوق السطح ..

واقتربت المعديّة كثيرا من شاطئ الجزيرة ..
وقد رأيت على سطحها مجموعة كبيرة من الناس :
أبي ، والقاضي تاتشر ، وبيزى تاتشر ، وجو هاربر ،
وتوم سوير ومعه خالته العجوز بوللى وأخوه سيد وابنة
عمه ماري ، ومجموعة من الناس لا أعرفهم ..

وانطلق صوت قبطان المعديّة : اضرب ! ..
فانطلقت على الفور قذيفة انفجرت في مكان قريب مني
لدرجة أن أذني كادت أن تصاب بالصمم من شدة
صوت الانفجار ، كما كادت عيني أن تصاب بالعمى من
كثافة دخان البارود .. وبعد ذلك استدارت المعديّة
لتواصل بحثها عن جثتي في الناحية الأخرى من
الجزيرة .

وهكذا نجحت خطتي ، حيث جعلتهم يعتقدون
أنني قتلت ومت وانتهى أمرى .. ولن يخرج أحد بعد
الآن للبحث عني .. وذهبت الى القارب ، ونقلت كل
ما كان فيه من حاجيات الى المكان الذي اخترته لاقامة
معسكرى بين الاشجار الكثيفة المتشابكة .. واستخدمت

البطاطين فى اقامة خيمة تحجب عنى مياه المطر حتى
لا تبللنى أو تبلل حاجياتى ..

وقرب مميب الشمس ، اسطدت سمكة ، وأشعلت
نار معسكرى . وتناولت عشائى .. وبعد أن حل
الظلام تماما ، جلست جوار النار أدخن غليونى وأنا
اشعر بكثير من الرضا .. ولكنى كنت اشعر بالوحدة
فى الوقت نفسه .. ولم أجد شيئا آخر أفعله ، سوى
أن انام حتى صباح اليوم التالى ..

ومر ثلاثة أيام وثلاث ليال وأنا على تلك الحال
دون أن يجسد جديد .. وفى اليوم الرابع ذهبت
لاستكشف المناطق الأخرى بالجزيرة .. ودخلت الى
عمق الغابة ، ولشدة دهشتى رأيت بقايا نار مازال
الدخان يتصاعد منها !

وشعرت كأن قلبى سيقفز من صدرى ويخرج من
حلقى .. وأخذت أجرى بكل ما أستطيع من قوة ..
وبين حين وآخر كنت أتوقف عن الجرى لأنصت ، ولكنى
لم أسمع شيئا سوى صوت أنفاسى اللاهثة .

وبمجرد ان وصلت الى معسكرى .. قمت
بتجميع كل حاجياتى ووضعتها فى القارب ، وغادرت
الجزيرة ، واختبأت فى غابة تقع على الشاطئ الآخر من
النهر .. وهناك تناولت عشاءى .. ونمت نوما
متقطعا .. كنت أستيقظ كل مرة وأنا أتصور أن
شخصا ما يسكننى من رقبتي .. ولكنى قلت لنفسى :
اما أن اذهب الى الجزيرة لأعرف من هناك ، أو أقبل
أن أموت بغيظى ! ..

وقد ارتحت فعلا لهذا القرار .. وركبت قاربى
وجدفت تجاه الجزيرة .. ورسوت على شاطئها ، ثم
تسللت الى الغابة وأنا أمسك بندقيتى فى يدى ..
وكان ضوء الفجر قد بدأ يظهر فوق قمم الأشجار العالية
.. وعندما اقتربت من المكان الذى رأيت فيه النار
المشتعلة ، بدأت أزحف حذرا على يدى وركبتي ..
وفوجئت بوجود نار مشتعلة .. ويرقد رجل بجانبها
مددا على الأرض .. لقد كان هذا الرجل هو جيم
خادم مسز واطسون .. وقد فرحت فعلا برؤيته .. !

قفزت نحوه وانا أصبح متهللا :

— هالو .. جيم !!

ولكنه هب مذعورا وركع على قدميه وقد عقد يديه
على صدره ، وقال متوسلا :

— لاتؤذيني .. أرجوك لاتؤذيني .. فانا لم أفعل
أى شيء فى حياتى يغضب شبحا .. عد الى النهر
ولا تفعل شيئا يؤذى جيم المعجوز .. لقد كنت
صديقك دائما .. !!

وأفهمته بصعوبة بأنى لست شبحا .. وأنى
مازلت حيا لم أمت .. وقلت له :

— هيا .. دعنا نتناول افطارنا .. وزود هذه
النار ببعض الحطب ..

فقال بائسا :

— لن تفيدنا النار بشيء .. فليس عندى
سوى بعض ثمار التوت .. وهى طعام لايطهى .. !

فقلت على الفور :

– توت ١٩ ٠٠ هل كنت تعيش على ثمار التوت فقط ٠٠ معنى هذا أنك جائع جدا ٠٠ !

وأمرته بأعداد النار ٠٠ وذهبت من فوري الى القارب ٠٠ وأحضرت الدقيق واللحم والبن وابريق القهوة ومقلاة السمك والسكر والاكواب المصنوعة من الصفيح ٠٠ وكان جيم يظن أنى قد أحضرت كل هذه الأشياء باستخدام السحر ٠٠ خصوصا عندما أحضرت سمكة كبيرة كنت قد اصطدتها وقام جيم بتنظيفها وفليها ٠٠

وتناولنا افطارا سهيا ساخنا ٠٠ وكان جيم من شدة جوعه يتناول طعامه وكأنه ذئب مفترس ٠٠ وبعد أن فرغنا من الافطار ، جلسنا لنستريح ونتجاذب أطراف الحديث ٠٠٠ وقال جيم مستفسرا :

– والآن ياهك ٠٠ اذا كنت لم تقتل ومازلت حيا ٠٠ فمن ذا الذى قتل فى الكوخ ٠٠ ؟!

وأخبرته بكل التفاصيل ، فهنأني وقال انها
كانت خطة ذكية .. وسألته بدورى :

- ولكن ما الذى جاء بك الى هنا يا جيم .. ؟

- سأخبرك .. ولكن هل تعدنى بأن تحتفظ
بهذا السر ولا تخبر به أحدا .. ؟

- لن أفعل ذلك أبدا يا جيم ..

- « اذن سأخبرك .. لقد لاحظت مؤخرا أن أحد
تجار العبيد كان يحوم حول البيت .. وفى إحدى
الليالى سمعت مسز واطسون تقول لاختها الأرملة انها
تنوى أن تبيعنى .. فعارضتها الأرملة فى ذلك
ونصحتها بالاحتفاظ بى .. ولكن مسز واطسون قالت
انها تستطيع الحصول على ثمانمائة دولار ثمنا لى ..
وحاولت الأرملة أن تثنيها عن فعل ذلك .. ولكنى
لم أستمع فى الانصات لأسمع بقية الحديث بين
الأختين .. لقد خرجت على الفور من البيت ولذت
بالفرار ..

واختبات طول الليل وطول النهار التالى ..
وأخذت أفكر فيما عسائ أن أفعل .. فهناك ناس
كثيرون يعرفوننى .. وإذا اخترت أن أواصل طريق
الهرب مشيا على أقدامى ، فسوف يرسلون الكلاب
ورائى لتتبعب أثرى بسهولة .. وإذا سرقت قارباً
لأعبر به الى الضفة الأخرى من النهر ، فسوف يتنبهون
الى سرقة القارب ويمكنهم أن يتتبعوا أثرى ويمسكوننى
.. لذلك فقد قلت لنفسى ان أفضل طريق للهرب هو
أن أركب أى طوف يكون مسافراً فوق سطح النهر ..
ان الطوف لا يترك أثراً .. !

وتربصت فى الظلام قرب شاطئ النهر ، الى
أن رأيت طوفاً كبيراً يأتى قادماً عند منحنى النهر
وفوقه مصباح يشع نوره الضئيل فوق سطح الماء ..
فسبحت الى أن وصلت الى منتصف المجرى .. وانتظرت
حتى وصل الطوف ، فتعلقت به من الخلف .. وكان
الطوف كبيراً ، يحمل على ظهره مجموعة من الرجال
يتجمعون حول المصباح المضىء .. وقلت لنفسى : اذا

بقيت متعلقا بهذا الطوف حتى الساعة الرابعة صباحا ،
فسوف أكون عندئذ على بعد نحو خمسة وعشرين ميلا
من المدينة ، وهناك سأختفى فى الغابات ولن يكتشف
أحد مخبأى ..

ولكن لسوء حظى .. تنبه الى وجودى أحد ركاب
الطوف ، فتقدم نحوى وهو يحمل المصباح فى يده ..
ولذلك فقد تركت الطوف على الفور وسبحت نحو
شاطئ الجزيرة .. ! ،

وبعد أن انتهى جيم من قصة هربه .. أخبرته
بأنى كنت أريد أن أستكشف الأماكن التى توجد فى
وسط الجزيرة .. فذهبنا معا ..

وكانت الجزيرة مستطيلة الشكل طولها نحو
ثلاثة أميال ، وعرضها لايزيد عن نصف ميل .. وفى
وسطها تل صغير له سطح منجدر .. فتسلقناه حتى
بلغنا قمته .. وهناك اكتشفنا وجود كهف يقع بالقرب
من تلك القمة ..

وعلى الفور ، ذهبنا الى موقع القارب ، وأخذنا
نجدف حتى وصلنا الى مكان بالشاطيء قرب من موقع
التل ، وبدأنا ننقل الى الكهف كل الحاجيات التى كنا
نخشى ابتلالها عند سقوط المطر .. ثم خبأنا القارب
بين الأعشاب قرب الشاطيء .. وأخذنا معنا الأسماك
التي اصطادتها السنابير المعلقة ، وأعددنا السنابير
لمزيد من الصيد .

وأشعلنا نارا خارج الكهف ، وطهونا الأسماك
وتناولنا عشاءنا ونحن جالسين على البطاطين التى
افترشناها على أرض الكهف .. وعندما حل ظلام
الليل ، بدأت السماء تبرق وترعد ، وانهمر سيل
المطر وبدأت الرياح تعصف فى عنف .. فقلت
لجيم :

- ان هذا الكهف مكان رائع .. وليس هناك
مكان آخر أفضل منه .. هيا .. اعطنى قطعة أخرى
من السمك وبعضا من الخبز الساخن !

وعلى مدى الاثنى عشر يوما التالية ، بدأت مياه
النهر فى الازدياد والارتفاع حتى فاضت على الشطآن
.. وأصبح عمق الماء نحو ثلاثة أو أربعة أقدام فى
بعض الأماكن المنخفضة فى الجزيرة ..

وفى خلال فترات النهار كنا نجدف بقاربنا ونبدور
به حول شطآن الجزيرة ، أو ندخل الى عمق الغابة حيث
يصبح الجو باردا ورطبا تحت ظلال الأشجار ، مهما
كانت الشمس ساطعة وحامية .

وكانت هناك العديد من الأشياء طافية فوق سطح
النهر بعد أن جرفها التيار من أماكن أخرى .. وفى
احدى الليالى عثرنا على طوف كبير مصنوع من ألواح
متساوية من الخشب السميك ، يبلغ طوله نحو
ستة عشر قدما ، وعرضه نحو اثنى عشر قدما ،
وسمكه نحو سبع بوصات .. كان طوفا رائعاً فى
حقيقة الأمر ..

وفى ليلة أخرى قبيل الفجر ، شاهدنا منزلا
خشيبا محطما يطفو عائما فوق سطح النهر بعد أن
جرفه التيار .. فركبنا القارب وجددنا نحوه ،
وتسلقنا بعض جوانبه .. فشاهدنا سريرا ومنضدة
ومقعدين قديمين وأشياء كثيرة مبعثرة على الأرض ..
وفى أحد الأركان شاهدنا شيئا يشبه الرجل ..

وعندئذ قال جيم :

- انه قتيل .. أطلقت عليه النار من وراء
ظهره .. تعال هنا يا هك .. ولا تنظر الى وجهه .. !

والقى جيم قطعة قديمة من القماش غطى بها وجه
القتيل .. ولم يكن بحاجة الى فعل ذلك ، لأنى لم
أجسر على النظر الى وجه الرجل الميت ..

وشاهدنا بعض أوراق اللعب متناثرة على الأرض ،
وبعض زجاجات الويسكى .. ومجموعة من ملابس
الرجال وملابس النساء معلقة على الجدران الخشبية ..

وقد استنتجنا أن سكان هذا البيت قد غادروه بسرعة
وبطريقة مفاجئة ..

أما بقية الاشياء التى عثرنا عليها فى هذا البيت
العائم ، فكانت عبارة عن مصباح مصنوع من الصفيح ،
وسكين ، ومجموعة كبيرة من الشموع ، وفأس ، وبعض
المسامير ، وسنارة كبيرة فى سمك اصبعي ، وبعض
الخطاطيف ، وحدوة حصان ، ورداء كلب مصنوع من
الجلد ، وبعض زجاجات الأدوية التى لا توجد عليها
أية بطاقة تدل على نوع الدواء ..

وقبل أن نغادر البيت الى القارب ، عثر جيم على
ساق خشبية نزعنا منها الأربطة التى تثبتها .. وكانت
الساق مصنوعة بطريقة جيدة رغم أنها كانت كبيرة
بالنسبة لى ، ومناسبة لطول ساق جيم .. وحاولنا
العثور على الفردة الأخرى فلم نجدها .. رغم أننا بحثنا
عنها فى أعلى البيت وأسفله ..

وبعد أن عدنا الى الكوخ ، أخذنا نفتش في
الملابس التي أحضرناها ٠٠ وعثرنا على ثمانية دولارات
فضية كانت مخبأة بأحكام في ثنية أحد المعاطف ٠٠

وقلت لجيم ساخرا :

— عندما أحضرت جلد الثعبان الذى عثرت عليه
عند جانب التل ٠٠ قلت لى ان أسسوا شئ فى هذه
الدنيا أن يمس الانسان جلد ثعبان بيده ٠٠ لأن ذلك
سيجلب الحظ السيئ ٠٠ وها نحن قد عثرنا على كل
هذه الأشياء بالاضافة الى الدولارات الثمانية ٠٠ فليت
حظنا يصبح سيئا على هذا النحو كل يوم ٠٠

فقال جيم :

— كل هذا لا يهم ٠٠ فالحظ السيئ سيأتى
حتما مادمت قد مسست جلد الثعبان بيدك ٠٠ !



الحية ذات الجرس تعض جيم !

كان حديثنا هذا فى يوم الثلاثاء ٠٠ وبعد ظهر
يوم الجمعة شاهدت حية ذات جرس ٠٠ وهى حية
خطيرة قتلتها على الفور ٠٠ وطرأت فى ذهنى فكرة
المزاح مع جيم ومعاكسته ٠٠ فوضعت الحية القتيلة
تحت بطانيته حتى يفاجأ بها عندما يبدأ فى النوم ٠٠
وعندما بدأ جيم فى سحب طرف البطانية فوجئت
به يهيب صارخا ٠٠ فأشعلت شمعة ، واذا بى أرى حية
أخرى ٠٠ هى فى الغالب رفيقة الحية القتيلة وقد جاءت
لتنقم ٠٠ فلدغت جيم ٠٠ وأسرعت أيضا بقتل الحية
الأخرى باستعمال العصي ٠٠

واصل جيم صراخه من شدة الألم ٠٠ وأخذ
يعب من وعاء الويسكى الذى أخذته من أبى ٠٠ وأخذ
يشرب ويشرب حتى فقد وعيه ولكنه لم يسكت عن
الأنين والتأوه ٠٠ لقد لدغته الحية فى كعب قدمه ٠٠
وسرعان ما تورمت القدم بدرجة كبيرة ٠٠

وظل جيم يرقد مريضا أربعة أيام متوالية حتى

اختفى الورم بالتدريج وزال الألم وأصبح قادرا على أن يدوس على قدمه مرة أخرى ..

وقررت أن أبسل متخفيا الى المدينة ، لأرى ما يحدث هناك ولأعرف الأخبار .. ونصحتني جيم بأن أتخفى وأرتدى ثيابا نسائية حتى لا يتعرف على أحد من الأهالى .. وكانت هذه فكرة طريفة طيبة ..

وقمنا بتقصير أحد الفساتين حتى يتناسب مع طول جسمي .. كما قمت بشنى أطراف بنطلوني الى ما فوق ركبتى وارتديت الفستان ووضعت على رأسى قبعة نسائية عريضة . وبدأت أتمرن على الحركات والتصرفات النسائية .. ولكن جيم أخبرنى بأنى لا أجيد مشية الفتيات .. ونبهنى الى الكف عن رفع أطراف الفستان لأضع يدى فى جيب بنطلوني .

وعندما حل ظلام الليل .. أخذت القارب وجدفت تجاه شاطئ المدينة الصغيرة .. وربطت القارب بعد أن أرسيته ، وأخذت أتمشى على الشاطئ الى أن اقتربت من أطراف المدينة .

وشاهدت نورا ينبعث من نافذة بيت قديم لم
يكن يسكنه أحد منذ فترة طويلة .. فنظرت من خلال
النافذة ، فرأيت امرأة فى حوالى الأربعين من عمرها
.. جالسة تخطط بعض الثياب فى ضوء شمعة . كانت
سيدة غريبة لم أشهدها من قبل .. وقلت لنفسى
حتى ولو كانت قد سكنت فى هذا البيت القديم منذ
يومين فقط ، فسوف يكون لديها بعض الأخبار التى
تهمنى وتهم جيم .. وهكذا بدأت فى طرق الباب ..
وأنا أذكر نفسى بأنى الآن فتاة .. ولست ولداً .. !

الفصل الخامس

استيعظ يا جيم ٠٠ انهم يبحثون
عنا !

قالت لى السيدة وهى تنظر الى بعينها الصغيرتين
اللامعتين :

— أدخلى ٠٠ واجلسى ٠٠ !

ثم سألتنى :

— ما اسمك ٠٠ ؟

فقلت على الفور :

— ساره وليامز ٠٠ !

— وأين تعيشين ٠٠ ؟

– أعيش فى هوكرزفيل ياسيدتى ٠٠ وهى تبعد
عن هنا بنحو سبعة أميال ٠٠ وأمى مريضة ٠٠ وليس
لدينا نقود كافية ٠٠ رقد جئت الى هنا لأقابل خالى
آبئر مور الذى يعيش فى الجانب الآخر من هذه المدينة
٠٠ هل تعرفينه ٠٠!؟

– لا ٠٠ فقد جئت لأعيش هنا منذ أسبوعين فقط
٠٠ ولكن الجانب الآخر من المدينة يبعد عن هنا كثيرا
٠٠ لذلك فمن الأفضل أن تبقى معنا هذه الليلة ٠٠
هيا اخلعى قبعتك !

فقلت بسرعة :

– لا ٠٠ انى أريد أن أستريح قليلا ثم أواصل
بعد ذلك سيرى الى بيت خالى ٠٠ !
وأخبرتنى السيدة أن زوجها سيحضر بعد قليل
وسوف تطلب منه أن يصحبنى فى هذا المشوار ٠٠ ثم

بدأت تتحدث عن زوجها وعن جميع أقاربها ٠٠ وبعد فترة بدأت تتحدث عن أبى وعن جريمة القتل التى حدثت ٠٠

فقاطعتها متسائلا :

— هل تعرفين من ذا الذى ارتكب هذه الجريمة ٠٠ لقد سمعنا عنها كثيرا فى هوكرزفيل ٠٠ ولكننا لم نعرف بعد من قتل هكلبرى فى ٠٠ !

— بعض الناس يظنون أن فىن الكبير هو الذى قتل ابنه ٠٠ ولكن فى نفس الليلة ظن آخرون أن القاتل هو عبد هارب اسمه جيم ٠٠ فقد هرب هذا العبد فى نفس الليلة التى حدث فيها القتل ٠٠ ولهذا فقد أعلنوا عن جائزة قدرها ثلاثمائة دولار لمن يستطيع القبض عليه ٠٠ كما أعلنوا عن جائزة أخرى قدرها مائتى دولار لمن يستطيع القبض على فىن الكبير ٠٠ لانهم يشكون فى أمره ٠٠ فقد جاء فى صباح

اليوم التالى لحدوث الجريمة وأبلغ عنها .. ثم
ركب المعديّة مع بعض الناس للبحث عن الجثة
.. وبعد ذلك اختفى .. وكان بعض الناس
يريدون أن يشنقوه ولكنه فر هاربا .. وفى صباح
اليوم التالى عرف الناس أن العبد جيم قد هرب .. وأنه
اختفى فى الساعة العاشرة من نفس الليلة التى وقعت
فيها جريمة القتل .. لذلك فإن الناس يتهمونه
بارتكابها ..

– ولكن .. هل مازالوا يبحثون عن جيم حتى
الآن .. ؟!

– طبعا .. فإن الدولارات الثلاثمائة مبلغ لا يتوفر
للإنسان فى كل وقت .. وهو جائزة طيبة تشجع
البعض للبحث عنه .. وبعض الناس – وأنا منهم –
يعتقدون أن العبد الهارب مازال فى مكان قريب من
هنا .. وقد شاهدت بنفسى منذ أيام دحانا يتصاعد من
مكان فى جزيرة جاكسون .. وقلت لنفسى : ربما يكون
العبد الهارب قد اختبأ هناك .. وقد أقنعت زوجى

بذلك فقرر أن يذهب فى صحبة زميل له ليجثا
عنه ..

وهنا بدأ القلق ينتابنى .. وبدأت أشعر بأننى
غير قادر على البقاء ويجب أن أخرج فوراً .. وأردت أن
أخفى اضطراب أعصابى بفعل أى شىء .. فالتقطت ابرة
وحاولت أن ألضم فيها خيطاً .. وكانت يداى ترتعشان
.. ونظرت الى السيدة وهى مندهشة .. ثم ابتسمت
قليلاً . وقلت متردداً :

— ان مبلغ الثلاثمائة دولار ليس بالمبلغ لهين ..
أتمنى أن تحصل أُمى على مبلغ مثله .. ولكن أخبرينى
.. هل سيدهب زوجك للبحث عن العبد الهارب هذه
الليلة ؟ .. !

— نعم .. فقد ذهب مع زميله للبحث عن قارب
ولاقتراض بندقية أخرى .. وسوف يذهبان الى الجزيرة
بعد منتصف الليل ..

وظلت السيدة تحملق فى بدهشة وكأنها تخمن
شيئا .. فسألتنى مرة ثانية :

– ما هو اسمك يا حبيبتي .. ذكرينى به .. ؟
– ما .. ما .. ما .. ماري وليامز !

– ولكنك قلت أن اسمك سارة وليس ماري كما
تقولين الآن ..

– آه .. نعم يا سيدتى .. ان اسمى ساره
ماري وليامز .. ساره هو اسمى الأول .. بعض الناس
يطلقون على اسم سارة .. وبعضهم يطلقون على اسم
ماري .. !!

ثم بدأت السيدة تتحدث عن الفئران التى تتجول
فى حرية فى جميع أنحاء البيت ، والتى تبدو كما لو
كانت الأصحاب الحقيقيين للبيت وكل ما فيه ..
وكانت السيدة صادقة فى هذا الوصف ، ففي كل لحظة

كان هناك فأر يطل بأنفه من أحد الجحور العديدة التي
تملا الجدران ..

وأحضرت لى السيدة كرة ثقيلة مصنوعة من معدن
الرصاص ، وقالت لى انها تستعملها فى اصابة الفئران
.. وطلبت منى أن أجرب حظى وأقذف بها أحد الفئران
.. فأمسكت كرة الرصاص فى يدى ووجهتها بقوة نحو
أول فأر أطل بأنفه من أحد الجحور .. ولكن لو كان
هذا الفأر قد ظل فى مكانه لأصيب اصابة بالغة تجعله
يتوجع من الألم لمدة طويلة ..

وقامت السيدة وأحضرت كرة الرصاص بعد أن
حابت الرمية .. وأحضرت شلة من خيوط الصوف
وطلبت منى أن أساعدها .. فمدت يدى الاثنتين
ووضعت السيدة شلة الصوف حولهما ..
وواصلت حديثها عن الفئران وقالت لى :

- راقبى الفئران جيدا .. واجعلى كرة الرصاص
فى متناول يدك .. وكونى مستعدة !

وفجأة أسقطت السيدة كرة الرصاص فى حجرى
وجعلتنى هذه الحركة الفجائية أضخم ركبتى الى
بعضهما .. وعندئذ صاحبت بى السيدة :

- تعالى هنا .. انك لست فتاة كما تقولين ..
فما هو اسمك الحقيقى .. هل هو بيل أم توم أم بوب
.. أخبرنى فما اسمك الحقيقى يا ولد .. !

وأخذت أرتعش كورقة الشجر .. ولكنى تماسكت

وقلت متوسلا :

- أرجوك يا سيدتى .. لا تسخرى بفتاة مسكينة
مثل .. لقد كنت ذاهبة الى خالى .. ولكن ..

فقالت السيدة لكى تطمئننى :

- اجلس يا بنى .. اجلس وكن مطمئنا ..
سوف أساعدك .. سأطلب من زوجى أن يساعدك

أيضا ٠٠ يبدو أنك قد عوملت بطريقة سيئة دفعتك
الى الهرب ٠٠ أخبرني بحكايتك فانت ولد طيب ٠٠ !

وبدأت احكي ٠٠ قلت لها ان ابي قد مات وأمي
قد ماتت أيضا ٠٠ واني أصبحت بحكم القانون تابعاً
لمزارع عجوز كان يعاملني بقسوة شديدة ، فلم أطلق
الحياة معه وقررت الهرب ٠٠ وسرقت بعض ملابس ابنته
وارتديتها لكي أتخفى ٠٠ واني على يقين بأن خالي آبنر
مور سيرعاني ٠٠ !

وعندئذ قالت السيدة :

— طيب ٠٠ والآن ما هو اسمك الحقيقي ٠٠ ؟!

فقلت على الفور :

— اسمي جورج بيترز يا سيدتي ٠٠ !!

فقالت وهي تبتسم :

— اذن تذكر أن اسمك جورج هذه المرة ولا تنساها
عندما أسألك عن اسمك مرة أخرى فتقول انه الكسندر

٠٠ ثم تقول بعد ذلك أنه جورج ألكسندر عندما اكتشف
عدم صدقك ٠٠

لم أدر بماذا أجيب ٠٠ وواصلت السيدة الطيبة
حديثها فقالت :

— لقد اكتشفت أنك ولد لأنك لم تلعب دور الفتاة
بطريقة جيدة ٠٠ فعندما كنت تقوم بلضم الخيط في
الابرة ٠٠ لاحظت أنك لم تقم بهذه العملية طبقا
لأصولها ٠٠ فقد أمسكت بطرف الخيط وبدأت توجه
ثقب الابرة اليه ٠٠ والمفروض أن أية فتاة تعلم تماما
أنها يجب أن تفعل العكس ٠٠ فتمسك بالابرة وتوجه
اليها طرف الخيط ٠٠ وعندئذ بدأت أشك في امرك
فاخترعت بعض الأشياء لأعرف حقيقتك ٠٠ وعندما
طلبت منك أن تستخدم كرة الرصاص لقتل الفئران
٠٠ أمسكت بالكرة وقذفت بها بطريقة الأولاد وليس
بطريقة البنات ٠٠ فالبنات التي تقوم بمثل هذا العمل
تبدو مترددة وخائفة وتقذف بالكرة بطريقة عشوائية
الى مكان آخر يبعد عن الفأر بنحو ستة أو سبعة اقدام

.. كذلك عندما اسقطت كرة الرصاص فى حجيرك
فانك قمت بضم ركبتيك الى بعضهما وهذا ما يفعله
الاولاد الصبيان اما البنات فانهن يبعدن ركبهن عن
بعضها فى مثل هذا الموقف .. والآن .. فلتذهب الى
خالك يا سارة مارى وليامز جورج الكسندر بيترز ..
واذا تعرضت الى متاعب فتعال الى مسز جوديث لوفتوس
فهذا هو اسمى .. وسوف أقوم بمساعدتك فى التغلب
على مثل هذه المتاعب .. !!

واسرعت الى قاربى .. وعبرت النهر بأقصى
سرعة .. وبعد أن وصلت الى شاطئ الجزيرة قمت على
الفور بإشعال النار فى معسكرى القديم كاجراء لتضليل
الرجال الذين سيقومون بالبحث ..

ثم قفزت الى القارب مرة أخرى .. وأخذت أجدف
بهمة حتى وصلت الى المكان القريب من التل الذى
يوجد فى أعلاه الكهف الذى نعيش فيه أنا وجيم ..
وكان جيم مستغرقا فى النوم فأخذت أهزه بقوة حتى
أيقظته وقلت له :

— استيقظ يا جيم .. انهم يبحثون عنا !

وكانت الطريقة التي عمل بها جيم في نصف
الساعة التالى تدل على مدى الذعر الذى أصابه .. ومع
ذلك ففي نهاية الأمر .. كنا قد نقلنا كل حاجياتنا
ووضعناها فوق الطوف الكبير الذى عثرنا عليه ..

وفي ظلام الليل تسللنا بالطوف الى وسط مجرى
النهر .. ولكن بدون أن نتبادل ولو كلمة واحدة ..

الفصل السادس

كيف ضحكت عليهم ياهك ؟؟

كانت الساعة تقارب الواحدة بعد منتصف الليل
حين بدأ الطوف يأخذ طريقه زاحفاً فوق سطح النهر
مفادراً شاطئ الجزيرة ..

وقرب الفجر رسونا على رمال الشاطئ، في منطقة
تنمو فيها الأعشاب والشجيرات الكثيفة حيث أخفيها
الطوف وغطيناه ببعض فروع الشجر .. وقضينا النهار
كله على ذلك الشاطئ .

وقام جيم باستخدام بعض الألواح الخشبية في

صنع ساتر علوى ثبتناه فوق سطح الطوف ليقينا
حرارة الشمس ويحمينا من ماء المطر كما يحمي
حاجياتنا أيضا من البلل . . كذلك فقد صنع جيم رفا
خشبيا يعلو سطح الطوف بنحو قدم ، لنضع عليه
البطاطين وبعض الحاجيات الأخرى لنحميها من الابتلال
بماء النهر حين تمر بجانبنا احدى البواخر وتحدث
أمواجا عالية .

وفى منتصف المساحة المحمية بهذا الساتر هيأنا
مكانا صغيرا أحطناه باطار من الطين الجاف لنستخدمه
كموقد نشعل فيه النار دون أن نخشى انطفائها فى الجو
الرطب أو حين يسقط المطر . . كما صنعنا دفة خشبية
احتياطية لاستخدامها فورا اذا تعرضت دفة الطوف
للكسر أو التلف . . كما أقمنا عمودا نعلق عليه المصباح
حين تقترب منا احدى البواخر المسافرة فى النهر أثناء
الليل وذلك حتى نتقى الاصطدام بها . .

وعندما حل ظلام الليل عاودنا الاقلاع مرة أخرى
. . وكان الجو بديما للغاية فاستلقينا على ظهورنا وأخذنا

نراقب النجوم المتلألئة على صفحة السماء الصافية ..
واستمر حالنا على هذا النحو فى الليلة التالية والليلة
الثالثة دون أن يحدث شئ غير عادى .

وفى خلال كل ليلة ، كنا نمر على بعض المدن
الواقعة على شاطئ النهر ، والتي كانت تبدو لنا
كرقعة فسيحة تتلأأ فيها الانوار الساطعة ..

وفى الساعة العاشرة من الليلة الخامسة اقتربنا
من شواطئ مدينة سان لويس ، وقررت أن أنزل الى
الشاطئ لشراء بعض الطعام بعشرة أو خمسة عشر
سنتا ..

وكان فى تقديرنا أننا سنصل فى خلال ثلاث ليال
أخرى الى مدينة كايرو (القاهرة) التى تقع فى ولاية
اللينوا والتى يخترقها نهر أوهايو .. وهناك سوف
نقوم ببيع الطوف ، ونشتري تذكرتين على احدى
البواخر العاملة على نهر أوهايو ، حتى نصل الى أية
ولاية من الولايات الحرة التى منعت نظام العبيد وبذلك
يتحرر جيم من مخاوفه ..

وفى الليلة التالية هبط علينا ضباب كثيف جعل
الرؤية صعبة للغاية .. حتى أصبحنا نخشى أن نمر على
مدينة كايرو دون أن نتمكن من رؤية أنوارها .. ولم
يعد لدينا شاغل يشغلنا سوى أن نتطلع لرؤية هذه
الأنوار من خلال الضباب .. وبين حين وآخر كان جيم
يصيح قائلا : ها هى ها هى ..

ولكن أملنا كان يخيب حين نتبين أن الأنوار التى
شاهدناها لم تكن سوى أنوار عابرة .. فنعود الى
مراقبة الأنوار من جديد .. وبعد فترة طويلة صاح
جيم متهللا :

- حمدا لله .. لقد أصبحنا فى أمان ياهك .. هاهى
مدينة كايرو فى آخر الأمر .. !

فقلت له :

- سأخذ القارب .. لأذهب وأرى وأؤكد .. !
وبينما كنت أتاهب للتجديف .. سمعت جيم يقول :
- حمدا لله .. لقد اقتربت لحظة الحرية ..

شكرا لك يا هك ٠٠ ان جيم لن ينساك أبدا يا هك ٠٠
فأنت خير صديق لجيم ٠٠ أنت الصديق الوحيد لجيم
فى هذا العالم ٠٠ !

وأخذت أجدف نحو الشاطئ ٠٠ ولكن فجأة
ظهر قارب عليه اثنان من الرجال ، اعترضنا طريقى
فتوقفت عن التجديف ٠٠ وقال أحد الرجال :

– هل هذا الطوف مملوك لك ٠٠ ؟!

– نعم يا سيدى ٠٠ !

– هل هناك أحد من الرجال على ظهر الطوف ٠٠ ؟

– نعم يا سيدى ٠٠ هناك شخص واحد ٠٠

– لقد هرب خمسة من العبيد هذه الليلة ٠٠ هل
الرجل الموجود على ظهر الطوف أبيض أم زنجى ٠٠ ؟

وبدأت اشعر بالقلق والاضطراب ولكنى قلت :

– نحن من البيض يا سيدى !

– سنذهب لتأكد من ذلك بأنفسنا ..
– ليتك تفعل ذلك يا سيدى .. فان أبى مريض ..
وكذلك أمى ومارى آن .. !

– سنذهب لنرى .. هيا جدف نحو الطوف ..
وقلت بعد أن جدفنا لمسافة قصيرة :

– سيشكرك أبى على ذلك .. لأن الجميع كانوا
يفرون عندما يعلمون بحقيقة مرضه .. وكانوا يمنعوننا
من الرسو على الشاطئ بطوفنا .. !

فقال أحد الرجلين :

– ما هى حقيقة الأمر بالنسبة لوالدك .. ؟
– لا شئ يا سيدى .. انه .. انه .. انه .. !

وهنا توقف الرجلان عن التجديف ، وكان
قاربهما قد أصبح قريبا من الطوف .. وقال أحدهما :
– لا تكذب يا غلام .. واخبرنا بحقيقة مرض
والدك .. قل الحقيقة ولا تكذب ..

- نعم يا سيدي .. سأقول الحقيقة بكل صدق ..
ولكنى أرجو مساعدتكما .. ويمكنكما أن تظلا
بعيدين عن الطوف .. !

وهنا قال أحد الرجلين :

- هيا بنا نرجع يا جون .. وابتعد عنا أيها
الغلام .. ان أباك مريض بمرض معد .. وأنت تعرف
ذلك وتحاول أن تخفيه علينا .. هل تريد أن تنشر
المرض فى هذه المنطقة .. ؟!

وأخيرا قلت وأنا أتنفس الصعداء وأبكي فى نفس
الوقت :

- سيدي .. عندما كنت أقول الحقيقة .. كان
الناس يفرون منا ولا يقدمون إلينا أية مساعدة .. !
- مسكين .. والآن اسمعنى جيدا .. وعليك أن
تفعل ما سوف أقوله لك .. عليك أن تسافر بالطوف
لمسافة عشرين ميلا وعندئذ ستصل الى مدينة .. وأخبر
الناس هناك بأن معك مرضى يعانون من الحمى والبرد

٠٠ وسأضع لك فى قاربك عشرين دولارا ذهبيا ٠٠ على
سبيل المساعدة ٠٠

وهنا قال الرجل الآخر :

– انتظر يا باركر ٠٠ فسوف أعطيه مبلغا آخر
مساعدة منى فى محنته ٠٠
وبعد أن وضع الرجل الثانى مبلغا آخر ٠٠

التفت الى وقال :

– وداعا يا غلام ٠٠ وعليك أن تنفذ ما قاله لك
مستر باركر ٠٠ وأتمنى لك حظا أفضل ٠٠ !
وابتعد الرجلان بقاربهما ٠٠ وجدفت بقاربى نحو
الطوف واعتليت ظهره ٠٠ ولكنى لم أجد جيم ٠٠ لقد
اختفى ! ٠٠ وصحبت مناديا :

– جيم !!

فرد على جيم هامسا :

– هأنذا يا هك ٠٠ هل ذهب الرجال ٠٠ ؟!

كان جيم قد اختفى في ماء النهر خلف الدفة ..
لقد غاص في الماء تماما وأبقى أنفه خارج الماء لكسى
يتنفس .. وبعد أن صعد جيم الى ظهر الطوف .. قال
مبتهجا :

- كيف ضحكت عليهم يا هك ؟ .. يالك من
ولد ذكى .. لقد أنقذت جيم مرة أخرى .. ان جيم لن
ينسى لك هذا الفضل اطلاقا !

وتحدثنا فيما سوف نعمله بهذه النقود .. وقال
جيم ان فى استطاعتنا الآن أن نركب الباخرة لنسافر
الى الولايات الحرة ومعنا نقود كافية ..

وقرب الفجر رسونا على الشاطئ .. وقضى جيم
النهار كله وهو يقوم بربط حاجياتنا فى شكل ربطات
يمكن حملها بسهولة استعدادا لمغادرة الطوف والسفر
بالباخرة .. وعندما بدأ الظلام ألقنا بالطوف مرة
أخرى .. وفى نحو الساعة العاشرة مساء شاهدنا
أضواء احدى المدن القريبة .. فأخذت القارب وجذفت

نحو الشاطئ لأستطلع الأمر .. ورأيت أحد الصيادين
فسأله :

— سيدى .. هل هذه مدينة كايرو .. ؟

فقال الصياد مندهشا :

— كايرو .. لابد أنك مجنون !

— اذن .. ما هو اسم هذه المدينة ..

— اذا كنت تريد أن تعرف فعليك بالذهاب الى
هناك لتعرف اسمها .. :

وجدفت نحو الطوف .. وبدأ جيم يشعر باليأس
والاحباط .. ولكنى طمأنته قائلا :

— لا داعى للقلق .. ولا بأس .. وقد نكون
كايرو هى المدينة التالية ..

ولكنى مع هذا بدأت أشك فى الأمر .. وكذلك
بدأ الشك أيضا يبدو واضحا فى ملامح جيم .. فقلت
يائسا :

- أخشى أن نكون قد مررنا على مدينة كايرو فى تلك الليلة التى كانت تغطيها الشبورة الكثيفة ٠٠ !

فقال جيم وقد يأس تماما :

- أرجو ألا نتحدث فى هذا الموضوع يا هك ٠٠
فأنا على يقين من أن سوء الحظ سيحدث حتما ٠٠ لقد
قلت لك أن لمس جلد الثعبان يؤدى دائما الى سوء
الحظ ٠٠ !

وعندما أشرق النهار ٠٠ رأينا بوضوح أننا قد
تجاوزنا بالفعل مدينة كايرو ٠٠ وتشاورنا فيما يجب
أن نعمله لمواجهة تلك المشكلة ٠٠ اننا لا نستطيع أن
نعود الى كايرو سيرا على الاقدام ٠٠ كذلك فمن المستحيل
أن نعود اليها بالطوف ٠٠ لأن الطوف لا يسير أبدا ضد
التيار ٠٠ والشئ الوحيد الذى يمكن أن يساعدنا هو
أن نترك الطوف ونركب القارب ٠٠ وأن نجدف ضد
التيار عدة ليال حتى نصل الى مدينة كايرو ٠٠

كان هذا هو الحل الوحيد ٠٠ لذلك فقد نمنا

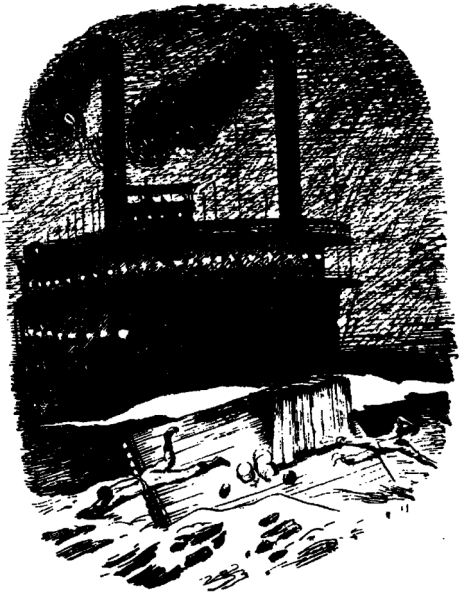
مختبئين بين الاعشاب طول النهار .. وفى الليل ذهبنا
الى حيث خبأنا الطوف .. ففوجئنا بأن القارب قد
اختفى !!

ولم ينطق أحدنا بكلمة .. ان هذا هو سوء الحظ
الحقيقى الذى جلبه علينا لمس جلد الثعبان .. فماذا
عسانا أن نصنع ..

ولم يعد أمامنا سوى أن نقلع بالطوف الى مكان
يمكننا فيه أن نبيعه أو نتخلص منه ثم نشترى قارباً
نجدف به ضد التيار حتى نصل الى كايرو .. وهكذا
أقلعنا بالطوف مرة أخرى بعد أن حل ظلام الليل ..

ولكنها كانت ليلة موحشة دامسة الظلام .. وفى
خلال ساعات قليلة هبطت شبورة كثيفة جدا جعلتنا
لا نرى شيئاً على الاطلاق .. لا مجرى النهر ولا الشاطئ
ولا الأنوار ولا أى شئ آخر ..

وفجأة سمعنا أصوات آلات إحدى السفن البخارية
وهي تقترب فى اتجاهنا .. فأسرعنا بإشعال المصباح
حتى تراءنا السفينة فلا تصطدم بنا .. ولكن ضوء



د همتنا الباخرة وانقلب الطوف ..

المصباح كان خابيا جدا وسط الصباب .. واقتربت
منا الباخرة التي كانت تبدو لنا كسحابة سوداء داكنة
.. وفي لمح البصر اصطدمت بنا بعنف ..

وكانت هناك صرخة .. أعقبها صوت جرس
الباخرة لايقاف آلاتها .. ثم بعض اللعنات والشتائم ..
وصوت الصفارة البخارية .. وبطبيعة الحال فقد قفز
جيم من أحد جوانب الطوف .. وقفزت أنا من الجانب
الآخر ..

وغصت في ماء النهر محاولا الوصول الى القاع
بأقصى سرعة حتى أتجنب عجلات المجاديف الآليسة
للباخرة .. وهي عجلات هائلة يتجاوز قطرها الثلاثين
قدما .. وكنت على وشك الموت غرقا عندما ارتفعت
مرة أخرى الى سطح النهر ..

ورغم الضباب فقد شاهدت الباخرة وقد ابتعدت
بعد أن عادت آلاتها الى العمل مرة أخرى .. فمثل هذه
السفن لا تعبأ بالأطواف ولا بمن يركبونها .. !

وناديت على جيم .. ولكنى لم اسمع له صوتا ..
فعاودت النداء مرات ومرات دون جدوى .. وبدأت
أسبح متجها نحو الشاطئ ..

وكانت أرض الشاطئ وعرة جدا .. ومع ذلك
فقد اضطررت للسير عليها لمسافة نحو ربع ميل .. الى
أن وصلت الى مشارف بيت من البيوت العريقة ذات
الطراز القديم .. وفجأة .. قفزت نحوى مجموعة من
الكلاب الضخمة أحاطت بى من كل جانب .. وكان على
أن اتوقف دون أن أجسر على التحرك ولو خطوة واحدة ..

الفصل السابع

الثأر ٠٠!

وبعد حوالى نصف دقيقة ، فتحت احدى النوافذ
ولم يطل منا أحد ٠٠ وسمعت صوتا يأتى من خلالها :
- من هناك ٠٠ ؟!

فقلت :

- أنا ٠٠ جورج جاكسون !
- وماذا تريد فى مثل هذه الساعة من الليل ٢٠٠
- لا أريد شيئا يا سيدى ٠٠ لقد سقطت فى
النهر من الباخرة التى عبرت منذ قليل ٠٠ !

- هل سقطت من الباخرة حقا .. اذن فلا تخف
فلن يؤذيك أحد .. ولكن ابق كما أنت ولا تحاول أن
تتحرك .. هيا يا بوب وانت يا توم .. احضرا
بنادقكما .. وانت يا جورج جاكسون هل معك أحد
آخر .. ؟

- لا يا سيدى .. فانا وحدي !
- جورج جاكسون .. هل تعرف عائله
شبردسون .. ؟

- لا يا سيدى .. لم أسمع عنها اطلاقا .. !

- طيب .. عليك الآن أن تتحرك ببطء شديد ..
واذا كان معك أحد فدعه يتحرك خلفك والا فسوف
نطلق عليه النار فورا .. وعليك أن تتقدم نحو الباب
.. وتفتحه فتحة صغيرة تكفى لمرورك الى الداخل ..
سامع !

وبدأت أتحرك خطوة خطوة .. وصعدت الدرجات
الثلاث المؤدية الى الباب .. وسمعت صوت فتح المزلج

والتاريس .. ودفعت الباب قليلا قليلا الى أن سمعت
صوتا يقول :

- يكفي هذا .. أدخل رأسك من فتحة الباب .. !
فأدخلت رأسي وأنا أشك في أنهم سوف
يقطعونها .. !

ولكن على ضوء احدى الشموع بالداخل شاهدتهم
وشاهدوني .. وفي خلال ربع دقيقة رأيتهم جميعا ..
رأيت رجلا ذا شعر رمادي وعمره نحو ستين عاما ..
ورجلين آخرين في حوالى الثلاثين .. كما رأيت سيدة
جميلة ذات شعر رمادي .. تقف خلفها فتاتان جميلتان
في سن الشباب .. وكانوا جميعا يرتدون ملابس
فاخرة .. وكان الرجال يصوبون بنادقهم نحوي .. !

وقال الرجل العجوز :

- لا بأس .. لا بأس .. أدخل !
وبمجرد أن دخلت قام باغلاق الباب بالملزاج
والتاريس مرة أخرى .. وأدخلوني الى حجرة الجلوس

وأخذوا يتفحصوننى بدقة ٠٠ وقالوا جميعا اننى لست
من عائلة شبردسون ٠٠ وعندئذ قال لى الجنتلمان
العجوز أن اعتبر نفسى كما لو كنت فى بيتى ٠٠ وطلب
منى أن أخبرهم بقصتى ٠٠

**وهنا قالت السيدة الجميلة ذات الشعر
الرمادى :**

— ولم العجلة يا ساؤل ٠٠ ان الغلام المسكين مبتل
عن آخره ٠٠ وربما كان جائعا ٠٠ !

— حقا ياراشيل ٠٠ لقد نسيت ٠٠

فقالت السيدة :

— فلتذهب احدى البنات لايقاظ بوك ولتخبره
بأن ٠٠ ولكن ٠٠ أوه ٠٠ ها هو بوك بنفسه قد حضر
٠٠ من فضلك يا بوك ٠٠ خذ هذا الغريب الصغير وأعطه
بعضا من ثيابك !

وكان بوك هذا غلاما فى مثل عمى ٠٠ فى نحو

الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة ٠٠ وقد جاء يتشاءب
ويدعك عينيه بيده ، ويجر بندقيته بيده الأخرى ٠٠

وتسأل بوك قائلا :

— أليس هناك أحد من عائلة شبردسون ٠٠
فهز الرجل العجوز رأسه ٠٠ وصعدت مع بوك
الى حجرته بالدور العلوى حيث أعطانى بعضا من
ملابسه فارتديتها بعد أن خلعت ملابسى المبتلة ٠٠
وسألنى بوك :

— كم من الوقت تنوى البقاء معنا ٠٠ أرجو أن
تبقى معنا بصفة مستديمة ٠٠ فسوف نقضى معا أوقاتا
حلوة طيبة ٠٠ فنحن الآن فى الاجازة المدرسية ٠٠ هل
أنت موافق على ذلك ٠٠ اذن تعال ٠٠

وعندما هبطنا الى الدور السفلى ٠٠ قدموا الى
طعاما لم أذق مثله فى حياتى ٠٠ قدموا خبزا مصنوعا
من القمح ٠٠ وقطعة كبيرة من اللحم البقرى ٠٠ وزبدا

.. وسلطة لبن .. وأخذوا جميعا يوجهون الى أسئلة كثيرة فاخترعت لهم قصة .. وقالوا لي أن في امكاني ان أبقى معهم لأي مدة أراها ..

ولأن الوقت قد أصبح متأخرا وأوشك النهار أن يطلع فقد توجهوا جميعا الى غرف نومهم .. وشاركت بوك في غرفة نومه ..

ولكن عندما استيقظت في الصباح ، فوجئت بأنني قد نسيت اسمي الذي ادعيت به بالأمس .. وعندما استيقظ بوك قلت له :

– هل تستطيع أن تتهجى الكلمات بطريقة صحيحة ؟؟ !

فقال علي الفور :

– طبعا .. !

– أراهن أنك لا تستطيع أن تتهجى اسمي ..

– أراهنك .. اني أستطيع .. فهجاء اسمك هو :

ج . و . ر . ج . ج . ا . ك . س . و . ن . ه ا ما رأيك ؟ !

وهكذا كتبت هجاء اسمى على ورقة .. حتى لا
أنساه بعد ذلك .. وحتى أستطيع هجاءه اذا طلب أحد
منى أن أفعل ذلك .

كانت العائلة طيبة جدا وراقية .. وكان البيت
الذى يعيشون فيه بيتا عظيما له يد من النحاس اللامع
مثبتة على بابهِ الخارجى .. أما غرفة الجلوس فكانت
رحبة واسعة تتصدرها مدفأة ضخمة تسع جذع شجرة
بأكملهِ .. وفوق جدار المدفأة وضعت ساعة جميلة ذات
دقات جميلة عندما تعمل .. وفى بعض الاحيان عندما
يقوم بتنظيفها أحد الساعاتية الذين يتجولون فى شوارع
المدن ليصلحوا الساعات ، فان الساعة كانت تدق عندئذ
مائة وخمسين دقة قبل أن تتوقف !

وكانت هناك بعض اللوحات الجميلة معلقة على
جدران غرفة الجلوس .. وقالوا لى ان هذه اللوحات
جميعها من رسم احدى بنات الأسرة التى ماتت منذ
فترة وكان عمرها لا يتجاوز خمسة عشر عاما ..
وقد لفتت نظرى احدى اللوحات الكبيرة ..

وقد قالوا لى ان الفتاة قد ماتت قبل أن تنتهى من رسمها ٠٠ وكانت اللوحة عبارة عن فتاة شابة ترتدى ملابس بيضاء ، تقف على سور أحد الكبارى متاهبة لالقاء نفسها فى النهر ٠٠ وكان شعرها يتطاير خلف ظهرها ٠٠ وكانت تنظر بوجهها نحو القمر الساطع بينما الدموع تترقرق فى عينيها ٠٠

والذى لفت نظرى فى تلك اللوحة ، أن الفتاة كان لها ذراعان مضمومتان الى صدرها ٠٠ وذراعان أخريان مفردتان عن آخرهما ٠٠ وذراعان تمتدان نحو القمر ٠٠ وكانت الفنانة تنوى اختيار أحد هذه الأوضاع على أن تقوم بمحو الأوضاع الأخرى للذراعين ٠٠ ولكن الفنانة قد ماتت قبل أن تقوم بهذا الاختيار ٠٠ والحقيقة أن الفتاة المرسومة فى اللوحة كانت ذات وجه صبور جميل ٠٠ ولكن أذرعها الكثيرة جعلتها تبدو مثل العنكبوت ٠٠ !

أما الكولونيل جرانجر فورد رب هذه الأسرة ، فقد كان « جنتلمان » بكل معانى الكلمة ٠٠ كان يبدو طويلا

ونحيفا ، وله وجه شاحب لوحته الشمس وحليق الذقن ،
وله شفتان رقيقتان فى غاية الرقة ، كما تتدلى سوافه
الرقيقة على خديه ٠٠ وله أنف دقيق يرتفع الى أعلى ،
وحاجبان كثيفا الشعر ، وعينان سوداوان عميقتان
تبدوان كما لو كانتا تطلان من كهف عميق غائر ٠٠ أما
شعر رأسه فقد كان مسترسلا حتى كتفيه ٠٠ وكانت
يداه طويلتين نحيفتين ٠٠

وفى كل يوم كان الكولونيل يحرص على ارتداء
قميص نظيف وحلة نظيفة بيضاء يكاد بياضها الشاهق
يؤذى العينين ٠٠ وفى أيام الآحاد كان يرتدى حلة زرقاء
يتحلى معطفها بأزرار نحاسية صفراء ٠٠ ويمسك فى يده
دائما عصا أنيقة ذات مقبض من الفضة الخالصة ٠٠ وعلى
وجه العموم فقد كان الكولونيل من ذلك النوع من
الرجال الذى يخيل اليك أنك تعرفه ، وتثق فيه ٠٠

أما الابن الأكبر بوب ، والابن الذى يليه توم ،
فقد كانا شابين متشابھين الى حد كبير ٠٠ كانا طويلين
ولهما اكتاف عريضة ، ووجهان أسمران وشعر طويل

أسود وعيون سوداء .. وكانا يرتديان حبللا بيضاء
ناصعة البياض مثل أبيهما .. ويلبسان دائما قبعات
عريضة من النوع المعروف باسم قبعات بناما ..

أما الابنة الكبرى الآنسة شارلوت فقد كانت فى
حوالى الخامسة والعشرين ، وتبدو جميلة طويلة ، فخورة
بنفسها ولديها احساس جارف بالعظمة ، وإذا غضبت
من شئ فانها تطلق من عينيها نظرات ثاقبة يمكن أن
تجمدك فى مكانك اذا وجهتها اليك ..

أما أختها الصغرى الآنسة صوفيا فكانت فى حوالى
العشرين ، وجميلة مثل أختها .. ولكن جمالها كان من
النوع اللطيف الرقيق الذى يفيض حلاوة وعذوبة .

وكان للأسرة أبناء ثلاثة آخرون ، ولكنهم قتلوا
جميعا واحدا بعد الآخر .. كما كانت هناك أيضا الابنة
اميلين التى توفيت .

وكانت الأسرة تمتلك مزارع واسعة ولديها أكثر
من مائة خادم .. وفى كثير من الأحيان كان بعض أقارب

الاسرة يحضرون على ظهور الخيل ، قادمين من المناطق
المجاورة التى لا تبعد أكثر من عشرة اميال أو خمسة
عشر ميلا . . .

وكان هؤلاء الاقارب يقيمون لدى الأسرة نحو خمسة
أو ستة أيام . . . يعقدون خلالها حفلات مرححة قرب
شاطئ النهر ، أو يتناولون الغداء فى الغابات القريبة ،
ويقيمون حفلات الرقص فى البيت فى كل مساء . . . وقد
لاحظت أن جميع الرجال كانوا يحملون بنادقهم فى
جميع الأحوال . . . حقا لقد كانت أسرة عظيمة !

وكانت هناك نحو خمس أو ست أسر من الطبقة
العليا تعيش فى المناطق المجاورة . . . وكانت أهمها أسرة
شبردسون ، وهى أسرة عظيمة واسعة الثراء مثل أسرة
جرانجرفورد . . . وقد شاهدت بعض أفراد من تلك
الاسرة وهم يركبون البواخر مع أفراد آخرين من أسرة
جرانجرفورد . . .

وفى أحد الأيام ، بينما كنا أنا وبوك نقوم بالصيد

فى احدى الغابات القريبة ٠٠ سمعنا وقع حوافر أحد
الخيول قرب الطريق ٠٠ وهنا قال بوك بسرعة :
— هيا ٠٠ فلنختبئ فى الغابة فوراً ٠٠ !

واختبأنا ٠٠ وأخذنا نراقب الطريق بحذر ٠٠
وشاهدنا فتى أنيقاً يمتطى ظهر حصانه وكان يحمل
بندقية ٠٠ وأخبرنى بوك أن هذا الفتى هو هارنى
شبردسون ٠٠ وبعد فترة قصيرة أطلق بوك بندقيته
فطارت قبة هارنى وسقطت على الأرض دون أن يصبه
أذى ٠٠

وعلى الفور انطلق هارنى نحو المكان الذى اختبأنا
فيه ٠٠ ولكننا أسرعنا بالفرار ٠٠ ولأن الغابة لم تكن
كثيفة ، وحتى أتخاشى الاصابة ، كنت أنظر خلفى بين
حين وآخر ، وشاهدت هارنى وهو يطلق الرصاص مرتين
نحو بوك ٠٠ ثم استدار أخيراً وانصرف ، ولكننا مع
ذلك واصلنا الجرى ولم نتوقف الا بعد أن وصلنا الى
البيت ٠٠

وبعد أن قام بوك بإخبار الأسرة بقصة اطلاق الرصاص على هارنى شبردسون ، ظهرت بعض ملامح السرور على وجه الأب . . ولكنه قال بهدوء :

— أنا لا أحب اطلاق الرصاص من وراء الظهر . .
لماذا لم تتقدم اليه وتواجهه وجها لوجه . . ؟!

فقال بوك :

— ان عائلة شبردسون تطلق النار من وراء ظهورنا يا أبى . . وهم بذلك يحصلون على أفضل فرصة .

وكانت الأنسة شارلوت تسمع هذه الحكاية وقد رفعت رأسها الى أعلى وتبدو مثل الملكة . . أما الابنان الكبيران فلم يقولوا شيئا . . وقد لاحظت أن وجه الأنسة صوفيا قد أصبح شاحبا وهى تسمع هذه القصة . . ولكن وجهها عاد الى لونه الطبيعى بعد أن علمت أن هارنى شبردسون لم يصب بسوء !

وعندما أصبحنا وحدنا .. أنا وبوك .. سألته :

— هل كنت تريد أن تقتله حقا يا بوك .. ؟

— طبعاً .. !

— ولماذا كنت تريد أن تقتله .. هل فعل ضدك

شيئاً أغضبك .. ؟

— هو ؟! .. انه لم يفعل شيئاً .

— اذن .. لماذا تقتله .. ؟

— بسبب النار !

— النار ؟ .. ما هو النار ؟!

— آه . نفرض أن هناك رجلاً تشاجر مع رجل

آخر وقتله .. فيقوم أخو القتيل بقتل القاتل .. ثم

يبدأ الاخوة وأبناء العمومة من كلا الطرفين في قتل

بعضهم بعضاً .. واحدا وراء الآخر .. وهكذا يظل

النار بينهم حتى يقتل الجميع .. وعندئذ ينتهى النار ..

ولكن ذلك يستغرق وقتاً طويلاً !

– ومتى بدأ الثار بينكم وبين عائلة شبردسون
يا بوك ٠٠ ؟

– بدأ منذ مدة طويلة ٠٠ منذ نحو ثلاثين عاما ٠٠
كانت هناك مشكلة تتعلق بشيء ما ٠٠ ورفعت بشأن
تلك المشكلة دعوى قضائية أمام المحكمة ٠٠ وبطبيعة
الحال فقد حكمت المحكمة لصالح أحد الطرفين
المتخاصمين ٠٠ فقام الطرف الذي خسر القضية بقتل
الطرف الذي كسبها ٠٠ وهذا أمر طبيعي ٠٠ وهكذا
بدأ الثار بين الطرفين ٠٠

– ولكن من هو الطرف الذي بدأ القتل ٠٠ هل
هو من عائلتكم أم من عائلة شبردسون ٠٠ ؟!

– لا أدري ٠٠ ولكنى أظن أن أبى يعرف ذلك ٠٠
كما يعرفه بعض كبار الاسرتين ٠٠ ولكنهم جميعا
لا يعرفون ما هو أصل المشكلة التى حدثت فى
البداية ٠٠ !

– وهل قتل رجال كثيرون ٠٠ ؟

– نعم ٠٠ ولكن البعض كانوا يفلتون من القتل

.. فقد أصيب أبى بعدة طلقات .. كما طعن بوب
بسكين .. كذلك فقد أصيب توم مرة أو مرتين ..
- وهل حدث قتل فى هذه السنة .. ؟
- نعم .. قتل واحد من عندنا .. وواحد من
عندهم !

وفى صباح يوم الأحد التالى .. ذهبنا جميعا الى
الكنيسة التى تبعد نحو ثلاثة أميال عن البيت .. وكنا
جميعا نمتطى ظهور الخيل .. وعندما جلسنا بقاعة
الكنيسة كان الرجال يضعون بنادقهم بين أرجلهم أو
يسندونها على الحائط بجانبهم .. وكذلك فعل جميع
الرجال الآخرين من عائلة شبردسون ..

وعندما عدنا الى البيت تناولنا الغداء .. وبعد
نحو ساعة بدأ الجميع ينعمسون ويرغبون فى النوم ..
واستلقى بوك على أعشاب الحديقة وبدأ ينام بجوار
الكلب الذى كان مستلقيا هو الآخر على العشب .
وصعدت الى الغرفة العلوية لاستريح قليلا ..

وهناك فوجئت بوجود الآنسة صوفيا التي سألتني
هامسة اذا كنت أستطيع أن أتسلل بهدوء ودون أن
أخبر أحدا ، وأذهب الى الكنيسة لاحضر كتاب الصلاة
الخاص بها ، والذي نسيته على المقعد الذي كانت تجلس
عليه . . فاجبتها بأنى أستطيع ذلك بالطبع . . وذهبت
الى الكنيسة . .

والحقيقة أنى بدأت أشك فى الأمر ، وقلت لى نفسى
انه ليس من الطبيعى أن تهتم احدى الفتيات بكتاب
صلواتها على مثل هذا النحو . . وعندما عثرت على
الكتاب تصفحته بسرعة ، فوجدت بين صفحاته ورقة
صغيرة كتب عليها بالقلم الرصاص : « الساعة الثانية
والنصف » . . ولم أستطع أن أستنتج شيئا . .
فوضعت الورقة فى مكانها بين صفحات الكتاب . .

وفور عودتى الى البيت ، صعدت الى الحججرة
العلوية ، فوجدت الآنسة صوفيا فى انتظارى . . وأخذت
الكتاب وقرأت الورقة فلمعت عيناها بسرور ، وقالت

لى انى أحسن ولد فى هذا العالم .. وإن على أن
احتفظ بهذا السر ولا أخبر به أحدا ..

وبعد ذلك غادرت البيت وأخذت أتمشى على
شاطئ النهر وأنا أقلب هذا الموضوع الغريب فى
ذهنى .. ولكنى لاحظت أن جاك الحادم الزنجى الخاص
ببوك كان يتبعنى .. وعندما ابتعدت عن البيت كثيرا
لاحظت أن جاك قد بدأ يجرى نحوى ، وقال بانفاس
لاهثة :

- سيدى مستر جورج .. اذا جئت معى ..
سأريك مكانا تكثر به ثعابين السمك ! ..

وسرت معه نحو ميل أو أكثر فى منطقة تكثر
فيها الحفر العميقة المملوءة بالطين .. الى أن وصلنا الى
رقعة مسطحة من الأرض الجافة مملوءة بأشجار وشجيرات
وأعشاب كثيفة .. وهنا قال جاك :

- مستر جورج .. اذا دخلت بين هذه الأعشاب
فسوف تجد ما أخبرتك به .. !

وانصرف جاك عائدا الى البيت .. ودخلت على
الفور بين تلك الأعشاب .. وعلى مسافة قريبة رأيت
مساحة صغيرة مستوية من الأرض ورجلا نائما ..
وفوجئت بأن هذا الرجل النائم هو جيم العجوز
بنفسه !!

وأيقظته وأنا على اعتقاد بأن رؤيته لى ستسبب له
دهشة كبيرة .. ولكنه صاح فرحا واستقبلنى بسرور
عظيم .. ولكنه لم يندهش .. بل بدا وكأنه كان ينتظر
حضورى !..

ثم بدأ يحكى الحكاية :

- لقد سبحت خلفك فى تلك الليلة .. وسمعتك
وأنت تنادى على عدة مرات .. ولكنى لم أستطع أن
أجيب حتى لا يقبض على أحد .. ولقد أصبت إصابة
بسيطة ولكنها جعلتنى أصبح ببطء .. واعتقدت أننى

سأستطيع اللحاق بك عند الشاطئ .. وتتبعك ..
ورأيتك تدخل الى البيت .. فاختبأت فى الغابة القريبة
حتى الصباح .. وانتظرتك .. ودلنى بعض العمال
الزراعيين على هذا المكان الذى أختبئ فيه الآن ..
وكانوا يحضرون الى الطعام كل ليلة .. وكانوا
يخبروننى بأحوالك بصفة مستمرة .. !

وهنا سألته مندهشا :

— ولكن لماذا لم تطلب من جاك أن أحضر اليك
فورا .. ؟

فقال بهدوء :

— كنت لا أريد أن أعكر صفوك .. كما كان من
الضرورى أن يمر وقت كاف لنصبح مستعدين تماما .
والآن أصبحنا مستعدين .. فقد اشتريت بعض الطعام
وأوعية ومقلاة .. كما أصلحت الطوف الذى ...

– طوف ٠٠ أى طوف يا جيم ١٩٠٠!

– طوفنا القديم ٠٠ !

– طوفنا ١٩! هل تقصد أنه لم يتحطم وما زال سليما ٠٠ ١٩!

– نعم ٠٠ لقد حدثت بعض التلفيات البسيطة فى مؤخرته فأصلحتها ٠٠ رغم أننا قد فقدنا جميع حاجياتنا فى هذا الحادث .

– ولكن كيف عثرت على الطوف مرة أخرى ٠٠ ؟

– لقد عثر عليه بعض الزنوج وخبأوه فى مكان بالنهر تكثر به الأعشاب بالقرب من الشاطئ .

لا أريد أن أطيل الحديث عما حدث فى اليوم التالى ٠٠ ولكن عندما استيقظت فى الصباح ٠٠ لاحظت ان بوك قد سبقنى فى الاستيقاظ وخرج ٠٠ وعندما هبطت الى الدور السفلى لاحظت أن البيت كان ساكنا تماما ولم أر أحدا ٠٠ لقد اختفى الجميع ٠٠ !

وقرب كومة من الأخشاب فى الفناء الخارجى
رأيت جاك واقفا فسأله :

— ماذا جرى يا جاك ؟

فقال جاك فى اهتمام :

— لقد هربت الأنسة صوفيا يا مستر جورج ..
هربت لتتزوج من الشاب هارنى شبرادسون .. وقد
اكتشفت الاسرة هربها منذ نصف ساعة فقط .. فركب
الجميع خيولهم وأخذوا بنادقهم وانطلقوا .. وذهبت
السيدات لتحريض أقارب الاسرة .. أما سيدى
الكولونيل فقد ذهب ومعه ابنه الى شاطئ النهر
ليتبعبوا هارنى شبرادسون ويقتلونه قبل أن يعبر النهر
ومعه الأنسة صوفيا ..

وأسرعت بالذهاب الى شاطئ النهر .. وهناك
سمعت طلقات الرصاص .. فاعتليت كومة كبيرة من
جذوع الأشجار المقطوعة كانت موجودة فى مكان قريب
من مرسى البواخر وأخذت أراقب ما يحدث ..

كانت هناك مجموعة من نحو أربعة أو خمسة رجال يركبون الخيل ويريدون الهجوم على شابين صغيرين كانا يختفيان وراء كومة من الأخشاب مواجهة لمسى البواخر ٠٠ وكان الشابان جالسين على الأرض ظهرا لظهر ليرقبا الطريق من ناحيته ٠٠

وتوقف راكبو الخيول لحظة ، ثم استداروا ليهجموا على كومة الأخشاب من الجهة الخلفية ولكن أحد الشابين نهض واقفا وصوب بندقيته نحو الرجال وأطلقها ، فسقط أحد الرجال المهاجمين من فوق حصانه ٠٠ ونزل الرجال الآخرون من فوق ظهور خيولهم وحملوا الرجل المصاب الى مكان ما خلف أحد المخازن .

وفي هذه اللحظة انطلق الشابان وأخذا يجريان نحو كومة الخشب التي أعلاوها ٠٠ واختبأ خلفها ٠٠ ومن هذا المكان أصبح الشابان في وضع أفضل من قبل ٠٠ وكان أحدهما هو بوك ٠٠ أما الشاب الآخر فقد كان في حوالى التاسعة عشرة من عمره ٠٠

وانطلق الرجال المهاجمون بخيولهم الى أن اختفوا
عن نظرى .. وعندئذ ناديت على بوك الذى اندهش
كثيرا لسماع صوتى من أعلى الكومة ثم طلب منى أن
أرقب الطريق من مكانى المرتفع ، وأن انبهه اذا عاد
الرجال مرة أخرى ..

فى حقيقة الأمر كنت أريد أن أنزل من فوق كومة
جذوع الاشجار ، وأذهب الى أى مكان آخر ، ولكنى
لم أعد الآن أستطيع ذلك .. وسألت بوك عما جرى
لهارنى والآنسة صوفيا .. فأخبرنى بأنهما أفلتا وعبرا
آمنين الى الشاطئ الآخر .. وقد فرحت لسماع هذا
النبا .. ولكن بوك أخذ يلعن اليوم الذى تمكن فيه
من اطلاق النار على هارنى ولم يصبه ..

وفجأة .. بوم بوم بوم ! ..

انطلقت ثلاث أو أربع بنادق .. وظهر الرجال وهم
يمشون على أقدامهم بدون خيول قادمين من ناحية
الغابة .. لقد أصبحوا فى مواجهة الشابين تماما ..
وهنا اندفع الشبان وقفزا الى النهر ، فانطلق نحوهما

الرجال المهاجمون وهم يطلقون الرصاص ويصيحون :
اقتلوهما .. اقتلوهما .. !

وقد أصابتني تلك المفاجأة بالدوخة .. حتى كدت
أسقط من فوق الكومة .. ولكنى تماسكت بصعوبة
.. وبقيت فى موقعى هذا خائفا دون حركة حتى حل
ظلام الليل .. وكنت أفكر فى انى الملموم فى كل
ما حدث .. وأصبت بحالة من البؤس .. وقررت الا
أعود مرة أخرى الى بيت هذه الأسرة .. وأخذت الوم
نفسى .. ألم يكن من الواجب أن أخبر الأب بأمر تلك
الورقة التى وضعت بين صفحات كتاب الصلاة ..
ويأمر هذا الطلب الغريب الذى طلبته منى ابنته ..
انه كان على الأقل سيصبح قادرا على أن يغلق عليها
الباب ويمنعها من الفرار .. ويمنع بالتالى حدوث
تلك المصيبة وكل تلك المتاعب .. ؟

وعندما هبطت فى الظلام من فوق الكومة ..
أخذت ازحف بحذر نحو الشاطئ .. ورأيت جثتى
الشابين منبطحتين فى المياه الضحلة قرب الشاطئ ..

فسحبتهما الى الأرض حتى لا يجرفهما التيار ..
وبكيت عندما كنت أغطي وجه بوك .. لقد كان فتى
طيبا وعاملنى بكل لطف ..

ووسط الظلام الحالك .. أخذت طريقى الى المكان
الذى يختبئ فيه جيم .. ولكنى لم أعثر له على أثر
.. فأسرعت الى المكان الذى خبأنا فيه الطوف وأنا
مشتاق تماما الى أن ألقى بنفسى فوق ظهره وأغادر هذا
المكان الفظيع بلا رجعة .. ولكنى فوجئت بأن الطوف
قد اختفى .. وعندئذ انتابنى الخوف والفرع وكدت
أبكى ..

ولكنى سمعت صوتا يقول :

— حمدا لله .. هانت ذا يا صديقى مرة أخرى .

لقد كان صوت جيم .. يأتى من الماء قرب
شاطيء النهر .. فاندفعت نحو الشاطئ بسرعة ،
والقيت بنفسى فوق ظهر الطوف .. وأخذنى جيم بين
أعضائه وهو يربت على ظهري ويقول :

- باركك الله يا بنى .. لقد كنت أظن أنك
قتلت مرة أخرى .. وكدت أقلق بالطوف منذ لحظة ..
متجها صوب مصب النهر .. وكنت على استعداد
للاقلاع بمجرد وصول جاك ليؤكد لي أنك قد قتلت
فعلا .. ولكن حمدا لله .. كم أنا مسرور بعودتك
سالما يا صديقى العزيز ..

ومع ذلك فلم أشعر بالاطمئنان الا بعد أن أصبحنا
فى وسط النهر وعلى بعد نحو ميلين من ذلك المكان
الفضيع .. !

وعلقنا مصباحنا المضى فوق عمود الطوف ..
وانطلقنا مع التيار ونحن نشعر بأننا قد استعدنا
حريتنا مرة أخرى وأصبحنا أكثر أمنا ..

ولم أكن قد تناولت أى طعام منذ الأمس ..
فقام جيم وأعد لنا عشاء طيبا .. وكم أصبحت
مسرورا بتخلصى نهائيا من مشاكل الثار .. وتخلصى

جيم أيضا من الاختباء فى الطين ٠٠ وأخذنا نقول
لأنفسنا : ليس هناك مكان فى العالم ٠٠ أفضل من
ركوب الطوف ٠٠ حيث نشعر بالحرية والبساطة
والراحة ٠٠ !!

الفصل الثامن

اثنان من الأوغاد ٠٠!

ومرت ليلتان أو ثلاث ليال ٠٠ وكان الوقت يمر
لطيفا كمر السحاب ٠٠ كله هدوء ولطف وسعادة ٠٠
وكان مجرى النهر يتسع فى بعض المناطق حتى يبلغ
نحو الميل ونصف الميل فى الاتساع ٠٠

كنا نقلع بالطوف بمجرد أن يبدأ الظلام ٠٠
وقبل طلوع الفجر بقليل ، كنا نرسو بالطوف فى أية
منطقة رملية قرب الشاطئ ٠٠ ثم نخفيه عن الانظار
ببعض الاعشاب وفروع الشجر ٠٠ وبعد ذلك ننصب

السنانير لاصطياد الأسماك ، وتركها تؤدي دورها
دون أن نبذل من جانبنا أي تعب أو عناء ..

ونبدأ بعدئذ في السباحة لنروح عن أنفسنا
ونغسل متاعبنا في ماء النهر .. ولنراقب قرص
الشمس وهو يشرق في الأفق .. ونتمتع بالنسيم
الذي يهب بلطف ونعومة .. والهواء النقي البديع
الذي يحمل الى أنوفنا رائحة الزهور وأشجار
الغابات ..

ثم نشعل نارا صغيرة لا تلفت النظر ، نطهو
عليها بعض الأسماك التي اصطادتها السنانير ،
ونتناول افطارا شهيا ساخنا .. ثم نجلس لتأمل في
صمت النهر ووحدته .. وفي المساحات الشاسعة
المترامية على مدى البصر .. الى أن يتسلل الى عيوننا
النعاس فننام .. ثم نستيقظ فترة ونواصل بعدها
النوم من جديد ..

وعندما يحل ظلام الليل .. نشرق في الاقلاع
بالطوف مرة أخرى .. وعندما يصبح الطوف في
منتصف النهر تماما نتركه يسبح في حرية مع التيار
.. ونبدأ في التدخين ونحن ندلى أرجلنا في ماء
النهر ، ونتحدث طويلا في جميع أنواع الموضوعات
وعن جميع أنواع الأشياء .. وأحيانا كنا نتخيل أن
النهر قد أصبح ملكنا لزمان طويل قادم .. وأحيانا
أخرى كنا نشاهد باخرة أو باخرتين تمخران عباب
النهر قربنا ..

وفي صباح أحد الأيام ، عثرت على قارب فركبته
وأخذت أجدف نحو مكان آخر من الشاطئ آملا في
العثور على بعض أشجار التوت لأجمع منها بعض
الثمار ..

وفجأة رايت رجلين يجريان نحوي وقد تقطعت
أنفاسهما من شدة التعب . وتوسل الى الرجلان لكي
أنقذ حياتهما .. وأخبراني أن الناس والكلاب

قادمون خلفهما ويتعقبون أثرهما .. فأركبتهما
بالقارب ، وجدفت نحو الطوف ..

كان الرجل الأول عجوزا فى نحو السبعين من
عمره ، له سوائف كثيفة من الشعر الأشيب .. بينما
كان رأسه خاليا من الشعر على الإطلاق .. أما الرجل
الثانى فقد كان شابا فى نحو الثلاثين .. وكان كل
منهما يحمل معه حقائب كبيرة .

وسمعت حديثا غريبا دار بين الرجلين .. فقد
قال العجوز ذو السوائف البيضاء لزميله :

— ما هى قصتك .. وما هو سبب متاعبك ؟

فاجاب الشاب :

— كنت أبيع مادة أدعى أنها تنظف القذارة
المتراكمة على الاسنان وتمنع تسوسها .. ولكن هذه
المادة وان كانت تنظف صدا الأسنان فعلا ، الا أنها
كانت تمحو السطح الخارجى للأسنان أيضا وتسبب

بعض الألم .. ويظهر أنني قد بقيت في ذلك المكان
أكثر من الوقت المناسب .. وعندما اكتشفوا أمر تلك
المادة بدأوا يطاردونني ، فجريت الى أن صادفتك عند
الناصية وأنت تجري أيضا .. وأخبرتني أنهم قادمون
من تلك الناحية وقلت لنفسي لنجري معا .. هذه هي
قصتي .. والآن .. ما هي قصتك أنت ؟!

فقال العجوز ذو السوالم البيضاء :

— لقد جئت الى ذلك المكان منذ حوالى اسبوع ..
وفي كل ليلة كنت أعقد للناس محاضرة ضد الخمر
والمسكرات وأبين للناس مضارها وأثارها السيئة ..
ونظير ذلك كنت أحصل على ستة دولارات في كل
محاضرة .. ثم انتشر بين هؤلاء الناس خبر يؤكد لهم
أننى أشرب الخمر سرا .. وفي صباح هذا اليوم ،
أيقظنى أحد الزنوج وأخبرنى أن الناس سوف
يقبضون على ويجرسوننى .. وسوف يدهنون جسمى
بالزفت ويفطوننى بريش الطيور ليسخروا منى فى

جميع أنحاء القرية .. لذلك فقد شرعت فى الهرب
والفرار فوراً ، دون أن أنتظر حتى لتناول افطاري ..
رغم انى كنت ومازلت جائعا حتى الآن .. !

وهنا قال الشاب :

- أيها الرجل العجوز .. لا بد أن نضم قواتنا
ونعمل سوياً .. !

فتساءل ذو السوالف :

- ولكن ما هو عملك الأساسى ؟

- مطبجى .. وأحياناً أعمل كطبيب يداوى
الجروح والأمراض .. أو ممثل ، أو أقوم بتدريس
الغناء والجغرافيا .. وللتغيير كنت أقوم فى بعض
الأحيان بالقاء الخطب والأحاديث فى أى موضوع من
الموضوعات وبمقابل معقول .. وأنت .. ما هو عملك
الأساسى ؟

فقال العجوز :

— آه ٠٠ أحيانا كنت أعمل كطبيب لمداداة جميع أنواع الأمراض ٠٠ وأستطيع أن أتنبأ بالبخت وأرى الطالع اذا وجدت شخصا يعمل معى فى هذا المجال ليزودنى سرا بالمعلومات التى يمكنه تجميعها ٠٠ وفى أحيان كثيرة كنت أعمل فى القاء الخطب والمواظظ ٠٠ ! وبعد فترة قصيرة ساد فيها الصمت ٠٠ تنهد الشاب بعمق وقال :

— خلاص ٠٠ لقد ضاع كل شئ ٠٠ !

فتساءل الرجل العجوز :

— لماذا ٠٠ وما هذا الشئ الذى ضاع منك ٠٠ ؟

فقال الشاب وهو يمسح طرف إحدى عينيه بخرقة بالية :

— انى أفكر فيما آلت اليه أحوالى ٠٠ وهذه الحياة البائسة التى كتب على أن أحيها ٠٠ لقد أخذت

منى الدنيا كل شيء .. أخذت أحبابى .. أخذت
ممتلكاتى .. أخذت كل شيء .. كل شيء .. ولكنها
لن تستطيع أن تأخذ منى قبرى .. ففى يوم ما سأرقد
فى هذا القبر ومعى قلبى المحطم المسكين .. ولكنى
سأستريح من كل هذه المتاعب .. !

فقال الرجل العجوز بغضب :

- ولماذا تلقى علينا بهومك هذه .. اننا لم
نصنع لك شيئا يسيئك .. ؟

- نعم أعرف أنكم لم تصنعوا شيئا ضدى ..
وأنتى السبب فى كل المتاعب التى جررتها على نفسى
.. انكم لن تصدقوا ما سوف أقول .. اذا أخبرتكم
بسر عراقة مولدى .. !

- سر عراقة مولدك .. ما هو هذا السر .. ؟

فقال الشاب بوقار شديد لا يخلو من الاحساس
بالعظمة :

- أيها السادة .. سأخبركم بحقيقة أمرى ..

فأنا أحمل لقب دوق بحكم القانون .. !

وكدنا نسقط أنا وجيم على سطح الطوف من
شدة الدهشة .. وواصل الشاب حديثه قائلا :

- نعم .. أيها السادة .. نعم .. فان جدى

الأكبر كان الابن البكر الأكبر لدوق بريدج ووتر ..

ولقد جاء جدى الى هذه البلاد فى أواخر القرن الماضى

يتنفس نسيم الحرية .. وتزوج هنا .. وأنجب ابنا

.. ثم مات .. وفى الوقت نفسه مات أبوه الدوق فى

انجلترا .. ولكن الابن الأصغر لهذا الدوق استولى

بطريقة غير شرعية على لقب الدوق وعلى جميع ممتلكاته

.. دون أن يضع أحد فى الاعتبار أى حقوق لابن

جدى الأكبر الذى يعتبر بحكم القانون صاحب الحق

الأول فى ميراث الممتلكات واللقب .. وأنا ايها

السادة .. الابن الأكبر لهذا الابن .. ومن حقى

شرعا أن أحمل لقب دوق بريدج ووتر .. ومع هذا

كله .. فهأنذا أمامكم الآن وقد سلب منى الحق فى

حمل هذا اللقب الرفيع .. وأعيش حياة لا تتناسب
مع مقامي .. حيث يطاردني الناس ويلعنونني ...
أرتدى أسملا ممزقة .. كسير القلب .. مضطرا الى
مصاحبة بعض المجرمين على هذا الطوف الحقيير .. !
وأخذنا أنا وجيم نحاول تهدئته وتطيب خاطره
ونعلن أننا على استعداد لتقديم أية مساعدة له في
محتنه .. ولكنه قال لنا :

— وما فائدة هذا كله .. ومع ذلك اذا أردتم أن
تطيبوا خاطري فعلا .. فيجب ان تعترفوا بي كدوق
شرعي .. واذا خاطبني احدكما ، فليقل لي يا سعادة
اللورد .. أو يا صاحب السعادة .. وأن ينحني
أمامي باحترام .. وأن يكون احدكما في خدمتي حين
أتناول طعامي .. وينفذ ما أطلبه منه من طلبات
بسيطة ..

وقد رأينا أن كل هذه الطلبات سهلة ، فوافقنا
عليها وبدأنا نعامله على هذا الأساس .. ولكن يبدو
أن الرجل العجوز لم يكن مستريحا الى هذا المركز

الرفيع الذى حصل عليه زميله الشاب .. فجلمن يفكر
فى الأمر ، ولكنه ظل صامتا ..

وبعد الظهر أقترب العجوز من الشاب وقال له
بهلوه :

— لقد أسفت لحالك يا دوق بريدج ووتر ..
ومع ذلك فأنت لست الشخص الوحيد الذى سلبت
منه ممتلكاته وحقوقه وألقابه الرفيعة ..

وبدأ الرجل العجوز فى البكاء وسالت الدموع
من عينيه .. ومع ذلك فقد واصل حديثه وهو يتنهد
ويثن بصوت خفيض :

— دوق بريدج ووتر .. هل يمكننى أن أثق
فيك .. ؟!

فقال الدوق :

— بلا شك .. بلا شك !

— اذن .. دوق برينج ووتر .. انى اعترف
لك بانى المرحوم « دوفين » (١) .. !

وأخذنا أنا وجيم نحملق فى الرجل العجوز
بدهشة شديدة .. وانتفض الدوق متسائلا :

— أنت .. من !؟

وقال الرجل العجوز وهو يكفكف دموع عينيه :

— نعم يا صديقى العزيز .. انك ترى الآن أمامك
« دوفين » الابن الأكبر للويس السادس عشر ومارى
انطوانيت والذى قيل انه اختفى .. أنا لويس السابع
عشر ملك فرنسا .. شرعا وقانونا .. !

ولم ندر أنا وجيم ماذا نصنع أمام هذا الملك
الجديد .. ولكننا أخذنا نطيب خاطره ونبدى له بعض
الحزن على حاله .. واستعدادنا لمعاونته .. فقال

(١) دوفين : هو اللقب الرسمى الذى يمنح لابن البكر لملك
فرنسا .

بتواضع شديد انه سيسريح لو عاملناه طبقا لحقوقه الملكية الشرعية .. وأن علينا أن نركع أمامه عندما نحدثه .. وأن نناديه بلقب « صاحب الجلالة » .. وأن نبقي في خدمته لتلبية طلباته أثناء تناوله للطعام .. وألا يجلس أحدنا في حضوره الا اذا سمح لنا بالجلوس ..

وهكذا قبلنا أنا وجيم أن نعامل الملك بهذه الطريقة .. وقد لاحظت أن الدوق قد بدأ يشعر بالمرارة لحصول الرجل العجوز على مركز أعلى من مركزه ، وتفوقه عليه بهذا الشكل الساحق ..

وبعد لحظات ، قال الملك المدوق :

— دوق بريدج ووتر .. فلتمد يدك لنتصافح ولنبدأ صداقة مخلصه !

وفرحنا أنا وجيم بأن السلام قد بدأ يرفرف على الطوف ومن فيه ..

وبطبيعة الحال لم يمض وقت طويل حتى تبين
لـ أن هذين الكذابين ليسا من الملوك ولا الدوقات . .
وما هما الا اثنين من النصابين الأوغاد . . ومع ذلك فلم
أقل شيئا لعدم أهمية هذا الموضوع . . فإذا كان
هذان الـوغدان يريدان أن نعاملهما معاملة الملوك
والدوقات ، فلا مانع لدينا في ذلك . . مادامت هذه
المعاملة مستحقة السلام والوثام بيننا جميعا . . !

الفصل التاسع

الوعدان .. على المسرح !

وبدأ الملك والدوق يوجهان الينا الكثير من الاسئلة .. لماذا نقلق فى ظلام الليل ونخفى الطوف أثناء النهار ؟ .. وهل جيم عبد هارب ؟ .. ولكنهما مع ذلك لم يبيديا اهتماما كبيرا بالاجابات .. وبعد أن تناولنا طعام الافطار قال الدوق للملك :

— هل قمت بالتمثيل يوما فى المسرح الملكى ؟ .. !

فقال الملك :

— لا .. أبدا .. !

- اذن .. فسوف تشترك معى فى التمثيل ..
وعندما نصل الى أول مدينة صغيرة قادمة .. سنقوم
باستئجار احدى القاعات لنقدم على مسرحها مشهد
المبارزة بالسيوف من مسرحية ريتشارد الثالث ،
ومشهد المناجاة فى البلكونة من مسرحية روميو
وجولييت لشيكسبير ..

- انى لا أعرف أى شىء عن فن التمثيل يا دوق
بريدج ووتر .. فهل يمكنك أن تقوم بتعليمى
وتدريبى .. ؟

- طبعاً .. وبكل سهولة .

- اذن .. فلنبداً الآن .. فأنا جاهز !

وهنا قال الدوق إنه سيمثل دور روميو ..
وسيقوم الملك العجوز بتمثيل دور جولييت ! .. فقال
الملك مترددا :

- ولكن يا سعادة الدوق .. ان جولييت كانت
شابة صغيرة .. وأنا عجوز أصلع بلا شعر فى رأسى

٠٠ وسوالفى الكبيرة من الشعر الأبيض الشائب تغطى
خدى ٠٠ ألن يبدو ذلك غريباً وأنا أقوم بدور
جولييت ٠٠ ١٩

فقال الدوق بلا تردد :

— هذا لا يهم على الإطلاق ٠٠ فهؤلاء الفلاحون
البسطاء لا يفكرون فى شىء من ذلك ٠٠ بالاضافة الى
أنك سترتدى ملابس أخرى وستضع على وجهك بعض
المكياج والألوان والمساحيق ٠٠ كل ذلك سيجعلك من
عالم مختلف ٠٠ !

وأخرج الدوق من حقيبتة بعض ملابس التمثيل
والأدوات المسرحية التى قال عنها انها الدروع التى
سيستخدمها ريتشارد الثالث وزميله فى المبارزة ٠٠
كما أخرج فستاناً للسهرة مصنوعاً من قماش قطنى
أبيض ٠٠ وقبعة سهرة مناسبة لهذا الفستان ٠٠

واقترح الملك بكل ذلك ٠٠ وهنا أخرج الدوق
كتاباً ٠٠ وبدأ يقرأ منه نص المشاهد المطلوبة ٠٠

واندمج فى التمثيل .. فآخذ يقفز ويتحرك من مكان
الى آخر .. وينحنى ويعتدل ليبين الطريقة الصحيحة
التي يلقي بها الحوار بكثير من العظمة والمبالغة ..

وبعد أن فرغ من ذلك .. أعطى الكتاب للملك ،
وطلب منه أن يقرأ أجزاء الحوار الخاصة به وأن
يحفظها عن ظهر قلب ..

ومررنا على احدى المدن الصغيرة ، فطلب منا
الدوق أن نتوقف وننتظره حتى ينتهى من أداء بعض
الأعمال العاجلة ..

وعندما عاد الدوق الى الطوف مرة أخرى .. عرض
علينا اعلانا مطبوعا كان معلقا على أحد جدران المدينة
.. وتظهر فى أعلاه صورة لعبد هارب .. وكتبت
تحتها أوصاف تفصيلية تنطبق تماما على أوصاف جيم
.. العبد الهارب من مزرعة بمدينة سلان جاك بمنطقة
نيو أورلينز .. ومكافأة قدرها (٢٠٠) دولار
بالإضافة الى المصروفات لمن يقبض عليه ويقوم
بتسليمه . !

وقال الدوق :

— اعتبارا من الآن .. نستطيع أن نقلع بالطوف
أثناء النهار أيضا .. وإذا تعرض لنا أى أحد فسوف
نريه الاعلان المطبوع .. ونخبره بأننا قبضنا على العبد
المهارب وذاهبون لتسليمه واستلام المكافأة ..

وأقلعنا فى تلك الليلة فى حوالى العاشرة مساء
.. ولم نتوقف عن الاقلاع عندما أشرقت الشمس فى
صباح اليوم التالى .. وظل الطوف يشق طريقه على
سطح النهر أثناء النهار ..

وبعد أن تناولنا الافطار .. جلس الملك
يستذكر دوره ويحفظ نصوص الحوار عن ظهر قلب ..
وبعد ذلك أخرج الدوق من حقيبته سيفين مصنوعين
من الخشب .. وبدأ يتدرب مع الملك على مشهد المبارزة
بالسيوف من مسرحية ريتشارد الثالث ..

وقام الدوق بدور ريتشارد الثالث ، بينما قام
الملك بدور المبارز الآخر .. وكانت الطريقة التى تبارزا
بها على سطح الطوف مبهرة لنا ومسلية .. كانا يقفزان

من مكان الى آخر ويتبارزان بالسيوف الخشبية كما لو كانا فى معركة حقيقية .. وفجأة ترحلق الملك وسقط على سطح الطوف ، فتوقفت المبارزة ، وجلسا يستريحان من عناء التدريب .. وأخذا يقصان على بعضهما بعض النوادر والحكايات عن مغامراتهما السابقة .. !

وكان الدوق قد أعد بعض الاعلانات المطبوعة .. ولم يحدث أى شىء فى اليومين أو الأيام الثلاثة التالية سوى استمرار المبارزة بالسيوف ، وحفظ الحوار ، والتدرب على القائه بطريقة تمثيلية ..

وفى صباح أحد الأيام ، اقتربنا من احدى المدن الصغيرة ، فرسونا بالطوف على بعد نحو ثلاثة أرباع الميل من تلك المدينة .. وذهبنا جميعا - فيما عدا جيم الذى ظل بالطوف - الى ساحة المدينة لنرى ان كانت هناك فرصة لتقديم العرض المسرحى المرتقب ..

ولحسن الحظ فان المدينة كانت تتأهب لأحد الاحتفالات الزراعية .. وكان الفلاحون قد بدأوا يقدون



التدريب على المبارزة .. كان فرجة مذهلة !

من المناطق المجاورة لحضور هذا الاحتفال الذى علمنا
بأنه سوف ينتهى قبل المغرب ٠٠ وكانت هذه المناسبة
فرصة ملائمة لاقامة عرضنا المسرحى ٠٠ فقام الدوق
باستئجار احدى القاعات ٠٠ وقمنا بتعليق اعلاناتنا
المطبوعة فى مختلف أنحاء تلك المدينة الصغيرة ٠٠
وكانت هذه الاعلانات تحمل العبارات التالية :

شيكسبير !!!

عرض مسرحى رائع !

لليلة واحدة فقط !

ديفيد جاريك الصغير

الممثل بمسرح درورى لين ، بلندن

وادموند كين الكبير

الممثل بمسرح هاى ماركت الملكى ، بهوايت شابيل

بودنچ لين ، بيكاديللى ، لندن

مشهد المناجاة فى البلونة بين روميو وجولييت

روميو : ٠٠٠ ٠٠٠ مستر جاريك

جولييت : ٠٠ ٠٠٠ مستر كين

ويشترك معهما جميع أعضاء الفرقة !

ملابس جديدة ٠٠ مناظر جديدة !

وأيضا ٠٠

(بناء على طلب خاص)

مشهد المبارزة من مسرحية ريتشارد الثالث!!

ريتشارد الثالث : ٠٠٠ مستر جاريك

ريتشموند : ٠٠٠ مستر كين

الدخول للرجال ٢٥ منتهى

وللأطفال والخدم ١٠ سنتات ٠

وبعد انتهاء الحفل الزراعى ، قدمنا العرض المسرحى ٠٠ ولكن لم يحضره سوى اثنى عشر متفرجا فقط ، دفعوا مبلغا يكاد أن يكفى لتغطية مصاريف العرض بصعوبة ٠٠ وقد ظل المتفرجون يضحكون ويسخرون بالتمثيل وبالممثلين ٠٠ لدرجة ان الدوق قد أوشك أن يجن من شدة الغيظ والاحباط ٠٠ وقال ان هؤلاء الفلاحين الجهلاء لا يفهمون شيكسبير ٠٠ ولا يعجبهم سوى المسرحيات والعروض الهابطة ٠٠

وفى صباح اليوم التالى ، قام الدوق بطباعة اعلانات جديدة ، علقناها فى جميع أنحاء المدينة الصغيرة ٠٠ وكانت الاعلانات تقول هذه المرة :

فى البلاط الملكى

لمدة ثلاث ليال فقط

أشهر ممثلين فى العالم

ديفيد جاريك الصغير

- و -

ادموند كين الكبير
فى هذا العرض المسرحى العظيم

تحفة ملكية لانظير لها !!!

الدخول ٥٠ سنتا

ملحوظة : للكبار فقط

ولا يسمح بدخول النساء ولا الأطفال

وبعد ذلك قال الدوق :

- هكذا .. واذا لم تجذبهم هذه الاعلانات .
فليكن معنى ذلك أنى لا أفهم عقلية هؤلاء الفلاحين
الجهلاء .. وسترون بأنفسكم ما سوف يحدث
الليلة .. !

وقضى الدوق والملك النهار كله فى تجهيز المسرح والاستعداد لهذا العرض المسرحى .. وفى الليل كانت قاعة العرض ممتلئة عن آخرها بالمتفرجين حتى لم يعد هناك أى موطىء لقدم ..

وعندما بدأ العرض ، وقف الدوق على خشبة المسرح ، وأخذ يتفاخر ويتباهى بنفسه وبالعرض المسرحى وبالممثل ادموند كين الكبير الذى أشار اليه بأنه سيؤدى الجزء الأكبر من عرض الليلة ..

وأخيرا رفع الدوق ستار المسرح .. ودخل الملك على الفور زاحفا على أربع وأخذ يرقص ويؤدى حركات تشير الضحك ، وكان جسمه كله مغطى بجميع ألوان قوس قزح ومنقوشا بنقط وخطوط ودوائر وأشكال مختلفة ..

واستغرق جميع المتفرجين فى الضحك .. بل وكاد بعضهم أن يموت من شدة الضحك .. والحقيقة أن منظر الملك وحركاته ورقصاته كان مثار مسخرية

وكانت الطريقة التى يؤدى بها هذا العرض الغبى قادرة
على أن تضحك أية قطة لو جاءت لتشاهد هذا المنظر ..

وبعد ذلك أنزل الدوق الستار .. وقال
للمتفرجين ان الفرقة ستؤدى عرضها هذا فى الليلتين
القادمتين فقط ، لأنها مرتبطة بموعد هام فى لندن ! ..

وهنا صاح عشرون متفرجا :

- ما هذا .. هل انتهى العرض .. هل هذا
كل شيء .. !!؟

فأنهمم الدوق أن العرض قد انتهى فعلا ..
وحدث هياج وزمجرة .. ولكن رجلا أنيقا قام من بين
المتفرجين وصاح فيهم :

- انتظروا أيها الناس والزموا الصمت واسمعونى
جيذا .. لقد خدعنا .. وضحك علينا هؤلاء المثلون ..
وسوف نصبح مثار سخرية لأهل المدينة كلهم ..
ولهذا فلا بد أن ندعى أن هذا العرض المسرحى جيد
وجدير بالمشاهدة .. حتى يحضر أهل المدينة كلهم

ويشاهدوا العرض بأنفسهم .. وبهذا نصبح جميعا
فى نفس المركب .. ولن يستطيع أحد أن يسخر منا ..
ما رأيكم .. هل توافقوننى على ذلك .. ؟!

فصاح المتفرجون :

— موافقون .. موافقون .. لابد أن يبلغ أهل
المدينة هذه الخدعة مثلنا .. !

وهنا قال الرجل الأنيق :

— اذن .. فلنعد الى المدينة وننصح كل من
نعرفهم بأن يحضروا ليشاهدوا هذا العرض بأنفسهم !
وطوال نهار اليوم التالى ، لم يكن لأهالى هذه
المدينة الصغيرة حديث سوى ذلك العرض المسرحى
العظيم .. والتحفة الملكية المنقطعة النظير !

وفى الليل أقبل الناس من كل صوب ..
وامتلأت قاعة العرض بالمتفرجين !

وفى الليلة الثالثة امتلأت القاعة بالمتفرجين مثل

الليلتين السابقتين ٠٠ ولكنى لاحظت أن معظم المتفرجين الذين حضروا العرضين السابقين قد حضروا أيضا هذه الليلة ، وكانوا جميعا يخفون أشياء في جيوبهم وداخل معاطفهم ٠٠ وتسلمت الى أنفى رائحة البيض الفاسد والحضراوات العطنة والأشياء المماثلة الأخرى التى أحضرها الناس معهم .

وبعد أن امتلأت القاعة عن آخرها ، ولم تعد تسع أى متفرجين آخرين ٠٠ كنت أنا والدوق واقفين عند باب القاعة الخارجى ٠٠ وتظاهر الدوق بأنه سيدور حول مبنى القاعة وأشار الى خفية أن أتبعه ٠٠ وعندما وصلنا الى منطقة مظلمة خلف القاعة ٠٠

قال لى الدوق :

هيا أجر الى الطوف بأقصى سرعة ٠٠ أجر وكأنك تفر من شيطان يتبعك ٠٠ !

ووصلت الى الطوف ٠٠ ووصل الدوق معى فى نفس الوقت ٠٠ وفى أقل من ثانيتين ٠٠ ألق الطوف

وأخذ طريقه سابحا نحو منتصف مجرى النهر ..
وجرفه التيار مبتعدا عن المدينة ..

وأخذت أفكر فى المصير التعس الذى سيلقاه
الملك على أيدي المتفرجين الغاضبين .. ولكنى فوجئت
بخروج الملك من مخبأ الطوف وقال لنا بثبات :

— هاه .. كيف سارت الأمور معك هذه
الليلة .. يا دوق بريدج ووتر .. ؟!

لقد بقى الملك مختبئا بالطوف .. ولم يذهب
الى المسرح فى تلك الليلة ..

ولم نشعل مصباح الطوف الا بعد أن أصبحنا
على بعد نحو عشرة أميال من المدينة .. وبعد أن هدأنا
تماما ، أوقدنا نارا وطهونا العشاء .. وكان الملك
والدوق غارقين فى الضحك وهما يرويان كيف تمكنا
من خداع كل هؤلاء الناس والضحك عليهم .. !

لقد جمع هذا الوجدان أربعمئة وخمسة وستين
دولارا فى تلك الليالى الثلاث .. ولم أر فى حياتى

من قبل ، كيف يتم تجميع مثل هذا المبلغ الكبير عن طريق الاحتيال والنصب على الآخرين ..

وبعد فترة استغرقت في النوم .. ولم يوقظني جيم عندما حل موعد نوبتجيتي ودورى فى المراقبة .. وكثيراً ما كان جيم الطيب يفعل هذا ، ويقوم بالعمل وحده دون أن يقلقنى ..

وقرب الفجر .. تنبهت وفتحت عيني .. قرأيت جيم يجلس حزينا وهو يدفن رأسه بين ركبتيه .. ويثن أنينا يقطع القلب .. وتظاهرت بأنى لم أستيقظ بعد .. وعرفت سبب حزن المسكين .. انه يفكر فى زوجته وأطفاله الذين تركهم وراءه .. انه يتألم لأنه لن يراهم بعد ذلك أبدا .. ان الحنين الى العودة الى بيته كان يمزق قلبه .. فكان يقول بصوت خفيض
بين حين وآخر :

- مسكينة يا صغيرتى اليزابيت .. مسكين يا صغيرى جونى .. ألن اراكما مرة أخرى .. يالها من قسوة شديدة .. ان هذا منتهى الظلم والألم !

كم كان جيم زنجيا طيب القلب .. !

وتظاهرت بأنى قد استيقظت تماما .. وأردت
أن أستلم منه النوبتجية ودورى فى المراقبة .. وأخذت
ألمح له من بعيد عن حديث يخص زوجته وأطفاله ..
وبعد فترة حزن قصيرة .. قال جيم :

- هل تعرف يا هك لماذا حزنت هذه الليلة ..
لقد سمعت صوت صفعة على وجه أحد الأطفال بينما
كنت جالسا بالطوف عند الشاطئ .. لقد ذكرتنى
تلك الصفعة .. بأننى قد عاملت طفلتى الصغيرة
اليزابيث بقسوة بالغة حين كانت فى الرابعة من
عمرها .. لقد أصيبت المسكينة بالحمى القرمزية
ولم أكن أعلم أنه مرض خطير يصيب الأطفال ..
وعندما مرت فترة الحمى وأخذت صحتها فى التحسن
.. كانت تقف الطفلة المسكينة بجوار الباب المفتوح
فقلت لها :

- أغلقى الباب وادخلى .. !

ولكنها لم تفلق الباب ولم تدخل .. بل ظلت واقفة قرب الباب وهي تبتسم لى فى براءة ..

ولكنى صحت بها مرة أخرى :

- ألا تسمعين .. قلت أغلقى الباب وادخلى .. !
وظلت المسكينة واقفة تبتسم .. فجن جنونى
وقلت لها غاضبا :

- اذن .. سوف أعلمك كيف تسمعين الكلام ..
وقمت .. وصفعتها على وجهها صفعة أطارتها من على الأرض .. فأخذت تبكى .. ودخلت الى الحجرة الأخرى وبقيت هناك نحو عشر دقائق .. ثم خرجت ورأيت الطفلة مازالت واقفة جوار الباب المفتوح والدموع تسيل على خديها .. ولكن فى هذه اللحظة هبت ريح أغلقت الباب بعنف شديد .. ولكن الطفلة لم تتحرك وظلت تبكى فى صمت .. يا ربى ماذا حدث لها .. ففتحت الباب مرة أخرى وخرجت .. ولكنى عدت بعد لحظة على أطراف أصابعى حتى لا ترانى

الطفلة الصغيرة المسكينة .. وصرخت بأعلى صوتى ..
يوم .. يوم .. ولكن المسكينة لم تتحرك قيد أنملة
ولم تتنبه الى وجودى .. لقد أصيبت المسكينة بالصمم
.. لقد عملت الحمى القرمزية عملها .. وأصبحت
اليزابيث الصغيرة صماء لا تسمع شيئا .. وبكماء
لا تنطق بكلمة .. فجريت نحوها .. واحتضنتها بين
ذراعى .. وأخذت أبكى وأنا أطلب من الله أن يغفر لى
قسوتى .. ولكنى يا هك لم أغفر لى نفسى أبدا هذه
القسوة .. تصور يا هك .. صماء وبكماء .. ومع ذلك
فقد عاملتها بطريقة قاسية !

الفصل العاشر

أنت محتال ؟

وفي اليوم التالي .. وقبل أن يحل الظلام ..
رسمونا بالطوف على شاطئ رملي .. وكنا نرى
بوضوح قريرتين متقابلتين تقع كل واحدة منهما على
أحد شاطئ النهر .. وبدأ الدوق والملك يفكران فيما
يمكن أن يفعلاه في كل من هاتين القريرتين ..

وفي كل مرة كنا نغادر فيها الطوف .. كان
الدوق يقوم بتكتيف جيم بالحبال حتى يبدو منظره
كعبد هارب مقبوض عليه ! .. ولكن في هذه الليلة ،

قال جيم للدوق أن تركه مكتفا هكذا طول النهار شيء
متعب ولا يحتمل ..

وعلى الفور فكر الدوق فى طريقة أخرى .
فالبس جيم ملابس « الملك لير » ، وباروكة شعر
مستعار أبيض اللون .. وسوالف مستعارة .. وطفى
وجهه ويديه وأذنيه ورقبته ببعض الألوان المستخدمة
فى عمل المكياج المسرحى .. حتى بدا جيم فى النهاية
فى لون كئيىب ، مثل لون جثة غريق غرق فى النهر
تسعة أيام كاملة ..

وطلب الدوق من جيم أن يبقى هكذا بداخل
مخبأ الطوف .. واحضر الدوق لوحا صغيرا من الخشب
كتب عليه : مجنون ! .. خطير جدا عندما تأتية
النوبة !!

وقام الدوق بتعليق هذا اللوح على عصا أقامها
فى مقدمة الطوف .. وأخبر جيم بأنه اذا جاءه أحد ..
فعليه أن يهب واقفا ويقفز عدة قفزات ويمثل دور

المجنون ٠٠ وأن عليه ان يعوى مثل الحيوانات
المتوحشة ٠٠ وبهذه الطريقة المضمونة لن يقترب أى
شخص من جيم خوفا من خطره ٠٠

وقال الدوق أنه سيذهب الى احدى هاتين
القريتين ، وأن على الملك أن يذهب الى القرية الأخرى ٠٠
وذلك حتى يستطلعا الأمر ليقررا كيفية التعامل مع
أهالى كل قرية .

وقرر الملك أن اذهب فى صحبته ٠٠ وكنا قد
اشترينا بعض الملابس الجديدة من المدينة السابقة
فارتديناها ٠٠ وكانت ملابس الملك سوداء اللون
وبراقة ٠٠ جعلته يبدو كما لو كان جنتمان من الطبقة
العليا ٠٠ لم أكن أعرف من قبل كيف تقدر الملابس
على تغيير مظاهر الناس وتغيير صفاتهم الحقيقية .

وركبنا القارب وأخذت أجدف نحو شاطئ القرية
٠٠ وقبل أن تقترب من القرية شاهدنا احدى البواخر
النهرية راسية فى المحطة السابقة لمحطة القرية ٠٠

وهنا قال الملك :

- ها هي فكرة جيدة .. فهذه الملابس الجديدة
التي أرتديها تمكنني من تمثيل دور الجنتلمان القادم
من سان لويس أو من سينسنياى أو من أية مدينة
كبيرة أخرى .. ما رأيك يا هكلبرى .. أسرع بنا لكى
نركب هذه الباخرة لمحطة واحدة حتى نصل الى القرية
وكاننا قادمون من مكان بعيد .. !

وبينما كنت أجدف نحو الباخرة رأينا شابا
من الفلاحين ، جالسا على الشاطئ ومعه حقيبتان كبيرتا
الحجم .. وكان الشاب يجفف عرقه المتصبب على وجهه
من شدة الحر .. وقال الملك للشاب :

- الى أين أنت ذاهب .. أيها الشاب ؟
- ذاهب الى الباخرة ياسيدى .. فأنا مسافر
الى نيو أورلينز ..

- اذن .. اركب معنا فى القارب .. سنوصلك الى الباخرة .. وسيقوم خادemy بمساعدتك فى حمل هذه الحقائق .. !

وقال الشاب شاكرًا وهو يحمل الحقيبتين بنفسه ويضعهما فى القارب :

- ان حمل هذه الحقائق الثقيلة فى الحر يعتبر عملا مرهقا .. سيدى .. عندما شاهدتك لأول مرة قلت لنفسى : ها هو المستر ويلكس قد حضر بعد فوات الوقت المناسب .. ولكنى قلت لنفسى بعد ذلك : هذا غير معقول .. ان مستر ويلكس لايمكن أن يحضر على قارب صغير .. قادمًا من تلك المسافة البعيدة .. فهل أنت مستر ويلكس .. ؟!

فقال الملك وهو يحاول استدراج الشاب القروى :

- لا للأسف .. أنا اسمى بلودجيت .. الكسندر بلودجيت .. وانى آسف لمستر ويلكس الذى

لم يحضر فى الميعاد المناسب .. هل فاته شئ
ياترى .. 19

فقال الشاب القروى :

- لا .. لم يفته الكثير .. فنصيبه فى الميراث
محفوظ .. ولكن فاته أن يلحق أخاه بيتر ليراه قبل
أن يموت .. ان هذين الأخوين لم يريا بعضهما منذ
أن كانا صبية صغارا .. وكان لبىتر أخ ثان أصم وأبكم
اسمه وليم .. ولكن بيتر لم ير أخاه وليم طوال حياته
.. وكان هناك أخ ثالث اسمه جورج .. كان يعيش
مع أخيه بيتر هنا .. وكان جورج هو الأخ الوحيد
الذى تزوج وأنجب .. ولكنه مات وماتت زوجته أيضا
فى السنة الماضية .. والآن لم يبق من هؤلاء الاخوة
الا اثنين هما هارفى الأخ الأكبر وليم الأخ الأصم
الأبكم .. ولكنهما للأسف لم يصلا فى الوقت المناسب
لكى يريا أخاهما بيتر قبل أن يموت ! ..

وتسأل الملك :

- ولكن ألم يرسل أحد فى طلبهما لكى يحضرا
فى الوقت المناسب ٠٠ ؟!

واجاب الشاب :

- نعم ٠٠ منذ شهر أو شهرين ٠٠ وذلك عندما
بدأ بيتر يشعر بالمرض ٠٠ طلب أن يرى أخويه
هارفى ووليم قبل أن يموت ٠٠ وعلى أية حال فقد
ترك بيتر خطابا الى أخيه هارفى ٠٠ قيل انه يخبره
فيه بالمكان الذى خبأ فيه نقوده وثروته ٠٠ وأوصى فيه
بتقسيم بقية أملاكه بطريقة تكفل حياة كريمة لبنات
أخيه جورج الذى مات دون أن يترك لهن شيئا .

وتسأل الملك وهو يبدى اهتماما كبيرا
بالموضوع :

- ولكن لماذا لم يحضر هارفى ٠٠ هل يعيش فى
مكان بعيد ٠٠ وأين ٠٠ ؟!

فقال الشاب :

- أوه .. انه يعيش فى انجلترا .. فى شيفيلد ..
انه يلقي مواعظه هناك .. وربما لم يصله
الخطاب ..

- وكم عدد بنات جورج ؟ .. وما هى أعمارهن ..

- انهن ثلاث بنات .. ماري جين فى التاسعة
عشرة .. وسوزان فى الخامسة عشرة .. وجوانا فى
حوالى الرابعة عشرة !

- مسكينات .. كيف يتركن هكذا وحيدات فى
هذا العالم البارد ؟ !

- لن يصيبهن اذى .. فلقد كان لبيتر أصدقاء
كثيرون سيتولون أمر البنات ويرعونهن .. هناك
الواعظ هوبسون ، ولوت هوفى ، وبن روكر ،
وآبتر شاكلفورد ، وليفى بل المحامى ، والدكتور
روبنسون الطبيب .. بالإضافة الى زوجات كل هؤلاء
.. كما توجد هناك أيضا الأرملة بارتلى .. وهناك

أيضا أصدقاء آخرون ٠٠ ولكن بيتر كان يفضل هؤلاء
الأصدقاء الذين ذكرت لك أسماءهم عن أصدقائه
الآخرين ٠٠ وقد ذكر بيتر أسماء هؤلاء الأصدقاء في
الخطاب الذي أرسله إلى أخيه هارفي ٠٠ حتى يقابلهم
عند حضوره من إنجلترا ٠٠

وهكذا أخذ الملك يوجه المزيد والمزيد من الأسئلة
الدقيقة إلى الشاب القروي ، حتى أفرغ جعبة الشاب
من كل ما فيها من معلومات ، وحتى تأكد من أن
الشاب لم يعد لديه شيء يضيفه ٠٠

وأخيرا قال الملك :

— ولكن قل لي ٠٠ هل كان بيتر ويلكس غنيا ؟

فقال الشاب مؤكدا :

— غني جدا ٠٠ كانت لديه مجموعة من المنازل
٠٠ ومساحات من الأراضي ٠٠ ويعتقد الناس أنه قد

قام باخفاء ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف من الدولارات الذهبية في مكان ما ..

— وهل سيشتيعون جنازته غدا .. ؟

— نعم .. حوالى الظهر .. !

وعندما وصلنا الى مرسى الباخرة النهرية كانت على أهبة الاستعداد لمغادرة المرسى الى المحطة التالية ، فلحق بها الشاب .. ولكننا لم نركبها .. وطلب منى الملك أن يرسو على الشاطئ .. ثم قال لى :

— والآن .. هيا أسرع باحضار الدوق الى هنا .. وقل له أن يحضر معه الحقائق الجديدة التى اشتريناها .. وأن يرتدى ملابس جيدة ..

وعندما عدت ومعى الدوق .. أخبره الملك بجميع تفاصيل الحديث الذى دار بينه وبين الشاب القروى .. وفى فترة بعد الظهر ، وصلت باخرة نهريّة أخرى قصعدنا اليها متوجهين الى القرية التى تقع فى المحطة القادمة ..

ووصلنا الى القرية .. وعلى رصيف المرسى كان
هناك نحو اثنى عشر رجلا .. فتقدم اليهم الملك
وسألهم :

- أيها السادة .. هل يمكن أن يخبرنى أحدكم
أين يعيش مستر بيتر ويلكس ؟!

فقال أحد هؤلاء الرجال :

- أسفين .. لانستطيع أن نخبرك أين يعيش
مستر بيتر ويلكس .. وكل ما نستطيع أن نخبرك به،
هو أين كان يعيش بالأمس !

وعلى الفور ارتمى الوغد العجوز على صدر هذا
الرجل ، وأسند رأسه على كتف الرجل .. وبدأ فى
البكاء والنواح .. وقال وهو يئن :

- خلاص .. هل انتهى كل شيء .. قبل أن
أحضر فى الوقت المناسب .. كنت أريد أن أراه قبل
أن يموت .. ان هذا أمر صعب .. صعب جدا ..

والتفت الملك الى الدوق وأخذ يبكى ويعمى
حركات واشارات بيديه وأصابه حتى يفهم الناس
ان الدوق هو الأخ ولیم الآخرس الأصم .. وبعد أن
انتهى الملك من عمل هذه الحركات والاشارات انخرط
الدوق فوراً فى البكاء .. وبدأ الناس يواسونهما
ويطيبون خاطرهما .. بل وحملوا حقائبهما واتجهوا
جميعاً الى بيت المتوفى بىتر ويلكس الذى يقع عند
سفنح انثل ..

وعندما وصلنا الى البيت ، تجمع ناس كثيرون ..
كما خرجت البنات الثلاث الى الباب ليستقبلن عميها
الفائبين وهن فرحات بهذا اللقاء .. بل كان الناس
فرحين أيضاً بالتثام شمل هذه الأسرة أخيراً على هذا
النحو السعيد ..

وعندئذ قام الملك بالقاء خطبة فى هذا الجمع
من الناس .. ملأها بالتأوهات والدموع .. والحزن
الشديد لأنهما لم يحضرا فى الوقت المناسب لرؤية
أخيها قبل أن يموت .. وذلك بعد أن قطعاً رحلة

طويلة تقدر بأربعة آلاف من الأميال ٠٠ قادمين من
انجلترا الى هنا ٠٠ !!

وقال الملك انه يسره هو وبنات أخيه جورج
أن يوجه الدعوة الى العشاء هذه الليلة لبعض الأصدقاء
الذين ذكرهم المرحوم بيتر فى خطابه ، وهم على وجه
التحديد : مستر هوبسون ، ولوت هوفى ، ومستتر
بن روكر ، وآبئر شاكلفورد ، ليفى بل ، ودكتور
روبنسون ، وجميع زوجاتهم ، وكذلك الأرملة
بارتلى ٠٠ !

وكان الواعظ هوبسون ، وكذلك الدكتور
روبنسون غير موجودين فى هذا الجمع لارتباطهما
ببعض الأعمال فى المدينة ٠٠ كذلك لم يكن ليفى بل
المحامى موجودا ٠٠ أما بقية الأصدقاء الذين أشـ
اليهم الملك فقد كانوا كلهم موجودين وسمعوا الدعوة
بأنفسهم ٠٠ وتقدموا جميعا وأخذوا يشدون على أيدي
الملك وأيدى الدوق ٠٠ !

وبعد ذلك أخذ الملك يوجه أسئلة دقيقة عن

أحوال وموضوعات معينة تدل على أنه على دراية تامة
بهذه الأحوال والموضوعات التى كان أخوه بيتر يبلغه
بها فى خطاباتة .. وبطبيعة الحال فقد كان الملك
يكذب ويدلس على هؤلاء الناس .. لأنه عرف كل هذه
المعلومات من الشاب القروى الأهبل المحب للكلام
والذى زوده بكل هذه التفاصيل !..

وقامت مارى جين - وكانت جميلة جدا وذات
وجه صبوح - باحضار الخطاب المغلق الذى تركه عمها
المرحوم بيتر الى عمها هارفى .. وقام الملك بفض
الخطاب وأخذ يقرأ محتوياته بصوت مرتفع يسمعه
الجميع ..

لقد أوصى المرحوم بأن يعطى البيت ومبلغ
ثلاثة آلاف من الدولارات الى البنات الثلاث .. كما
أوصى بأن تؤول طاحونة الدقيق - وهى عمل يدر كثيرا
من الربح - وبقية البيوت الأخرى والأراضى (وتبلغ
قيمتها نحو سبعة آلاف من الدولارات) بالإضافة الى
مبلغ آخر قدره ثلاثة آلاف من الدولارات الى أخويه

هارفى ووليم .. وذكر المرحوم فى خطابه أيضا أين
أخفى دولاراته الذهبية الستة آلاف .. لقد أخفاها فى
غرفة الخزين .. !

وهكذا ذهب الوغدان الى غرفة الخزين ليبحثا عن
الدولارات ، وطلبا منى أن أصبحهما وأنا أحمل شمعة
مضاءة ..

وعندما عثرا على الحقيبة ، فتحاها على الفور ،
وأفرغا ما فيها من دولارات ذهبية على الأرض فى كومة
صفراء براقية .. وأخذا يحصيان الدولارات الذهبية
ويعدانهما عدا .. ولكن الدولارات لم تكن ستة آلاف
بالضبط .. كانت ناقصة أربعمائة وخمسة عشر
دولارا .. !

وقال الملك وهو يشعر بالحيرة :

— اننا نريد ان نعد هذه الدولارات أمام الجميع
.. حتى لا يكون هناك أى شك أو ريبة .. ومادام
المرحوم قال انه ترك فى الحقيبة ستة آلاف .. فلا بد
أن نعدّها ستة آلاف أمام الجميع ..

وعندئذ قال الدوق :

- لا تضيع الوقت .. فلنستكمل المبلغ الناقص
من نقودنا ..

وقال الملك فرحا :

- هكذا فكرة جيدة ..

وأخذ كل من الملك والدوق يخرج ما فى جيوبه
من نقود حتى لم يعد لدى أى منهما دولار واحد ..
واكتمل أخيرا مبلغ الستة آلاف من الدولارات
الذهبية .. !

وحملنا الحقيبة وصعدنا بها .. ولكن الدوق
قال للملك :

- لدى فكرة أخرى .. فبعد أن نعد الدولارات
أمام الجميع .. نعلن أننا تنازلنا عن نصيبنا من هذه
الدولارات الى البنات .. ونعطينهن الحقيبة بأكملها .. !

وعندئذ صاح الملك :

- يانها من فكرة رائعة .. !

وعندما وصلنا الى الطابق العلوى .. كان الجميع قد تجمعوا حول المائدة .. وأفرغ الملك الحقيقة .. وبدأ يعد الدولارات الذهبية أمام الجميع دولارا دولارا .. ستة آلاف بالتمام والكمال .. وبدأ الملك يزهو بنفسه وهو يستعد لالقاء خطبة أخرى ..

وقال :

- والآن .. أيها الأصدقاء جميعا .. لقد كان أخونا المسكين طيبا ورحيم القلب وعطوفا على بنات أخيه فاوصى باعطائهن ثلاثة آلاف فقط من هذه الدولارات .. لأنه لم ينس أخويه هارفى ووليم .. ولكن ها نحن نعلن أمامكم جميعا أننا تنازلنا عن نصيبنا من هذه الدولارات الى بنات أخينا الصغيرات الوديعات .. والآن .. تقدمى يا مارى جين .. وأنت يا سوزان .. وأنت يا جوانا .. خذن جميع الدولارات .. خذن النقود كلها ..

فصاحت البنات متهللات :

- يا عمنا الحبيب .. هذا كرم عظيم .. هذا
شيء جميل .. !

وهنا قام أحد الرجال وأخذ يضحك ساخرا
فى وجه الملك .. وكانت صدمة شديدة حلت بالجميع
.. فتقدم آبنر شاكلفورد الى هذا الرجل وسأله
فى دهشة :

- لماذا تفعل ذلك يا دكتور روبنسون .. ألم
تعرف بعد أن هذا الرجل هو هارفى ويلكس .. ؟!

وهنا ابتسم الملك ومد يده الى الدكتور مصافحا :

- أهلا بأعز أصدقاء أخى المرحوم .. أهلا
بك يا دكتور روبنسون .. !

فقال الدكتور فى حزم :

- ابعد يدك عنى .. هل أنت شقيق بيتر
ويلكس ؟ .. ما أنت سوى نصاب محتال !

وتعتقدت الأمور .. ولكن الناس تجمعوا حول
الدكتور .. وأخذوا يقولون له ان هارفى ويلكس قد
أثبت بأكثر من أربعين طريقة أنه هارفى ويلكس ..
ومع ذلك فقد التفت الدكتور الى البنات الثلاث
وقال لهن :

— اطرذن هذا الوغد المحتال فوراً .. أرجوكن
.. اطرذنه الآن ..

وعندئذ قالت ماري جين وهى تعطى حقيبة
الدولارات الذهبية الى الملك :

— هذه هى اجابتي .. خذ يا عمى هذه الدولارات
الستة آلاف .. واستثمرهم لصالحنا فى أى مشروع
او بأية طريقة تعجبك .. !

وصفق جميع الحاضرين استحساناً لموقف ماري
جين .. ورفع الملك رأسه وابتسم وهو يشعر بالفخر
والزهو ..

وعندئذ قال الدكتور يائسا :

– اذن سأرفع يدي عن هذا الموضوع وأكف عن
التدخل فيه .. ولكن سيأتى وقت تندمون فيه جميعا
على ما حدث فى هذا اليوم .. سترون بأنفسكم !
وخرج غاضبا .. !

الفصل الحادى عشر

الحقيبة المملوءة بالذهب !

وبعد أن انصرف المجتمعون .. سأل الملك مارى جين عما اذا كانت بالبيت حجرات، اضافية تصلح لاقامته هو وأخيه .. فقالت مارى جين ان هناك بالفعل حجرة اضافية واحدة تصلح لاقامة العم وليم .. وأنها ستتنازل له عن حجرتها الخاصة ليقيم فيها على أن تنام هى فى حجرة أختيها ..

وفى الليل .. امتلأ البيت بالضيوف من الرجل والنساء الذى لبوا الدعوة للعشاء .. وقد أقيمت حفلة كبيرة .. وتناولت عشائى بالمطبخ ، وكانت البنات

وجميع من يعملون بالبيت يعطفون على ويكرموني
ويحاولون اشعاري بأنى فى بيتى

وعندما توجهت للنوم .. كنت أشعر بالعار
والخجل من نفسى .. ولم أكن راضيا عن الجريمة التى
يدبرها الملك والدوق ضد هؤلاء البنات الصغيرات
المسكينات .. لذلك فقد قلت لنفسى : يجب أن أسرق
هذه النقود بأية طريقة .. وأقوم باخفائها فى مكان
ما .. ثم أفر بالطوف الى مكان بعيد .. وعندئذ أكتب
خطابا الى مارى جين لأخبرها بالمكان الذى خبأت فيه
النقود .. !

وهكذا قمت من سريري وتسلمت الى حجرة الملك
كنت أخطو بحذر على أطراف أصابعى .. وكانت
الحجرة مظلمة لأنى لم أحمل معى شمعة .. وبعد فترة
سمعت وقع خطوات قادمة .. فاخترأت على الفور وراء
الستارة التى تخفى ملابس مارى جين المعلقة فى تجويف
الحائط على شكل دولاب للملابس .. وكتمت أنفاسى ..

٠٠ ورأيت الملك والدوق وقد دخلا الى الحجرة وجلسا
يتهامسان فى الظلام ٠٠ قال الملك :

— هاه ٠٠ ما هذا الذى تخشاه ٠٠ ؟

فقال الدوق :

— هذا الدكتور ٠٠ ما زلت أفكر فى الكلام
الذى قاله هذا الدكتور ٠٠ لذلك فانى أعتقد أن من
الأفضل أن نهرب فى الساعة الثالثة بعد منتصف
الليل ٠٠ ونسرع الى النهر ومعنا الحقيبة المملوءة
بالذهب ٠٠ !

فقال الملك مستنكرا :

— ماذا تقول ٠٠ هل نهرب ونترك ثمانية أو
تسعة آلاف أخرى من الدولارات وهى قيمة الممتلكات
التي تركها بيتر ويلكس ٠٠ هل نهرب ونترك كل
هذه الثروة ٠٠ ١٩

وأخذ الوجدان يناقشان الموضوع من كافة جوانبه
.. وقال الدوق انه ينصح بالاكثفاء بالحصول على
النقود ، ولا داعى لكى يبقيا حتى يجردا البنات من كل
ممتلكاتهن .. ولكن الملك أخذ يتكلم ويتكلم حتى أقنع
الدوق بخطته .. واستسلم الدوق فى النهاية ..
ولكنه قال معنقا :

- أعتقد أننا يجب أن نخفى النقود فى مكان
مأمون لا تصل اليه يد ..

وقال الملك :

- هذا صحيح يا سعادة الدوق .. يجب أن
نخفيها فى مكان مأمون ..

وقام الدوق وأخذ يتحرك على مسافة قريبة جدا
من مخبئ خلف الستارة .. وقال انه يرى أن يخفى
الحقيبة داخل مرتبة محشوة بالقش كانت موجودة
الى جانبي .. وقاما بالفعل باخفاء الحقيبة داخل
المرتبة ..

وبمجرد ان حرج الملك والدوق من الحجرة
تقدمت الى المرتبة وأخرجت الحقيبة وتوجهت الى
حجرتي .. ووقدت على السرير ولكن بعد أن ارتديت
كامل ملابسى .. وأخذت أنتظر ..

وبعد فترة سمعت وقع خطوات الملك والدوق
وهما يصعدان الى غرفتيهما .. وانتظرت بعض الوقت
حتى تأكدت من أنهما قد استغرقا فى النوم ، وعندئذ
تسللت خارجا من غرفتى ومعى الحقيبة ..

وهبطت الدرج بحذر شديد .. الى أن وصلت
الى غرفة الطعام .. وكانت هناك شمعة مضاءة رأيت
على نورها الرجال المكلفين بالسهر الى جوار التابوت
الذى ترقد فيه جثة المتوفى .. لقد استغرق هؤلاء
الرجال فى نوم عميق وهم جالسون على الكراسى ..
كما كانت هناك شمعة مضاءة أخرى فى الحجرة
الأمامية ، حيث يوجد التابوت وغطاؤه نصف مفتوح
.. وحاولت أن أفتح باب تلك الحجرة الذى يؤدي الى
الخارج ولكنى لم أتمكن .. فقد كان الباب مغلقا
بالمفتاح ..

وفجأة سمعت وقع خطوات تهبط الدرج ..
واخذت أبحث بسرعة عن أى مكان أخفى فيه الحقيبة ،
ولكنى لم أجد سوى التابوت فأخفيت فيها .. وأسرع
بالاختباء خلف إحدى الستائر ..

كانت ماري جين هى التى جاءت .. كانت تسير
بخطوات بطيئة نحو التابوت .. وتوقفت أمامه .
ونظرت بحزن الى وجه عمها الميت .. ثم ركعت على
ركبتيها ، وأخرجت منديلها ، وبدأت تبكى فى
صمت ..

وتسللت عائدا الى غرفتى .. وركدت على السرير
أشعر باليأس والاحباط ، بسبب هذه الأحداث
التي لم أكن أتوقعها والتي أدت الى انهيار كل
خططى ..

وبقيت مستيقظا .. وحاولت أكثر من مرة أن
أهبط الدرج لأخذ الحقيبة وأفر بها .. ولكن ذلك
أصبح ضربا من المستحيل .. فقد استيقظ بعض

الرجال المكلفين بحراسة التابوت .. وخشيت أن
ينكشف كل شيء ..

وفي الصباح ، لاحظت أن الغرفة التي يوجد بها
التابوت كانت مغلقة .. وظلت مغلقة الى أن انتصف
النهار .. وعندئذ فتحت الغرفة .. وسمح للاصدقاء
والمعزين بأن يدوروا ببطء حول التابوت لينظروا الى
وجه الميت لتوديعه الوداع الأخير .. وقد استغرقت
هذه العملية حوالى نصف ساعة .. وبعد ذلك قام
بعض الرجال بتغطية التابوت وتثبيت غطاءه
بالمسامير ..

وساد جو حزين .. وقام الواعظ هويسون
بالقاء احدى مواعظه .. ثم قام الملك كالعادة بالقاء
خطبة جوفاء تضمنت الكثير من الكلام الفارغ ..

وذهب الجميع الى ساحة المقابر .. وتم دفن
بيتر ويلكس فى قبره .. وعدنا مرة أخرى الى
البيت ..

وفى المساء ، أشار الملك الى أن أهله فى انجلترا
سيقلقون عليه .. وأنه يجب أن يبيع الممتلكات التى
آلت اليه والى أخيه ولیم لكنى يسرعا بالعودة الى
انجلترا .. وقال الملك أيضا انه سيأخذ معه البنات
ليعشن فى رعايته هناك .. وقد فرحت البنات كثيرا
لدى سماعهن بهذا النبأ .. وطلبن منه أن يبيع
ممتلكاتهن أيضا قبل أن يسافرن معه الى انجلترا ..
لقد تأملت كثيرا لهذا المصير التعس الذى ستقع
فيه هؤلاء البنات الصغيرات ضحية لهذا الوغد
المحتال ..

وأعلن الملك عن بيع البيت والأرض وكافة
الممتلكات الأخرى .. وأن موعد البيع سيكون بعد
يومين من تشييع الجنازة .

وفى الصباح الباكر لليوم المحدد للبيع ، أيقظنى
الملك والدوق ، وكانا فى غاية الاضطراب ..

وقال الملك :

- هل دخلت الى حجرتى ليلة أمس الاول ٠٠ ؟
فقلت على الفور :

- لا ٠٠ يا صاحب الجلالة !

- اذن ٠٠ هل رأيت أحدا يدخل الى غرفتى نى
تلك الليلة ٠٠ ؟

وقلت لنفسى : ها هى فرصتى الذهبية ٠٠
وادعيت انى أتذكر شيئا ٠٠ وقلت بعد لحظة :

- نعم ٠٠ أعتقد أنى رأيت بعض الخدم يدخلون
الى الغرفة عدة مرات ٠٠

- استمر ٠٠ استمر ٠٠ ماذا فعل هؤلاء
الخدم ٠٠ ؟

- لا ادرى ٠٠ واعتقد انهم لم يفعلوا شيئا ٠٠ !

وعندئذ نظر الملك الى الدوق ونظر الدوق الى
الملك ٠٠ وأخذا يفكران ويهرشان رأسيهما ٠٠
وفى النهاية قال الملك للدوق يائسا :

- ليس أمامنا سوى أن نبتلع هذه المصيبة ..
ولا نشير إليها بكلمة واحدة .. !

وانعقد البيع فى الميدان العام .. وبيعت
الممتلكات واحدة وراء أخرى .. وأثناء بيع الصفقة
الآخيرة ، وصلت إحدى البواخر النهرية الى شاطئ
القرية ، وحدث هرج ومرج ، وفى خلال دقيقتين جاء
بعض الرجال يصرخون فى دهشة :

- لقد وصل أخوان آخران لبيتر ويلكس .. !!

الفصل الثانى عشر

المشكلة الكبرى ..

جاء بعض الناس ومعهم جنتلمان عجوز حسن المظهر ، ورجل آخر أصغر سنا وذراعه اليمنى مربوطة بالضمادات .. وقال الجنتلمان العجوز :

— أنا هارفى ويلكس .. شقيق بيتس .. وهذا أخى وليم .. انه أصم أبكم .. لقد صادفنا الكثير من سوء الحظ .. فقد كسرت ذراع أخى وليم .. كما أن حقائبنا قد أنزلت من الباخرة عن طريق الخطأ فى الليلة الماضية فى البلدة السابقة .. ويقولون انهم سيحضرونها الى هنا فيما بعد ..

وقهقهه الملك وقال ساخرا !

— كسرت ذراعه .. هذا أمر محتمل .. وفقدوا
حقائبهم .. شئ معقول .. شئ مقنع .. !

وضحك الملك فى سخريه .. كما ضحك بعض
الحاضرين أيضا .. فيما عدا الدكتور روبنسون وليمى
بل المحامى الذى عاد من مأموريته فى لويسفيل ..
وصاح الدكتور قائلا :

— أيها الجيران الأصـدقاء .. لا أدري ان كان
هذان القادمان الجديدان من المحتالين أم لا .. ولكنى
على يقين بأن هذين المحتالين [وأشار الى الملك والدوق]
من النصابين .. من الواجب علينا أيها الأصـدقاء
ألا ندعهما يغادران هذا المكان الا بعد أن نقوم بالتحقيق
فى هذا الموضوع .. فلنذهب الى الفندق .. ولنجعل
هؤلاء الرجال يواجهون بعضهم وجها لوجه .. لا بد أن
تعرف الحقيقة .. !

ووافق الجميع على ذلك ، وذهبنا الى الفندق .
واشار الدكتور الى الملك والدوق وقال :

- اذا لم يكن هذان الرجلان من المحتالين .
فأعتقد أنهما لا يمانعان في احضار الحقيبة المملوءة
بالذهب الى هنا . حتى نحفظ بها الى أن يثبتا حقيقة
أمرهما . ما رأيكم . هل توافقوننى على ذلك . ؟

فوافق الجميع وأيدوا اقتراح الدكتور . وكان
على الملك والدوق أن يواجهوا هذا المأزق الصعب .
وقال الملك فى حزن عميق :

- أيها السادة . عندما أعطتنى ابنة أخى
مارى جين الحقيبة المملوءة بالذهب . خفت عليها
من الضياع أو السرقة . فأخفيت بها بداخل مرتبة
محشوة بالقش بداخل غرفتى . لأنى لم أكن مقتنعا
بوضعها فى البنك لأيام قليلة . ولكن الخدم سرفرو
الحقيبة فى صباح اليوم التالى .

وبطبيعة الحال فلم يصدق أحد هذا الكلام .

وصاح الدكتور كما صاح الكثير من الرجال :

- كلام فارغ .. كلام فارغ !

وبعد ذلك بدأ تحقيق عام .. وطلبوا من الملك أن يحكى قصته كما طلبوا من الجنتلمان العجوز أن يحكى قصته أيضا .. وكان من الواضح تماما أن الجنتلمان العجوز يقول الصدق بينما الآخر يقول أكاذيب لا أحد يصدقها .. !

**وقال الدكتور روبنسون مخاطبا أحد الرجال
المجتمعين :**

- لو كنت حاضرا منذ البداية يا ليفى بل لما ...

٩٤ وهنا قاطعه الملك صائحا :

**- ها أنت أخيرا يا مستر ليفى بل .. المحامى
الذى كان صديقا عزيزا لأخى بيتر .. لقد أرسل الى
أخى بعض الخطابات التى كان يحدثنى فيها عنك**

ومد الملك يده الى المحامى وصافحه بحرارة ..
وأسر اليه ببعض الكلمات بصوت منخفض ..

فقال المحامى على الفور :

- هذه طريقة معقولة وسأجربها لأنها ستكشف
حقيقة الأمر .. وتعتبر دليلا قاطعا ..

وطلب المحامى احضار قلم وبعض الأوراق البيضاء
.. وقام الملك بكتابة بعض الكلمات .. ثم أعطى
القلم للدوق وأفهمه بأن يكتب كلمات اخرى ..
والتفت المحامى الى الجنتلمان العجوز وقال :

- هل يمكن أن تكتب لنا بعض الكلمات على
هذه الورقة .. ؟

فقام الجنتلمان العجوز بكتابة بعض كلمات لم
يستطع أحد أن يقرأها .. واندھش المحامى عندما
رأى الورقة وحاول أن يقرأ الكلمات المكتوبة عليها ..

وأخرج المحامى من جيبه بعض الأوراق القديمة
وقال للناس :

- هذه هي بعض الخطابات التى كان هارفى
ويلكس قد أرسلها الى أخيه بيتر .. وسأقارن الخط
الذى كتبت به هذه الخطابات بالخطوط التى كتبها
كل واحد من هؤلاء الرجال .. لأرى أى الخطوط هو
الصحيحة ..

واستراح الجميع لهذه الفكرة السديدة
وأمسك المحامى أولا بالورقة التى كتبها الملك والدوق
.. وقال المحامى بعد أن قارن الخطوط ببعضها :

- ان أى واحد منا يستطيع أن يدرك على الفور
أن هذه الخطوط لا تتطابق مع الخط الذى كتبت به
الرسائل .. !

وبدا كل من الملك والدوق فى غاية الحرج
والارتباك بعد أن كشف المحامى أمرهما .. وقام

المحامى بعد ذلك بمضاهاة خط الجنتلمان العجوز بخط
الرسائل ، وقال على الفور :

- من الواضح أيضا ان خط هذا الجنتلمان غير
مطابق لخط الرسائل .. بل ان هذا النبش الذى خطه
الجنتلمان ليس كتابة على الاطلاق .. !

واندهش الجميع لهذه النتيجة غير المتوقعة
ولكن الجنتلمان العجوز قال بسرعة :

- من فضلك دعنى أشرح لك الأمر .. ان أحدا
لا يستطيع قراءة خطى .. ولكن أخى بيتر كان قادرا
على ذلك .. وكان ينسخ رسائلى بخط يده هو حتى
تصبح مقروءة ومفهومة .. اذن فهذه الرسائل التى
معك ليست مكتوبة بخطى أنا .. وانما هى مكتوبة
بخط أخى .. !

وعندئذ نظر المحامى الى الرسائل التى فى يده
مرة أخرى ، وقال مترددا :

- ربما كان هذا صحيحا .. وسنحاول معرفة
هذا الأمر بطريقة أخرى .. ولكن هناك نتيجة مؤكدة
خرجنا بها من هذه التجربة .. [ونظر الى الملك
والدوق وأشار اليهما] .. ان هذين الرجلين ليسا
أخوين لبيتر ويلكس !

ومع ذلك فان الملك لم يستسلم لهذه النتيجة
الواضحة ، بل احتج قائلا بأن هذا الامتحان لم يكن
عادلا .. وعندئذ قال الجنتلمان العجوز :

- لدى فكرة جديدة .. هل يوجد أحد هنا
من الرجال الذين جهزوا جثة أخى بيتر للدفن ..

وهنا تقدم أحد الرجال وقال :

- نعم .. لقد قمت أنا وآب تيرنر بذلك ..

وأشار الجنتلمان العجوز الى الملك وقال :

- ربما يستطيع هذا الرجل أن يقول لنا ما هي
العلامة التى كانت موجودة على صدر أخى .. ؟!

شحب لون وجه الملك .. وظل صامتا لفترة
قصيرة .. وكل الناس تحلق في وجهه بعيون
فاحصة .. وقلت لنفسي : لقد أسقط في يده .. ولا بد
أنه سيستسلم الآن فورا .. ومع ذلك فلم يستسلم
الملك .. وقال وهو يتظاهر بأنه كان يتذكر :

— نعم يا سيدي .. أستطيع أن أخبرك بهذه
العلامة .. لقد كانت عبارة عن سهم صغير مطبوع
باللون الأزرق .. سهم صغير جدا .. إذا لم تدقق
فيه النظر ، فلن تستطيع أن تراه .. !!

وقلت لنفسي : يبدو أن أحدا لن يستطيع أن
يهزم هذا الوغد العجوز الماكر الذي لا يخجل من نفسه
أبدا ..

وهنا تقدم الجنتلمان العجوز من أب تيرنر وشريكه
وقال لهما :

— لقد سمعنا ما قاله هذا الرجل .. فهل
كانت هذه العلامة مطبوعة على صدر أخى .. ؟

فقال الرجلان معا :

- لا .. لم نر مثل هذه العلامة .. !

وقال لهما الجنتلمان العجوز :

- عظيم .. انكما لم تريا هذه العلامة التي قال بها هذا الرجل .. وما رأيتما حقا هو حرفي «ب» و «و» .. وهما الحرفان الأولان من اسمه « بيتر ويلكس » .. وكان الحرفان مطبوعين بخط صغير جد على صدر أخى .. وكانت بين الحرفين شرطة صغيرة تفصلهما هكذا .. [وكتب « ب - و »] .. وبالتأكيد فقد رأيتما هذين الحرفين .. أليس كذلك .. ؟!

فقال الرجلان على الفور :

- لا .. لم نر على صدره أية علامة أو حروف على الاطلاق .. !!

وساد الوجوم على جميع الناس .. وبدأ بعضهم يقولون صائحين :

- كلهم عصابة من المحتالين النصابين .. لابد
أن نفرقهم فى النهر .. !!

ولكن المحامى صاح قائلا :

- أيها السادة .. أيها السادة .. بقى شىء
واحد علينا أن نعمله أولا .. فلنذهب الى قبر بيتر
ويلكس .. ونخرج جثته .. لنرى ما هى العلامة
المطبوعة على صدره .. أو ربما لن نجد اية علامة ..
وعندئذ نقرر أمرنا ..

وصاح الجميع :

- تمام .. هذا هو الحل .. !

صدقونى .. لقد شعرت بخوف شديد ..
لقد أمسكونا جميعا .. وأحاطوا بنا من كل جانب ..
وأخذوا يتصرفون نحونا مثل القطط المتوحشة .. !
وقد ازداد خوفى أكثر وأكثر .. عندما بدأت
السماء الملبدة بالغيوم والسحب تبرق وترعد .. وبدأ

الظلام الا من ومضات البرق .. كما بدأت الريح تهب
وتهز أوراق الشجر بعنف ..

وساقونا الى ساحة المقابر .. وأنا أشعر بأى
هذه المشكلة هي أصعب وأخطر موقف صادفته فى
حياتى .. فلم يكن يفصل بينى وبين الموت مشسوقا
الا هذه العلامات على صدر الميت .. هذا ان كانت
هناك علامات على وجه الاطلاق ..

وعندما اشتته الظلام .. أصبحت هناك فرصة
سانحة لفرارى .. ولكن كيف أهرب فى الوقت الذى
يقبض فيه على معصمى بشدة رجل قوى اسمه
هاينز ..

وتجمع الجميع عند القبر .. وكان معهم أكثر من
مائة جاروف ، ولكن لم يكن معهم مصباح واحد ..
وأرسلو رجلا منهم ليقترض مصباحا من أى مكان
قريب . ومع ذلك فقد بدأوا يحفرون على ضوء البرق
الذى يومض بين حين وآخر على صفحة السماء .

وساد المكان كله نوع من الجنون الذى يرهق
الأعصاب .. فقد اشتد الظلام أكثر وأكثر .. ونشطت
المعاول والجواريف وهى تحفر وتحفر .. وانهمر المطر
كالسيل .. واشتد وميض البرق .. وارتفع صوت
الرعد .. وفى لحظة واحدة .. كنت تستطيع أن ترى
كل هذا الجمع من الناس الذين يقومون بهذه العملية
الرهيبة .. وفى اللحظة التالية حين لا تبرق السماء ،
يصبح الظلام دامسا فلا تستطيع أن ترى شيئا على
الإطلاق .. !

وأخيرا .. أخرج الرجال التابوت من القبر
وفكروا غطاءه .. وفى لمح البصر صاح أحدهم :
- يا للسماء .. ان على صدره خفيبة مملوءة
بالذهب .. !!

وفى تلك اللحظة ، ترك هاينز معصمى .. وقفز
الى التابوت ليلقى نظرة على هذه المفاجأة التى أذهلت
الجميع .. وفى نفس اللحظة انطلقت هاربا بأقصى
سرعة .. وفى أول ومضة برق تالية شاهدت قاربا

صغيرا قرب الشاطئ ، فقفزت اليه وبدأت أجدف نحو
الطوف .. !

ولم أصدق أنى نجوت الا بعد أن اعتليت ظهر
الطوف ، وناديت على جيم بسرعة :

— هيا يا جيم .. لقد تخلصنا منهما أخيرا ..
فلننطلق بالطوف بأقصى سرعة .. !

وخرج جيم من مخبأه .. وهو يمد الى ذراعيه
ليعبر عن سروره بعودتى .. ولكنى عنهما رأيته على
ضوء البرق صدمت ، وكاد قلبي أن يتوقف عن الخفقان
فى صدرى ، وانكفأت مذعورا على ظهري .. لقد نسيت
أن جيم كان متنكرا فى ملابس « الملك لير » .. وانه
كان مدهونا باللون الأزرق القاتم مثل لون الغرقى ..
لقد كان منظره مرعبا .. !

والتقننى جيم من الماء حيث سقطت .. وأبدى
سروره بعودتى سالما .. وبتخلصنا من الملك والدوق
.. وقلت أستحثة مرة أخرى :



افزعنى منظر جيم فسقطت فى النهر !

- ليس الآن وقت الكلام .. سأحكى لك كل شيء
فيما بعد .. إما الآن فعلينا أن ننتقل ..

وفى أقل من ثانيتين ، بدأ الطوف يسبح فوق
سطح النهر .. ولكن بعد فترة قصيرة سمعت صونا
أعرفه جيدا .. وعلى وميض البرق شاهدهت الملك
والدوق يركبان قارباً ويجدفان نحونا .. وما أن اعتليا
ظهر الطوف ، حتى تقدم الملك وأمسكنى من ياقة معطفى
وأخذ يهزنى بشدة ويقول :

- تريد أن تفلت بجلدك وتدعنا نواجه هذه
المحنة وحدنا .. أيها القرد !

وقلت على الفور :

- أبدا يا صاحب الجلالة .. أبدا !

- اذن ما الذى دفعك الى الهرب وتتركنا ..
قل والا أخرجت روحك من بدنك .. !

وهنا قال الدوق :

- دع الصبى فى حالة .. انك لم تبحث عنه
لتأخذه عندما أتيت لك فرصة الهرب .. فلماذا
تطلب منه أن يفعل شيئا أنت نفسك لم تفعله .. ؟!

وترك الملك ياقة معطى .. وأخذ يلعن تلك
القرية وأهلها وكل شيء فيها .. ولكن الدوق قال له
فى غيظ :

- من الأفضل أن تلعن نفسك أولا .. فانت
الملوم منذ البداية .. وكل تصرفاتك وأفكارك كانت
سيئة وغير معقولة .. انك لم تفعل شيئا يستحق
الثناء سوى فكرة السهم الأزرق الذى ادعيت أنه
مطبوع على صدر الميت .. فهذه الفكرة هى التى أنقذتنا
.. فلولاها لما ذهبوا بنا الى ساحة المقابر .. ولما عثروا
على حقيبة الذهب التى أذهلتهم وخلبت لبهم ..
فاستطعنا أن نفر هاربين فى تلك اللحظة .. لقد
كانوا سيشنقوننا حتما .. !

وانقضت فترة شرب فيها الملك والدوق زجاجة
كاملة من الخمسر ٠٠ ثم بدا ينعسان ٠٠ وسرعان
ما استغرقا فى نوم عميق ٠٠
وعندئذ حكيت لجيم كل شىء ٠٠ !

الفصل الثالث عشر

أين جيم ؟؟!

وظللنا سابحين بالطوف عدة أيام متوالية .
وهكذا أخذنا نقترّب من المناطق الجنوبية ذات الجو
الحار . . وأصبحنا بعيدين تماما عن موطننا الأصلي . .
ولم نكن نجسر على الرسو في إحدى القرى أو المدن
الصغيرة التي كنا نمر عليها . .

ولكن بعد أن أصبح المحتالان يشعران بأنهما
بعيدان تماما عن خطر الملاحقة . . بدأ يدبران بعض
الحيل ليستخدماها في خداع أهالي القرى مرة أخرى . .

قاما فى احدى القرى بالقاء الخطب والمواظ على
أضرار شرب الخمر ٠٠ وفى قرية أخرى ادعى أنها
مدرسان للرقص ومستعدان لتدريب الأهالى على قواعد
الرقص ٠٠ ولكن معلوماتهما عن الرقص لم تكن تزيد
عن معلومات أى حمار ، واكتشف الأهالى أمرهما
فطردوهما من القرية ٠٠

وفى قرية ثالثة ادعى قدرتهما على ممارسة الطب
وعلاج الجروح والأمراض ٠٠ ثم ادعى أنهما قادران
على رؤية البخت والطالع ٠٠ وهكذا حاولا خداع الناس
بكل حيلة وضيعة ٠٠ ولكن صادفهما الكثير من سوء
الحظ ولم يكسبا شيئا ٠٠ وفى النهاية استلقيا على ظهر
الطوف مفلسين تماما ٠٠ لا يفعلان أى شيء سوى
التفكير فى خدعة أو طريقة جديدة للاحتيال على
الناس ٠٠

وفى صباح أحد الأيام رسونا بالطوف على بعد
نحو ميلين من قرية اسمها بايكسفيل ٠٠ وقال لنا
الملك انه سيذهب الى تلك القرية ليرى ما اذا كان أهلها

قد سمعوا بحكاية « التحفة الملكية المنقطعة النظر » ،
أم لا ٠٠ وطلب من الملك أن ينظر مختبئين في هذا
المكان حتى يعود اليينا قرب الظهر ٠٠ وقال لنا اذا لم
يعد حتى الظهر فيجب أن نذهب الى القرية للبحث
عنه ٠٠

ولقد سررت كثيرا عندما جاء وقت الظهر ولم
يظهر للملك أى أثر ٠٠ فسوف أتمتع ببعض التغيير
على الأقل ٠٠ وهكذا ذهبت أنا والدوق الى القرية
لنبحث عن الملك ٠٠

وهناك عثرنا عليه ، وكان سكرانا تماما لدرجة
أنه لم يعد يستطيع أن يمشى أو يتحرك ٠٠ وأخذ الدوق
يسبه ويلعنه ٠٠ فرد الملك بالمثل ٠٠

وانتهزت فرصة الشجار الذى نشب بينهما ٠٠
فانطلقت أجرى كالغزال الهارب بعد أن استعدت
حريتي وتخلصت من هذين الوغدين ٠٠ وأخيرا وصلت
الى الطوف وقد تقطعت أنفاسي ، وصحت لاهثا :

— هيا يا جيم ٠٠ لقد استعدنا حريتنا أخيرا ! ٠٠

ولكنى لم أسمع رداً .. لقد اختفى جيم ! .. لم
يعد له أى أثر ! .. فأخذت أجدى هنا وهناك وفى كل
مكان فى الغابة القريبة من الشاطئ .. وظللت
أنادى وأنادى .. ولكن بلا فائدة .. لقد اختفى
صديقى العجوز .. وجلست على الأرض وأخذت
أبكى ..

ولم أطق أن أظل هكذا عاجزاً عن فعل أى شئ
.. فأخذت أفكر فى كيفية مواجهة تلك المصيبة ..
وقابلت صبياً فسألته إذا كان قد شاهد زنجياً غريباً
عن هذه المنطقة ، يرتدى كذا وكذا .. فقال الصبي :
- نعم .. انه الآن فى بيت سيلاس فلبس الذى
يبعد نحو ميلين من هنا .. ان هذا الزنجى عبد هارب
.. وقد قبضوا عليه .. وهناك جائزة قدرها مائتى
دولار لمن يقوم بتسليمه ..

فسالت الصبي :

- ولكن كيف قبضوا عليه .. ؟

- آه .. لقد جاء رجل عجوز غريب عن هذه المنطقة .. وقال انه يعرف مكان هذا العبد الهارب .. ومستعد لبيع هذه الفرصة في مقابل أربعين دولارا فقط لانه مستعجل وليس لديه وقت لتسليم العبد لأصحابه في المنطقة التي هرب منها .. !

وعدت الى الطوف وقد أوشك قلبي أن يتحطم .. فبعد كل هذه الرحلة الطويلة .. وبعد كل ما فعلناه من أجل هذين الوغدين .. ينتهى كل شيء هكذا .. ويبيعانه الى هؤلاء الغرباء مقابل أربعين دولارا .. !؟

وتوالت على ذهني كل الذكريات التي عشتها مع جيم طوال هذه الرحلة الطويلة الحافلة بالأحداث .. تذكرته حينما كان أمامي ومعى طوال النهار والليل .. حين كنا نتمتع بضوء القمر .. وحين كانت تهب علينا العواصف .. وحين كان طوفنا ينزلق سابحا فوق سطح النهر بكل نعومة .. نعومة .. ونحن نتحدث ونغنى ونضحك ..

تذكرته حين كان يواصل العمل بعد أن تنتهى

نوبته حتى لا يوظفنى .. وتذكرته حين كان يفرح
بعودتى بعد كل مرة أتغيب فيها عن الطوف .. وعندما
عدت اليه مرة أخرى بعد حكاية الثار .. تذكرته
وهو يحنو على دائما ويطيب خاطرى .. وحين كان
يدعونى دائما بصديقه العزيز .. وحين كان يفعل كل
شئ وأى شئ فى سبيل راحتى وسعادتى ..

وتذكرت حين أنقذته مرة وادعيت أنه أبى وانه
مصاب بمرض معد خطير فأفلت بذلك من القبض عليه
وأخذ يشكرنى على هذا الجميل ، ويقول لى اننى خير
صديق له فى هذا العالم !..

وهكذا توالى على ذهنى الأفكار والذكريات .
ولكنى قلت لنفسى فى النهاية : لابد أن أعود الى عالم
الجريمة مرة أخرى .. وأول جريمة سأرتكبها هى
سرقة جيم من الرجل الذى يقبض الآن عليه !..
ودبرت أمري ووضعت خطة ..

وعندما حل الظلام أقلمت بالطوف الى جزيرة
بوسط النهر تغطيها الغابات .. وهناك نمت

قبيل طلوع الفجر .. وتناولت افطاري .. وارتديت
ملابسي .. ووضعت بعض الأشياء في صرة .. وركبت
القارب ، وأخذت أجدف نحو المكان الذي اعتقد أنه
المكان المسمى فيلب .. وهناك أخفيت الصرة في
الغابة ، وملأت القارب بالصخور حتى اختفى تحت
سطح الماء ..

وعندما وصلت الى أول الطريق ، رأيت لافتة
مكتوب عليها « ورشة فلبس لنشر الأخشاب » ..
فعرفت أنني في الطريق الى المكان الصحيح .. وواصلت
السير .. وكان الدوق هو أول شخص صادفته في تلك
المدينة الصغيرة .. كان يقوم بتعليق اعلان عن «التحفة
الملكية المنقطعة النظر» وعرضها لمدة ثلاث ليال فقط ..
اندهش الدوق حين رأني وقال :

— هالو .. من أين أنت قادم .. وأين الطوف ..
هل هو مخبأ في مكان مأمون .. 119

وقلت له على الفور :

— هذا بالضبط ماكنت أنوى أن أسألك عنه
يا صاحب السعادة !

فقال وهو يبدى مزيدا من الدهشة :

— ماذا تقصد بأنك كنت تريد أن تسألنى ؟

قلت له :

— عندما رأيت الملك سكرانا بالأمس .. قلت
لنفسى انه لن يفيق الا بعد ساعات نستطيع بعدها أن
نصحبه الى الطوف .. وانتهزت الفرصة لأقضى بعض
الوقت فى هذه المدينة الصغيرة .. وبعد أن حل
الظلام .. ذهبت الى حيث كان يرسو الطوف .. ولكنى
لم أجده .. وقلت لنفسى لعلهم قد صادفوا بعض
المتاعب فاضطروا الى الرحيل .. وتركونى .. وجلست
على الأرض وأنا أبكى .. ونمت فى الغابة طول الليل
.. وهانذا أخيرا أجذك أمامى يا صاحب السعادة ..
فأين الطوف .. وأين صديقى جيم المسكين .. ؟ !

وقال الدوق :

- لا أدري أين ذهب الطوف .. فبالأمس عدت مع العجوز الغبي الى حيث كان يوجد الطوف ولكننا لم نعثر عليه .. لقد اختفى .. وقلنا لأنفسنا ان هذا الوغد الصغير قد استولى على طوفنا وهرب به ..

- ولكن ياسيدي الدوق .. هل يمكنني أن أهرب دون أن يكون معي صديقي جيم .. ؟!

- لا أدري .. ولكن هل تعتقد أن جيم سيفشى سرنا للناس .. لو فعل ذلك فسوف نسلخ جلده ..
- وكيف يفشى سركما .. ألم يهرب منكما ؟!
- لا .. لم يهرب .. ولكن العجوز الغبي باعه بمبلغ من النقود أنفقه كله ..

فقلت وانا ابكي بحرقة :

- باعه ؟! .. أين .. أين جيم .. أين هو الآن .. أريد أن أراه .. أريد أن أراه .. !

- افك لن تستطيع أن تصل اليه .. وسوف
نبقى هنا لمدة ثلاثة أيام .. واذا وعدتني بأنك لن تفشى
سرنا لأهالى هذه البلدة .. وبأنك ستقنع جيم بالأا يفشى
سرنا أيضا .. فانى سأخبرك بمكانه ..

- أعدك بذلك .. !

- انه الآن فى حوزة مزارع فلاح اسمه ابراهام
فوستر .. يعيش فى الريف فى مكان يبعد عن هنا
بنحو أربعين ميلا .. على الطريق المؤدية الى لافاييت !

وطبعا كنت أعرف أنه يكذب .. كان يريد أن
يبعدنى عن هذه البلدة على الأقل لمدة الأيام الثلاثة التى
سيعرضون فيها « التحفة الملكية » .. ومع هذا فقد
تظاهرت بأننى صدقته .. وقلت له :

- اذن .. سأسافر اليه الآن .. !

ومشيت فى الطريق لمسافة تقرب من ميل ..
ولكنى قفلت عائدا نحو الطريق المؤدية الى بيت
فلبس !

الفصل الرابع عشر

وصول توم وأخيه سيد

وعندما وصلت الى هناك ، كان المكان هادئا ساكنا ويبدو كما لو كان فى يوم عطلة • فقد ذهب العمال جميعهم الى الحقول • وتسلمت السور وأخذت طريقى نحو المطبخ • • وكنت سعيد الحظ لأنى وجدت الكلمات المناسبة فى الوقت المناسب •

أقبلت نحو امرأة فى حوالى الخامسة والأربعين من عمرها ، ويجرى خلفها مجموعة من الأطفال الصغار • • واستقبلتنى المرأة بابتسامة عريضة وهى تقول :

- هل وصلت أخيرا .. !!

وتقدمت نحوى واحتضنتنى بعطف زائد
وهى تقول :

- انك لاتشبه أمك كما كنت أظن .. ولكن
هذا لا يهم .. فانا مسرورة لرؤيتك .. تعالوا يا أولاد
واستقبلوا معى ابن خالتكم توم .. قولوا له مرحبا .. !!
ولكن الأطفال وضعوا أصابعهم فى أفواههم ،
واختبأوا خلف أمهم .. وسحبتنى المرأة من يدى ،
واتجهت بى نحو البيت .. وسار الأطفال خلفنا ..
وعندما أصبحنا بداخل البيت ، أجلستنى على مقعد
مريح وجلست أمامى على المقعد المقابل وهى لم تزل
تمسك يدى الاثنتين .

وواصلت حديثها الغامض :

- الآن فقط أستطيع أن أنظر اليك وأتفحصك
بدقة .. ما الذى أخرك .. لقد كنا ننتظر وصولك
ولكنك تأخرت .. هل حدث شئ للسفينة التى قدمت
عليها .. ١٩

فقلت مترودا :

- نعم .. حصل عطل بالآلات ياسيديتى !

فقالت على الفور :

- لا تقل ياسيديتى .. قل يا خالتى .. يا خالتى
سالى .. لقد كان عمك يذهب كل يوم لمحطة السفينة
لعله يجدهك قادما على احدى السفن .. لقد ذهب اليوم
منذ نحو ساعة .. ولا بد أنك قابلته فى الطريق ..
انه يبدو عجوزا وله ..

- لا .. لم أقابل أحدا يا خالتى سالى ..

وبدأت أشعر بكثير من الحيرة والقلق .. وكنت
أريد أن أنتحى بأحد الأطفال جانبا لأسأله من أنا فى
ظنهم .. ولكنى لم أجده أية فرصة مواتية .. فقد
واصلت مسر فللبس حديثها بصفة مستمرة ، وأخذت
تربت على ظهري ، وبدأت المرحلة الحرجة فى الحديث
حين قالت :

- ولكنك لم تقل لى شيئا عن أختى ، ولا عن

الآخرين .. الآن سامسك لسانى واسكت .. اخبرنى
عن أحوالهم .. وقل لى ما قالوه لك لتقوله لى .. !

وبدأت أتلعثم ولا أدرى ما أنا بقائل .. ومع
ذلك فقد فتحت فمى وبدأت أقول أى شىء .. ولكن
لحسن الحظ حدث شىء أنقذنى من هذه الورطة .. فقد
سحبتنى مسز فلبس من يدى فجأة وخبأتنى خلف
السرير .. وهمست قائلة :

— لقد وصل عمك فلبس .. لن أخبره بحضورك
الآن .. الا بعد أن أعد له مفاجأة لطيفة ..

لقد رأيت الرجل العجوز للحظة واحدة .
وبدأت مسز فلبس تسأله :

— هاه .. هل وصل نوم .. ؟!

فقال الرجل العجوز :

— لا .. ولا أدرى لماذا تأخر .. لقد بدأ
أقلق عليه .. !

وقالت مسز فلبس :

— ولكن .. لابد أنه قد وصل فعلا .. وربما
قابلتك في الطريق ولكنك لم تعرفه .. ان قلبى
يشعرنى بذلك ..

— لا .. لا يمكن أن يحدث ذلك ..
— انظر من النافذة .. هل هناك شخص قادم
تجاه البيت .. !!

وما أن اتجه الرجل العجوز الى النافذة حتى
جذبتنى مسز فلبس من يدى ، وأوقفتنى بجانبها ،
وعندما استدار الرجل ورأى ، انفجرت مسز فلبس
ضاحكة بصوت مرتفع ، بينما كنت أنا قلقا وغارقا فى
عرقى من شدة القلق والارتباك .. وحلق فى الرجل
العجوز سيلاس فلبس واعتزته الدهشة ، وقال :
— من هذا .. !!

فاجابت مسز فلبس ضاحكة :

— هذا توم سوير .. توم سوير بعينه .. !!
وهنا مادت الأرض تحت قدمى .. ولكن الرجل

العجوز تقدم نحوى ، وأخذ يهز يدي بقوة مرحبا بى ،
وأخذت مسز فلبس ترقص طربا ٠٠ وبدأ سيل من
الأسئلة عن سيد ٠٠ وعن مارى ٠٠ وعن بقية أفراد
العائلة ٠٠

كنت فى غاية السرور لخروجى من هذا المأزق
الهرج ٠٠ وشعرت وكأننى قد ولدت من جديد ٠٠
وحكى لهم الكثير عن أفراد عائلتى - أقصد عائلة
توم سوير - التى أعرف بطبيعة الحال الكثير من
أخبارها وأحوالها بحكم صداقتى الحميمة لتوم سوير .
وهكذا أخذت أتصرف على أساس أنى توم سوير
٠٠ وكان ذلك أمرا سهلا للغاية ٠٠ ولكن عندما
سمعت صوت باخرة. نهريّة تأخذ طريقها نحو محطة
القرية ، قلت لئنفسى : ما العمل لو أن توم سوير كان
قادما على ظهر هذه الباخرة ؟! ٠٠ وماذا سيكون
موقفى لو حضر الى هنا ورآنى ونادانى باسمى الذى
يعرفه ٠٠ اسمى الحقيقى ٠٠ لابد أن أذهب لأقابله
قبل أن يأتى الى هنا ، لتتدبر الأمر سويا ١٠٠
وهنا ٠٠ استأذنت منهم مدعيا بأن على أن أذهب

الى محطة البواخر لأبحث عن حقائبي .. وهم الرجل
العجوز بالقيام لمصاحبتى .. ولكنى قلت له انى
استطيع أن أقود الحصان الذى يجر العربى ، وطلبت
منه ألا يقلق نفسه بسببى ..

وهكذا قدت العربى وحدى واتجهت صوب محطة
البواخر .. وفى منتصف الطريق ، رأيت عربى أخرى
قادمة من الاتجاه المقابل ، وكان توم سوير راكباً فيها
.. وعندئذ صحت بأعلى صوتى :

— قف .. !!

وما أن رأيت توم ، حتى فغر فاه من شدة
الدهشة .. ثم أخذ يبلع ريقه بصعوبة ..
وقال معبراً عن خوفه :

— أنا لم أفعل شيئاً يؤذيك أبداً ياهكلبرى ..
أنت تعرف ذلك .. فلماذا تعود الآن لتخيفنى ؟!

فقلت على الفور :

— أنا لم أمت ياتوم .. أنا مازلت حياً ..
— صحيح ؟! .. لست شبحاً ؟! .. ألم تقتل ؟!

- لا .. لقد خدعتهم جميعا .. تعال والمسنى
بيدك اذا لم تصدقنى .. :

وتقدم توم نحوى ، ولمسنى ، واقتنع بما قلت ..
.. وكان فى غاية السرور لمقابلتى .. وكان يريد أن
يعرف كل شئ فى لحظة واحدة .. وتلهف بشدة
على سماع مغامراتى الغامضة .. ولكنى قلت له أنى
سأحكى له كل شئ فيما بعد .. وشرحت له المشكلة
التي أواجهها الآن أمام عائلة فلبس وطلبت منه
المشورة فيما عسانا أن نصنع للخروج من هذا المأزق ..
وأخذ توم يفكر ويفكر .. وقال فجأة :

- لقد وجدتها .. وجدت الحل .. عليك ان
تأخذ حقيبتى وتدعى أنها حقيبتك .. وعدت الى البيت
على مهل .. وسألق بك بعد حوالى ربع ساعة ..
وعندما أصل الى البيت .. تظاهر بأنك لا تعرفنى .. !

فقلت له :

- موافق .. ولكن انتظر لحظة .. فهناك سر
لا يعرفه أحد غيرى وسأخبرك به .. هناك زنجى

محبوس ٠٠ وأنا أريد أن أسرقه لأطلق سراحه ٠٠ انه
العبد الهارب الذى كانت تمتلكه المعجوز مسز واطسون
٠٠ انه جيم وأنت تعرفه ٠٠

وهنا قال توم منهشيا :

— ماذا تقول ؟ ٠٠ ان جيم ٠٠٠

فقلت على الفور :

— لا تكمل ٠٠ فانى أعرف ماذا ستقول ٠٠
ستقول انه عمل بغيض ٠٠ ولكن لنفرض انه عمل
بغيض ٠٠ ماذا يهم ٠٠ أنا نفسى انسان بغيض ٠٠
ولكنى سوف أسرق جيم من محبسه ٠٠ وسوف أطلق
سراحه ٠٠ وكل ما أريده منك أن تحتفظ بهذا السر
ولا تخبر به أحدا .

وهنا برقت عينا توم وقال بحزم :

— سأساعدك فى سرقة وإطلاق سراحه !

وكان هذا أغرب مما توقعت ، وكدت أكذب
أذنى ٠٠ فمن ذا الذى يمكنه أن يصدق أن توم سوير

بنفسه سيشترك فى سرقة عبد زنجى هارب ليطلق
سراحه ٠٠ ١٩

وعلى أية حال ، فقد وضعتنا حقيبة توم على
عربتي ٠٠ وسرت متمهلا نحو بيت عائلة فلبس ، بينما
اتجه هو بعربته الى طريق آخر ٠٠

وبعد حوالى نصف ساعة ، وصلت العربية التى
تقل توم أمام البوابة الخارجية للبيت ، وشاهدتها المارة
سالى من النافذة ، وترجل توم واتجه نحو مدخل
البيت ، واندفع الجميع نحو الباب ليروا من القادم ٠٠
وعندما اقترب توم من باب البيت ، رفع قبعته
بتحية مؤدبة وقال :

— هل هذا منزل مستر آرشيبالد نيكولز ٠٠ ١٩
فقال مستر فلبس :

— لا يابنى ٠٠ ان منزل نيكولز على بعد ثلاثة
أميال من هنا ٠٠ تعال لتتناول غداءك معنا وسوف
أصحبك الى منزل نيكولز لأدلك عليه ٠٠
وشكره توم على هذه الدعوة الكريمة بأدب

شديد .. ودخل الى البيت .. وقال انه غريب قادم
من هيكسفيل بولاية أوهايو .. وأن اسمه وليم
طومبسون .. وانحنى مرة ثانية بأدب شديد ..

ثم أخذ توم يحكى أشياء كثيرة عن هيكسفيل ..
وعن كل فرد فيها .. وانهمك فى الحديث وانهمكت
الأسرة فى الانصات .. وفجأة قام توم من مقعده وقبل
مسز فلبس قبلة سريعة .. ثم استمر فى حديثه ..
ولكن مسز فلبس هبت واقفة ، وأخذت تمسح
مكان القبلة بظهر يدها ، وصرخت قائلة :

— يالك من غلام وقح !!

فتظاهر توم بالدهشة ، وقال :

— لقد أردت أن أفاجئك يا سيدتى .. !

— تفاجئنى ! .. ماذا تظن عنى .. وماذا تقصد

بتقبيل .. ؟!

فقال توم بتواضع :

— لا أقصد شيئاً .. ولكنى كنت أظن أنك تحبين

ذلك !

فهبت فيه مسز فلبس ، بل وأوشكت أن ترفع
يديها لتضربه ، ولكنها صرخت فيه قائلة :

— يالك من مجنون .. وما الذى جعلك تعتقد
أنى أحب ذلك ؟!

فقال توم متمهلا :

— لا أعرف .. ولكنهم أخبرونى بذلك ..

— أخبروك بذلك ؟! .. من هم الذين أخبروك
بذلك .. ؟!

— كلهم .. كلهم ..

— من كلهم هؤلاء .. قل لى أسماءهم .. !
فتظاهر توم بالغضب ، وأخذ يلوى قبعته بطريقة
عصبية وقال :

— كلهم قالوا لى : قبلها .. فهى تحب ذلك ..
ولكننى أسف يا سسيديتى .. فلن أفعل ذلك مرة
أخرى .. الا بناء على طلبك ..

- بناء على طلبى .. انى لم أسمع كلاما مثل ذلك
طول حياتى !

وأخذ توم ينظر حوله الى أن التقت عيناه بى ،
قال بصوت لطيف :

- توم !! .. هل تعتقد بعد ذلك أن خالتى سالى
ستفتح ذراعيها مرحبة بى .. وتقول « أهلا يا سيد
سوير » !!؟

وهنا هبت الحالة سالى واقفة وقالت بفرح :

- ليففر الله لى .. يالك من عفريت صغير ..
لقد خدعتنى باتقان !

وتقدمت اليه لتحتضنه وتقبله .. ولكنه اشترط
عليها أن تستأذن منه أولا ليسمح لها بتقبيله ..
فضحكت .. واستأذنت .. وغمرته بقبلاتها وحنانها ..
ولكنها قالت فجأة :

- يالها من مفاجأة مدهشة .. الغريب أن أختى
كتبت لى أن توم سيحضر وحده .. ولم تشر الى حضور
سيد ..

فقال توم :

— هذا صحيح .. حتى اللحظة الأخيرة كان من المقرر أن يحضر توم وحده .. ولكن الحالة بوللى سمحت لي بالحضور معه .. وقررنا — أنا وتوم — أن نجعل وصولنا اليكم في شكل مفاجأة طريفة .. فيذهب هو أولا ويلتقي بكم .. ثم أحضر أنا بعد ذلك وأتظاهر بأنني غريب .. ولكنك يا خالتي سالي عاملت الغريب بقسوة ..

فقالت الحالة سالي :

— لقد كنت تستحق الضرب والصفع على وجهك .. لقد تضايقت فعلا في البداية ..

وهكذا تراصل الحديث طوال الوقت الذي تناولنا فيه طعام الغداء وطوال فترة بعد الظهر الى أن حل المساء .. ولكن المائلة لم تشر بكلمة واحدة عن العبد الهارب .. الى أن جاء أحد الأولاد من أبناء مستر فلبس ، وطلب من أبيه أن يسمح له ولتوم وسيد ، بأن يذهبوا لمشاهدة « التحفة الملكية المنقطعة النظير » ..

وهنا قال مستر فلبس :

- لا .. فقد أخبرنى العبد الهارب كما أخبر
بيرتون بأمر هذا العرض الغبى الذى سيقدمه اثنان من
النصابين .. وذهب بيرتون ليخبر الناس بأمر هذين
النصابين .. وأعتقد أن الناس قد طردوهما الآن من
المدينة .

وبعد العشاء .. توجه الجميع الى غرف النوم ..
وكانوا قد خصصوا لنا - أنا وتوم - غرفة بالطابق
العلوى .. وما أن وصلنا اليها ، حتى تسلسلنا عبر
النافذة ، وقفزنا الى السقف المنحدر ومنه الى الأرض ،
واتجهنا الى المدينة ، لنقوم بانذار الملك والدوق بما
سوف يدبره الناس نحوهما ..

وأثناء الطريق ، حكيت لتوم كل شئ عن الملك
والدوق .. وعن التحفة الملكية المنقطعة النظير .. وعن
قصة الرحلة النهرية الطويلة التى قمنا بها أنا وجيم
على ظهر الطوف والمغامرات التى صادفناها ..

ولكن يبدو أننا وصلنا متأخرين بعد أن انقضى
الامر بالنسبة للملك والدوق ٠٠ فعندما وصلنا الى
قلب المدينة ، شاهدنا جمعا غفيرا من الناس يحملون
المشاعل ٠٠ ويصرخون مهللين ٠٠ ويدقون بعلب
الصفيح ببعضها محدثين صخبا وضجة عالية ٠٠
وينفخون فى المزامير المصنوعة من قرون البقر ٠٠ !

وفى وسط هذا الجمع الهائج ، كان الملك والدوق
جالسين على عربة ٠٠ عارين ٠٠ وقد طلى جسم كل
منهما بالقار الأسود ٠٠ ونفش عليها ريش أبيض ٠٠
لقد شعرت بالشفقة نحو هذين المسكينين ٠٠ انه لشيء
فظيع أن يجرس الانسان على مثل هذا النحو ٠٠ أو أن
يعامل الانسان أخاه الانسان بمثل هذه القسوة ٠٠

وبطبيعة الحال ، فلم نستطع فعل أى شئ
لمساعدتهما ٠٠ وعلى هذا فقد عدنا الى البيت ٠٠ وكنت
أشعر بكثير من الحزن ٠٠

الفصل الخامس عشر

خطة لحفر نفق ٠٠

توقفنا عن الكلام وبدأنا نفكر ٠٠

وبعد فترة صاح توم :

— يا لنا من أغبياء ياهك ٠٠ لماذا لم تأتينا هذه
الفكرة من قبل ٠٠ لقد عرفت المكان الذى سجن فيه
جيم ! ٠٠ انه ذلك الكوخ المجاور للمطبخ ٠٠ ألم تلاحظ
ذلك ٠٠ هل تذكر أننا حينما كنا نتناول طعام الغداء ٠٠
رأينا أحد الخدم يتجه نحو هذا الكوخ ومعه بعض
الطعام ٠٠ ١٩

- نعم .. اذكر ذلك ..

- طعام من هذا ؟ .. !

- طعام للكلب .. ربما !

- كنت أعتقد أيضا أنه طعام للكلب .. ولكنى

الآن أجزم بأنه ليس طعاما للكلب ..

- لماذا ؟ .. !

- لأن الطعام كان يتضمن بعض الفواكه ..

- هذا صحيح .. لقد لاحظت ذلك .. وقلت

لنفسى عندئذ ان الكلاب لا تأكل الفواكه .. ومع ذلك

فقد فانتت على هذه الفكرة .. ان هذا يدل على أن

الانسان يمكنه أن يرى ولا يرى فى نفس الوقت .. !

- لقد لاحظت أيضا أن الخادم قد فتح باب الكوخ

بالمفتاح حين دخل .. وأغلق الباب بالمفتاح حين خرج ..

وانه أعطى المفتاح للعم سىلاس فلبس حين كنا قد

فرغنا من تناول الطعام .. الأمور اذن واضحة :

فالفأكة تعنى أن الطعام لرجل ٠٠ واغلاق باب الكوخ
بالمفتاح يدل على أن الرجل سجين ٠٠ وجميع الأحوال
تدل على أن هذا السجين هو جيم ٠٠ الآن يمكننا أن
نضع خطة محكمة لسرقة هذا السجين واطلاق سراحه ١٠

وبعد فترة من التفكير شرح لى توم جميع تفاصيل
الخطة التى يراها مناسبة ٠٠ وهى خطة يمكن أن تؤدى
الى اطلاق سراح جيم ٠٠ ويمكن أن تؤدى أيضا الى
صدور الحكم باعدامنا جميعا ٠٠ ومع ذلك فقد اقتصرت
بالخطة وتحمست لها ٠٠

هناك حقيقة واحدة مؤكدة : وهى أن توم سوير
انسان ذكى وحاذق ٠٠ وأنه مصمم على تنفيذ خطته
لاطلاق سراح جيم ٠٠ ولا أدري ما الذى يدفع غلاما
محترما مثله ينتمى الى عائلة محترمة لكى يقدم على
مغامرة اطلاق سراح عبد هارب ٠٠ وهى عمل يقول
الناس انه عمل شائن يجلب العار عليه وعلى عائلته ٠٠

لم أفهم الدوافع التي جعلت توم سوير يقوم بهذا العمل .. وقد أشفقت عليه بصدق .. فأنا أعلم أن توم يعتبرنى صديقا مخلصا له .. ولهذا فقد رأيت أن من واجبى أن أنبهه الى خطورة هذا العمل ، وأطلب منه أن يبتعد عن الموضوع بأكمله .. وحين هممت بفعل ذلك ، أسكتنى توم قائلا :

- هل تظن أننى لا أعرف ما أنا مقبل عليه ..
الم أعدك بأننى سأساعدك فى سرقة جيم واطلاق سراحه .. ؟

- نعم ..

- اذن دعنا ننفذ هذه الخطة ..

وكان هذا هو كل ما قلناه .. ولم يعد أمامنا أن نضيف الى هذا الموضوع كلمة واحدة ..

وعندما عدنا الى البيت .. توجهنا مباشرة الى الكوخ المجاور للمطبخ لنفحصه ونفحص المكان المحيط به .. ولأن الكلاب أصبحت تعرفنا ، فلم تنبج ولم تحدث ضجة ..

فحصنا باب الكوخ وجانبه الآخرين ٠٠ وكانت
هناك نافذة مربعة الشكل بالجانب الشمالى للكوخ
ولكنها مغلقة بلوح من الخشب السميك ٠ فقلت
لتوم :

— هذه النافذة تكفى لمرور جيم من خلالها ٠٠ اذا
قمنا بانتزاع هذا اللوح الخشبى ٠٠

فقال توم :

— ولكن هذا الحل سهل مثل حروف الهجاء ألف
باء ٠٠ دعنا نبحث عن حل يكون أكثر تعقيدا
يا هكلبرى فىن !

— ما رأيك اذا قمنا بنشر هذا اللوح الخشبى
بالمشار ٠٠ هذه هى الطريقة التى اتبعناها عندما
هربت فى المرة السابقة وادعيت مصرعى ٠٠ !

— هذه فكرة جيدة فعلا ٠٠ ومثيرة للغموض
وتجرب المتاعب ٠٠ ولكنى أراهن أننا سجد فكرة أخرى
أفضل من هذه الفكرة مرتين على الأقل ٠٠ !

ولاحظنا وجود عشة مسقوفة تقع بين الكوخ
وسور البيت ٠٠ وكان سقفها مصنوعا من الراح
متجاورة من الخشب ، ولا يزيد عرض هذا السقف
عن ستة أقدام ٠٠ وكان للعشة باب خشبي مغلق يقع
فى الجانب الجنوبى ٠٠

وأحضر توم قضيبا ثقيلًا من الحديد استعمله فى
خلع ترباس الباب ٠٠ وما أن دخلنا الى العشة حتى
أغلقنا الباب وأشعلنا عودا من الثقاب ٠٠ ولم يكن فى
داخل العشة سوى بعض الادوات الزراعية الخاصة
بالحديقة ٠٠ وتبين لنا أن جانب العشة كان ملاصقا
لجانب الكوخ الذى سجن فيه جيم ٠٠ وخرجنا ٠٠
وأغلقنا باب العشة كما كان من قبل ٠٠

وكان توم فى قمة السعادة وهو يقول :

— الآن فقط يمكننا أن نبدأ العمل .. سنحفر
نفقا الى الكوخ .. وسيستغرق الحفر حوالى اسبوع
كامل .. !

واتجهنا الى غرفتنا لكى ننام .. دخلت أنا من
الباب الخلفى للبيت لأن العائلة لا تغلق أبواب البيت
حتى أثناء الليل .. أما توم فقد كان الدخول من
الباب الخلفى يعتبر أمرا سهلا بالنسبة له .. وبحث
عن طريقة أخرى أكثر تعقيدا .. فتسلق السقف
المائل .. وتسلك الى الغرفة من خلال النافذة .. هذه
هى الطريقة التى ترضيه .. !

وعندما انبلج نور الصباح .. نزلنا الى فناء
البيت ، وأخذنا ندلل الكلاب ونربت على شعرها لنكسب
مزيدا من صداقتها .. وقابلنا الخادم الزنجى نات الذى
يقوم بحمل الطعام الى جيم .. وكان يحمل فى يده
صينية صغيرة عليها بعض الحبز واللحم ، ومتخذاً
طريقه الى الكوخ ..

كان نات ذا وجه بشوش ويضفر شعره المجمع
عدة ضفائر مربوطة بالدوبار ٠٠ وقال لنا انه يفعل
ذلك لتجاشى أعمال الساحرات الشريرات ٠٠ وقال لنا
أيضا أنه أصبح يعانى فى هذه الليالى من أعمال
الساحرات الشريرات ٠٠ حيث أصبح يرى جميع أنواع
الاشكال الغريبة ، ويسمع جميع أنواع الأصوات
الغريبة ٠٠ !

وسأله توم فى بساطة :

— طعام من هذا ٠٠ ؟

فابتسم نات ابتسامة طيبة وقال :

— اذا كنتم تريدان الذهاب معى لتعرفا طعام من

هذا ٠٠ فتعاليا ٠٠ !

وذهبنا معه نحو الكوخ ٠٠ وكنت أخشى ما سوف
يحدث عندما يفاجأ جيم برؤيانا ٠٠ وحدث بالفعل
ما توقعته ٠٠ فبمجرد أن شاهدنا جيم حتى صاح
فرحا :

— ماذا !؟ ٠٠ هكلبرى فىن ٠٠ وسىدى مستر
توم ٠٠ ١٩

وعندئذ قال نات مندهشا :

— يا للسماء ٠٠ هل يعرفكما يا سىدى ٠٠ ؟

فنظر توم الى نات نظرة متعجبة ، **وقال :**

— من هو الذى يعرفنا ٠٠ ؟

فقال نات :

— هذا العبد الهارب ٠٠ !

فقال توم بثبات :

— لا ٠٠ لا اعتقد أنه يعرفنا !

— ولكنه يا سىدى صاح فرحا وناداكما
باسميكما ٠٠

فنظر اليه توم نظرة مواسية ، ومدعيا القلق على
حالة المسكين نابت ٠٠ وقال مندهشا :

— هذا أمر عجيب يانات ٠٠ من ذا الذى صاح
فرحا ٠٠ ومتى صاح فرحا ٠٠ وماذا قال عندما صاح
فرحا ٠٠

ثم نظر توم الى وسألنى :

— هل سمعت أحدا صاح فرحا ٠٠ ؟!

فقلت على الفور :

— لا ٠٠ لم أسمع أى شئ ٠٠

وعندئذ التفت توم الى جيم ، وأخذ يتفحصه
كما لو كان يشاهده لأول مرة ، وسأله بعد فترة :
— هل صحت فرحا ٠٠ ؟!

فقال جيم بعد أن فهم اللعبة :

— لا ٠٠ لم أقل شيئا ٠٠ !

وسأله توم :

— هل تعرفنا ٠٠ هل رأيتنا من قبل ٠٠ ؟

— لا يا سيدي ٠٠ لا أعرفكما ٠٠ ولا رأيتهما من قبل ٠٠ !

وعندئذ نظر توم الى نات وسأله بفضب :

— هاه ٠٠ والآن ما رأيك ؟

فقال نات مستسلما بصوت مرتعش :

— لا أدري يا سيدي ٠٠ انها أعمال الساحرات
الملعنات ٠٠ ولكنى أرجوك يا سيدي ألا تخبر أحدا
بذلك ٠٠ فسيدي مستر سيلاس فلبس سيعاقبني ٠٠
لأنه قال لى مرات عديدة انه لا توجد فى الدنيا ساحرات
شريرات مثلما اعتقد ٠٠ !

وأعطاه توم قطعة معدنية من النقود ، ووعده
بأنه لن يخبر أحدا بحالته تلك ٠٠ وعندما خرج نات

من باب الكوخ ليرى القطعة المعدنية في ضوء النهار ،
وليجز عليها بأسنانه ليتأكد من أنها غير مغشوشة ..
تقدم توم الى جيم وهمس له :

— تظاهر دائما بأنك لا تعرفنا .. واذا سمعت
أصوات حفر أثناء الليل ، فاعلم أننا نحفر نفقا يصلح
لهروبك .. اننا ننفذ خطة لاطلاق سراحك !!

الفصل السادس عشر

فن اختراع المصاعب ٠٠!

ما زالت أمامنا ساعة كاملة قبل أن يحل موعد الإفطار ٠٠ لذلك فقد توجهنا الى الغابة ، لأن قوم قال اننا سنحتاج الى ضوء عندما نقوم بحفر النفق أثناء الليل ٠٠ وقد استبعد فكرة الاستعانة بضوء المصباح لأنه أكثر من القدر المطلوب للحفر ، كما قد يكشفنا فتنفسد العملية ، بالاضافة الى تعرضنا للمتاعب ٠٠

ولذلك فقد قمنا بجمع حزمة من « النار

الثلعبية « (١) ٠٠ التى تشع ضوءا ناعما خافتا أثناء
الظلام ٠٠ وقمنا باخفاء ما جمعناه من هذه النار
الثلعبية ٠٠ وجلسنا لنستريح . وقال توم :

— المصيبة أن هذه العملية قد أصبحت سهلة
تماما ٠٠ بحيث يصعب تنفيذها كخطوة صعبة ! ٠٠
فمن الضرورى مثلا أن يكون هناك حارس نقسوم
بتخديره ٠٠ أو يكون هناك كلب نعمل على اسكاته ٠٠
ولكن عمليتنا للأسف سهلة جدا وخالية من التعقيدات
والصعوبات ! ٠٠ ان رجل جيم مربوطة بسلسلة مثبتة
فى رجل السرير ٠٠ ومن السهل جدا أن نقوم برفع
رجل السرير ونفك السلسلة ٠٠ فما هذا ٠٠ اليس
هناك شيء أكثر صعوبة ؟! ٠٠ كما أن العم سيلاس
فلبس يشق فى الجميع ولا يشك فى أحد ٠٠ انه يعطى
المفتاح ببساطة الى نات ، دون أن يرسل وراء نات

(١) Fox Fire مادة شبه فوسفورية تنتج من تحليل بعض قطع
الاشخاب وأفرع النباتات بعد تعطنها « المترجم »

شخصاً يراقبه .. لماذا أصبح كل شيء سهلاً على هذا النحو .. أين الصعوبات إذن ؟! .. وإذا لم تكن هناك صعوبات في تنفيذ هذه العملية ، فإن علينا أن نخترع هذه الصعوبات بأنفسنا .. أليس كذلك يا هك ؟! .. وعلى أية حال فإن علينا الآن أن نبحث عن شيء يصلح كمنشار .. !!

فقلت مندهشاً :

– وماذا سنصنع بهذا المنشار .. ؟!

فقال توم على الفور :

– تقول ماذا سنصنع بهذا المنشار .. هه .. أليس علينا أن ننشر رجل السرير حتى تفك السلسلة التي ربطت فيها رجل جيم .. ؟!

– ولكنك قلت منذ لحظة إن في استطاعتنا أن نرفع رجل السرير فقط ونمرر السلسلة من تحتها ونفكها .. وهذا أمر سهل جداً يا توم !

- لماذا تقول ذلك يا هكلبرى فين ٠٠ ألم تقرا
في حياتك كتابا واحدا ؟ ٠٠ ان الكتب تقول ان اطلاق
سراح سجين يمثل هذه الطريقة الصبيانية السهلة أمر
لا يستحق العناية ولا التفكير ولا تشغيل الذهن ٠٠
وجميع الخبراء يقولون في مثل هذه الحالة ، ان من
الضرورى نشر رجل السرير بالمنشار ٠٠ وأن نبتلع
النشارة حتى لا يعثر عليها أحد ويكشف الأمر ٠٠ كما
يجب أن نلطح مكان النشر ببعض الشحم والقذارة حتى
يصعب على العين الخبيثة ، مهما كانت خبيثة ، أن
تكتشف أن رجل السرير منشورة ٠٠ وبذلك تتم
الحديعة ٠٠ لا بد أن ننشر أولا رجل السرير ، حتى
اذا حل موعد تنفيذ عملية اطلاق سراح السجين ، فلن
يكون علينا الا أن نضرب رجل السرير ضربة خفيفة ،
فيسقط الجزء المنشور منها ، ونسحب السلسلة ٠٠
وبذلك تنتهى اول عقبة ٠٠ وليس عليك بعدئذ الا أن
تفتح النافذة وتمرر من خلالها الحبل المجدول الذى
ستستخدمه كسلم للهبوط الى الأرض ٠٠ وفجأة

ستكتشف أن الحبل الذى استخدمته يقل تسعة عشر
قدما عن الطول المطلوب ، فتضطر عندئذ الى القفز الى
الأرض ، فتتكسر رجلك .. ولكنك تحتمل الألم ،
ويأتى خدمك المخلصون ومعهم حصان يساعدونك فى
الصعود الى ظهره .. وعندئذ تنطلق الى عالم الحرية
وتعود الى موطنك .. انه عمل عظيم يا هك ، وليس
بالعمل الهين .. صدقنى .. ليتنا نجد حفرة بجوار
الكوخ لنسقط فيها بعد أن نهبط بالحبل المجدول الذى
سنستخدمه كسلم .. على أية حال فإذا كان لدينا وقت
كاف فى ليلة الهروب .. فلا بد أن نقوم بحفر حفرة
تصلح لذلك ..

وهنا سألت توم سؤالاً ذكياً :

- لكن .. ما فائدة مثل هذه الحفرة .. ما دمنا
سننطلق سراح جيم عن طريق حفر نفق تحت
الأرض .. ؟!

ولكنه لم يسمعنى .. كان مستغرقاً فى تفكير

عميق ، وتبدو عيناه سارحتين فى مكان بعيد ٠٠ وتنهد
بعد لحظة ، وقال وهو يهز رأسه يائسا :

— لا ٠٠ لا ٠٠ هذا ليس ضروريا بالمرّة ٠٠ !

فسأله :

— ما هذا الذى ليس ضروريا بالمرّة ٠٠ ؟

— أن نقوم بنشر رجل جيم وقطعها ٠٠ !!

— يا حفيظ ! ٠٠ ان هذا ليس ضروريا بالطبع ٠٠
ولماذا بحق السماء تفكر فى أن تنشر رجل جيم
وتقطعها ٠٠ ؟!

— كثير من الخبراء يقولون ذلك ٠٠ وعملوها
فعلا ٠٠ فعندما تعذر فك السلسلة قاموا بقطع أيديهم
وأفلتوا بذلك من السجن ٠٠ ولكن ما دامت السلسلة
مربوطة فى رجل جيم وليست مربوطة فى يده ، فعندئذ
يمكن قطع الرجل بدلا من قطع اليد ٠٠ ولكن جيم لن
يتفهم الأسباب التى تدعونا الى قطع رجله طبقا للخطط
المتبعة فى أوربا ٠٠ ولهذا فسوف نستبعد هذه الفكرة ،

ولكن بشرط واحد ، هو أن يستعمل جيم الحبل
المجدول كسلم للهبوط ٠٠ ولذلك فعليتنا أن نقطع
ملاءات السرير الى أشربة نجلدها فى بعضها على شكل
سلم ٠٠ وبعد أن نصنع هذا السلم علينا أن نقوم
بتهيئه الى جيم حتى يكون مستعدا لاستعماله فى
الوقت المناسب ٠٠ ويمكننا أن نهرب هذا السلم بداخل
فطيرة ٠٠ وهى الطريقة المفضلة لدى الخبراء ٠٠
وكثيرا ما هربوا مثل هذه الأشياء داخل الفطائر التى
ترسل الى المسجونين بطريقة سرية ٠٠ وأنا شخصيا
أكلت بعض الفطائر السيئة التى يحتمل أن تكون
مصنوعة لمثل هذا الغرض ٠٠ !

— ما هذا الذى تقوله يا توم سوير ٠٠ ولماذا
تفكر فى مثل ذلك ٠٠ ان جيم لن يكون بحاجة أبدا
الى مثل هذا الحبل المجدول على شكل سلم !

— هه ٠٠ من الأفضل لك أن تقول أنك لا تعرف
شيئا عن مثل هذه الأفكار ٠٠ يجب أن نقوم بتهديب
الحبل المجدول الى جيم ٠٠ الجميع يفعلون ذلك !

– ولكن بحق السماء .. ماذا سيصنع جيم بهذا
الحبل المجدول ؟؟ !

– تقول ماذا سيصنع به ؟؟ ! أن في امكانه
أن يخفيه تحت السرير .. ألا يستطيع ذلك .. هذه
وسيلة سهلة صنعها الجميع من قبل .. ولنفرض
أيضا أن جيم لن يستخدم هذا الحبل المجدول ..
يكفى أن يخفيه تحت السرير ، وليصبح هذا الحبل
المجدول لغزا عندما يكتشفون مكانه بعد أن يهرب ..
وربما سيصبح هذا الحبل المجدول دليلا . بالنسبة
للمحققين الذين يبحثون عن الأدلة !

قلت مستسلما :

– حسن يا توم .. ولكننا اذا مزقنا ملاءات
السرير فسنخلق لأنفسنا الكثير من المتاعب مع الحالة
سالى .. ولدى فكرة أخرى .. سأقوم بسرقة « حبال
الغسيل » التى تنشر عليها الملابس .. ما رأيك ؟؟ !

فوافق توم على تلك الفكرة التى أوحى اليه بفكرة
أخرى ، فقال لى موصيا :

– وعليك أيضا أن تسرق قميصا يا هك !

– وماذا سنصنع بهذا القميص يا توم ؟

– سنعطيه لجيم ليكتب على كفه بعض الكلمات
والذكريات التى يصادفها أثناء سجنه .. !

– ولكن جيم أمى لا يعرف كيف يكتب ..

– هذا لا يهم .. يمكنه أن يكتب بعض العلامات

.. اليس فى وسعه أن يقوم بذلك .. ولكن علينا

أيضا أن نهرب اليه مع القميص قلما .. قلما مصنوعا

من يد معلقة أو من قطعة قديمة من الحديد .. !

– ولماذا نستخدم ملعقة أو قطعة قديمة من الحديد

فى صنع القلم .. اليس من الأفضل والأسرع أن نصنع

قلما من ريشة نخلها من جناح أحد الطيور .. ؟ !

– هاه .. يا لك من غبى .. ان المساجين

يوضعون فى سجون مغلقة لا تطير فيها الطيور رائحة

غادية حتى يخلعوا ريشة من أحد أجنحتها .. أنهم دائما يصنعون أقلامهم من بقايا شمعدان نحاسى قديم أو شيء مثل ذلك .. وقد يستغرق منهم هذا العمل شهورا وشهورا .. لأنهم يبردون المعدن بحكه فى الحائط الى أن يتم صنع القلم فى النهاية .. وحتى لو كانت لديهم ريشة من جناح أحد الطيور ، فلن يستخدموها كقلم للكتابة .. لأن هذه الطريقة غير شائعة بين المساجين .. !

- طيب .. وكيف سيستخدم جيم القلم فى الكتابة دون أن يكون لديه حبر .. ؟!

- بعض المساجين يصنعون حبرا من صدا الحديد المخلوط بالدموع .. ولكن مثل هذا النوع من الحبر مستخدم كثيرا بواسطة النساء السجينات .. أما الخبراء من الرجال المسجونين فيستخدمون دماءهم كحبر للكتابة .. وفى استطاعة جيم أن يفعل ذلك .. فعندما تكون لديه الحاجة لإرسال رسالة سرية غامضة ، ليبلغ فيها العالم بالمكان الذى يقع فيه سجنه ، أو أية رسالة

أخرى من هذا القبيل ، فان عليه أن يكتب هذه الرسالة
على سطح قطعة من الصفيح ويلقيها من النافذة ..
بعض المشهورين من المساجين كانوا يفعلون ذلك ..
وهى طريقة جيدة فى الوقت نفسه ..

- ولكن جيم ليس لديه قطع من الصفيح تصلح
للكتابة على سطحها ..

- هذه ليست مشكلة عويصة .. يمكننا أن
نهرب إليه بعض قطع الصفيح .. !

- ولكن ما فائدة هذه الرسائل التى سيكتبها
جيم على قطع الصفيح .. ؟!

- قد لا تكون هناك أية فائدة على الإطلاق .. بل
ربما ستضيع وقتك كله فى محاولة قراءة ما كتبه أحد
السجناء على قطعة من الصفيح .. !

... توقف نوم عن الكلام عندما سمعنا صوت النفير
المصنوع من قرن أحد الحيوانات ، معلنا حلول موعد
تناول طعام الافطار .. فأسرعنا عائدين الى البيت ..

وبعد ذلك قمت بسرقة ملاءة وقميصا أبيض كانا
منشورين على جبل الفسيل .. ووضعت هذه
المسروقات فى حقيبة قديمة .. ثم ذهبنا الى الغابة
وأحضرنا « النار الثعلبية » ووضعناها فى الحقيبة
أيضا ..

وأخذنا نراقب المكان جيدا حتى تأكد لنا عدم
وجود أى شخص فى فناء البيت ، وعندئذ تسلل توم
ووضع الحقيبة فى العشة الملاصقة للكوخ ، بينما توليت
أنا أعمال المراقبة ..

وجاءنى توم بعد أن خرج من العشة وقال بثبات :

— الآن أصبحنا مستعدين بكل شئ ، فيما عدا

الأدوات التى سنستعملها فى حفر النفق .. !

فقلت لأذكره بالأشياء والأدوات الزراعية الموجودة

بالعشة :

— ألا تكفينا هذه الادوات الموجودة بالعشة .. ؟

فضحك ساخرا وقال :

— يا هك فين ! ٠٠ هل سمعت من قبل أن سجيننا كان لديه جاروف وعتلة من الحديد ٠٠ وهل هذا معقول ٠٠ ان مثل هذا السجين قد يكون لديه أيضا مفتاح السجن ٠٠ هل هذا معقول ٠٠ !؟

— طيب ٠٠ لنفرض أننا لن نستخدم الجاروف والعتلة الحديدية ٠٠ كيف سنحفر النفق ٠٠ !؟
— سنستخدم السكاكين ! ٠٠ اننا فى حاجة الى سكينين ٠٠ !

— هذه فكرة غبية جدا يا توم ٠٠ هل سنحفر النفق بالسكاكين ٠٠ !؟

— لا يهم اذا كانت هذه الفكرة غبية أو ذكية ٠٠ فجميع المساجين قد استخدموا السكاكين فى حفر أنفاقهم ٠٠ كانوا يحفرون بالسكاكين ليس فى التربة الترابية الهشة فقط ، بل وفى الصخور الصلدة أيضا ٠٠ وكان هذا العمل يستغرق فى العادة فترات طويلة جدا ٠٠ هناك مثلا ذلك السجين الذى كان محبوسا فى

قلعة دى ايف بميناء مارسيليا بفرنسا ٠٠ لقد حفر
لنفسه نفقا هرب منه ٠٠ هل تدري ما هو الزمن الذى
استغرقه حفر هذا النفق ٠٠ ؟!

- لا أدري ٠٠ ربما استغرق شهرا ، أو شهرا

ونصف ٠٠ !

- هه ٠٠ لقد قضى هذا السجين سبعة وثلاثين
عاما حتى انتهى من حفر النفق الذى امتد من فرنسا
حتى الصين ! ٠٠ هذه هى الطريقة المثلى لحفر الانفاق
التي يهرب منها المساجين ٠٠ !

- لنفرض ٠٠ ولكن جيم لا يعرف أحدا فى

الصين ٠٠ !

- وهل تظن أن السجين الفرنسى كان يعرف فى

الصين أحدا ؟! ٠٠ هذا لا يهم ٠٠ !

- وهو كذلك يا توم ٠٠ ولكنى أرجوك أن تتذكر

أن جيم رجل عجوز ٠٠ ولا يمكنه البقاء حيا حتى تنتهى

من حفر النفق بالسكاكين بعد سبعة وثلاثين عاما ٠٠

ليخرج بعد ذلك حرا فى الصين ٠٠

– ليس من الضروري أن يخرج فى الصين ٠٠
يمكنه أن يخرج من النفق فى نيو أورلينز ٠٠ كما أن
هناك شيئا أريد أن أقوله ٠٠ فليس من الضروري أن
نستمر فى الحفر لمدة سبعة وثلاثين عاما ٠٠ ان بوسعنا
أن ننتهى من حفر النفق بأقصى سرعة وفى أقصر وقت
ممكن ، ولكن علينا أن نتظاهر بيننا وبين أنفسنا ، أننا
قد قضينا فى الحفل سبعة وثلاثين عاما ٠ فما رأيك ؟!

وعندئذ تنهدت قائلا :

– هذا كلام معقول جدا ٠٠ وأنا شخصيا لن يهمنى
أن أظهار بينى وبين نفسى ، أنى قضيت فى حفر النفق
خمسین أو حتى مائة سنة ٠٠ سأذهب فوراً لاجتماع
السكینین !

فقال توم :

– بل أحضر ثلاث سكاكين ٠٠ اننا نريد سكيننا
اضافية لنستخدمها كمنشار !

فقلت وقد أوشك صبرى أن ينفد :

– توم بحق السماء ٠٠ وإذا كان هذا غير مخالف
للنظام أو غير مخالف للدين ٠٠ هناك منشار قديم
صديء ملقى فوق السور ٠٠ يمكننى أن أحضره لك إذا
كنت تريد حقا أى منشار .

فقال توم بصوت يائس :

– يبدو أنك لن تتعلم شيئا يا هك مهما حاولت
أن أعلمك ٠٠ اذهب فورا وأحضر السكاكين الثلاث كما
قلت لك !

وذهبت ٠٠ وأحضرت السكاكين !

الفصل السابع عشر

الحفر • •

وبعد أن تأكدنا من أن الجميع قد ذهبوا للنوم في تلك الليلة ، غادرنا غرفتنا من خلال النافذة ، وهبطنا على السقف المنحدر ، ثم على عمود النور ، واتجهنا مباشرة الى العشة • ودخلنا وأغلقنا الباب من الداخل • وعلى الفور أخرجنا « النارِ الثعلبية » وبدأنا عملية تجهيز أرض العشة لحفر النفق الموصل الى الكوخ • ثم بدأنا بعد ذلك عملية حفر الأرض بالسكاكين •

وأخذنا نحفر ونحفر بالسكاكين الى أن انتصف

الليل وشعرنا بالتعب والارهاق الشديد ، وتوقفنا عن
الحفر عندما صارت أيدينا تؤلنا غاية الألم وأصبح من
المستحيل مواصلة الحفر باستخدام السكاكين . فبعد
كل هذا العناء والألم ، تبين لنا أن السكاكين لا تصلح
لحفر النفق بهذه الطريقة . وارتمينا على الأرض منهكين .
وعندئذ قلت لتوم :

– هاه . . ما رأيك يا توم . . ماذا نفعل الآن ؟

فقال توم بعد أن فكر قليلا :

– سأخبرك . . ليس أمامنا سوى حل واحد . .
أنه حل غير سليم وغير أخلاقي ، وكنت أريد أن أتجنبه
وأتحاشاه . . ليس أمامنا سوى أن نستخدم الجاروف
والعتلة الحديدية . . بشرط أن نتظاهرس بيننا وبين
أنفسنا أننا نستخدم السكاكين !

عندئذ صحت فرحا :

– هذا هو الكلام المعقول . . وأنا شخصا لا أهتم
بالجانب الأخلاقي لهذا الحل . . ان الجاروف والعتلة

الحديدية هما أصلح الأدوات لحفر النفق الذى سيؤدى
الى اطلاق سراح جيم ٠٠ !

فقال توم بحزم :

— ان لنا بعض العذر لاستخدام العتلة الحديدية
فى الحفر مع التظاهر بأنها سكين ٠٠ والآن ٠٠ أنا لا
أريد أن أقف هكذا وأرى جميع القواعد وهى تتحطم
أمامى ٠٠ اعطنى السكين !!

قال توم ذلك وهو يمسك بسكينه فى يده ٠٠
لذلك لم أجد أمامى الا سكينى فأعطيتهأ له ٠٠ فأخذها
منى وألقاها على الأرض ، وقال آمرا :

— قلت لك اعطنى السكين !!

احترت قليلا ولم أدر ماذا أفعل ٠٠ ولكنى فهمت
أخيرا أن توم كان يريد أن أعطيه العتلة الحديدية ،
وأتظاهر بأنى أعطيه السكين ، وفى الحال ، أعطيته
العتلة التى كانت مكونة على أحد جدران العشة ٠٠

فأمسكها في يده .. وجلس على الأرض .. وبدأ يحفر
بهمة دون أن ينطق كلمة واحدة .

وأمسكت بالجاروف وبدأت أرفع التراب .. ثم
تبادلنا الأدوات فأعطاني المعتلة الحديدية وأعطيته
الجاروف .. وواصلنا الحفر على هذا النحو لمدة نصف
ساعة ثم توقفنا لأننا كنا منهكين .. وخرجنا من العشة
وأغلقنا بابها من الخارج ، ثم توجهنا الى البيت .

دخلت أنا من الباب الخلفي ، وصعدت درجات
السلم حتى وصلت الى الغرفة .. وعندما نظرت من
النافذة ، شاهدت توم وهو يحاول أن يتسلق عمود
النور ليقفز منه الى السطح المائل ليدخل بعد ذلك من
خلال النافذة .. ولكن جميع محاولاته قد باءت بالفشل ،
لأن يديه كانتا تؤلمانه ، وسمعته يقول :

— لا فائدة .. يبدو أن تنفيذ هذه العملية أصبح
صعبا ومستحيلا .. ماذا ياهك .. أليس لديك فكرة
لتساعدنى على الخروج من هذا المازق .. ؟

فقلت له مترددا :

- نعم لدى فكرة سهلة ولكنها قد تكون مخالفة
للقواعد الاخلاقية ٠٠ ما رأيك أن تصعد على درجات
السلم ، وتظاهر بينك وبين نفسك أنك تتسلق عمود
النور ٠٠ ؟!

واقترح نوم بهذه الفكرة ٠٠

وفى صباح اليوم التالى ، قام نوم بسرقة ملعقة
وشمعدانا صغيرا من النحاس ليصنع منهما القلم الذى
سنهربه الى جيم ، كما سرق أيضا ست شمعات ٠٠ أما
انا فقد سرقت ثلاث قطع من الصفيح ٠٠ وقال نوم ان
قطع الصفيح هذه غير كافية لكتابة الرسائل التى
سيليقيها جيم من نافذة السجن ٠٠ فقلت له انها كافية
للاستخدام فى هذه المهمة ، فعندما يقوم جيم بالقاء
الرسائل المكتوبة على قطع الصفيح من النافذة ٠٠ فان
هذه الرسائل ستسقط على الأعشاب التى تنبت بجوار
الكوخ ، وعندئذ يكون بإمكاننا أن نلتقطها ونعيدها

اليه ليكتب عليها من جديد ٠٠ وهكذا ٠٠ واقتنع توم
بتلك الفكرة !

وفي الساعة العاشرة من تلك الليلة ، وبعد أن
تأكدنا من أن الجميع قد خلدوا الى النوم ٠٠ غادرنا
الغرفة من خلال النافذة هابطين على السقف المائل ثم على
عمود النور ، واتجهنا فورا الى العشة ، وأمسكنا
بالجاروف والعتلة الحديدية ، وبدأنا نحفر بهمة
شديدة لمدة ساعتين ونصف ساعة الى أن انتهينا تماما
من حفر النفق ٠٠ !

وكانت فتحة النفق تقع تماما تحت السرير الذي
ينام عليه جيم بداخل الكوخ ٠٠ وزحفنا عبر النفق
وأصبحنا بداخل الكوخ حيث كان جيم نائما ٠٠
وأشعلنا شمعة ٠٠ وتبين لنا على الفور أن جيم يبدو في
صحة جيدة ، فأيقظناه بلطف وبالتدريج حتى لا يفاجأ
بوجودنا ٠٠ ولكنه أصبح في غاية السرور عندما رأانا
أمامه ٠٠ فأخذ يشكرنا ويعترف بفضلنا بكلمات طيبة .

وطلب منا جيم أن نبحث عن أداة لكسر السلسلة

التي تربط قدمه لينطلق هاربا دون أن يضيع الوقت ٠٠
ولكن توم أقنعه بأن هذه الطريقة تخالف القواعد
الصارمة ٠٠ وأخذ يشرح له الخطط التي وضعها لاطلاق
سراحه طبقا للقواعد والأصول التي يتبعها الخبراء ٠٠
وأبدى له استعدادة لتغيير هذه الخطط أو تعديلها متى
كانت هناك ضرورة لذلك .

وطمأنه توم بأن كل شيء على ما يرام ، ولا داعي
للعجلة ولا مكان للخوف ٠٠ وعلى هذا فقد اطمأن جيم
وبدأ يتحدث عن ذكريات الماضي وعن المغامرات التي
قمنا بها ٠٠ كما شرع توم في القاء الديد من الأسئلة
٠٠ وقال جيم أن العم سيلاس فلبس كان يزوره كل يوم
أو يومين ليشارك معه في أداء الصلاة ٠٠ وأن الخالة
سالى تحضر اليه أيضا لتطمئن على راحته وتقدم اليه
مزيدا من الطعام ٠٠ وأثنى جيم على العم والخالة ثناء
طيبا ٠٠ وقال انهما عطوفان ورحيمان ويستحقان كل
شكر وعرفان ٠٠

وهنا طرأت فى ذهن توم فكرة جديدة ، فقال
فرحاً :

— شىء عظيم .. لا بد أن نستخدم كلا من العم
والخالة فى حمل الرسائل اليك دون أن يشعر أى
منهما بذلك .. انى أعرف تماماً كيف أتولى تنظيم
وتنفيذ هذه الخطة !

فصحت مذعوراً .

— لا يا توم .. أرجوك .. لا تفعل شيئاً مثل
ذلك .. ان هذه أغبى فكرة سمعتها فى حياتى !

ولكنه لم يهتم بما قلت وتجاهلنى .. وكانت هذه
هى طريقته المفضلة عندما تطراً مثل هذه الأفكار على
ذهنه ويصمم على تنفيذها ..

وأخذ توم يحكى لجيم تفاصيل خطته .. وأخبره
بأنه سوف يرسل اليه الحبل المجدول على شكل سلم
بداخل كعكة كبيرة سيحضرها اليه الخادم نات .. وإن
عليه أن يخرج الحبل من الكعكة دون أن يلاحظ نات
ذلك ..

وقال توم أيضا انه سيرسل الى جيم بعض الأشياء الصغيرة بداخل جيوب المعطف الذى يرتديه العم سيلاس ، وأن على جيم أن يقوم بسرقة هذه الأشياء دون أن يلاحظ العم ذلك . . كما قال أيضا انه سيعلق بعض الرسائل بأربطة المريلة التى ترتديها الحالة ، ليلتقطها جيم عندما تحضر الحالة لزيارته . . كما طلب من جيم أن يكتب مذكراته على قماش القميص وأن يستخدم دمه كحبر للكتابة . . الى آخر مثل هذه الأفكار والخطط الغريبة . .

وبطبيعة الحال لم يقتنع جيم بهذه الأفكار والخطط ، ولكنه قال لتوم انه سيحاول أن يقوم بتنفيذها . . وكانت لدى جيم كمية من الطباق ، فحشونا البايب وأخذنا ندخن ، وقضينا وقتا سعيدا . .

وبعد فترة خرجنا من الكوخ زاحفين خلال النفق ، واتجهنا الى غرفتنا بالبيت . . وكان توم فى قمة السعادة والاحساس بالراحة والفخر . . وقال لى ان مثل هذا العمل يعتبر من المغامرات الكبرى . . وأنا سنظل نذكره

طوال حياتنا ٠٠ وبوسعنا أن نستمر فيه لسنوات طويلة ٠٠ بل وندع مهمة تحرير جيم واطلاق سراحه لاولادنا بعد أن نموت ٠٠ وأكد توم أن جيم نفسه سيحب هذا العمل بعد أن يعتاد عليه ٠٠ كما أكد أن قصة هذه المغامرة ستشاع بين الناس بعد ثمانين سنة ٠٠ وعندئذ نصبح جميعا من المشهورين ٠٠ !!

وفى صباح اليوم التالى ، ذهبنا ناحية كومة من الاخشاب كانت موضوعة بأقصى فناء البيت واختبأنا خلفها . وقام توم بتكسير الشمعدان النحاسى الى قطع صغيرة ووضعها فى جيبه مع المعلقة ٠٠ ثم توجهنا بعد ذلك الى المطبخ ٠٠

ودون أن يشعر نات بشيء ، قام توم بوضع قطعة صغيرة من الشمعدان بداخل رغيف الخبز المخصص لجيم ٠٠ ثم ذهبنا الى الكوخ فى صحبة نات الذى حمل الطعام الى جيم ٠٠ كنا نريد أن نطمئن الى كيفية سير العمل ٠٠ !

وقد تم العمل بالفعل على خير وجه كان يريده

توم ، فعندما قضم جيم رغيف الخبز ، أطبقت أسنانه على قطعة النحاس المخبأة بداخل الرغيف ، وأوشكت أن تتحطم . . . وعندما فهم جيم أن قطعة النحاس هذه مهربة إليه ، تظاهر بأنه قضم قطعة من الحجر ، حتى لا يفهم نات أى شيء من هذه الأسرار والأشياء الغامضة . ولكن جيم أصبح لا يضع أى طعام فى فمه قبل أن يفرز الشوكة فيه مرة أو اثنتين ليتأكد من عدم وجود أى شيء آخر من تلك الأشياء المخبأة .

وكنا قد نسينا أن نغلق باب العشة فى الليلة السابقة . . . لذلك فقد فوجئنا بظهور كلبين يخرجان من تحت سرير جيم بعد أن تسللا الى الكوخ عبر النفق . . . ثم ظهر كلبان آخران . . . ثم ثلاثة كلاب وهكذا الى أن أصبح بداخل الكوخ أحد عشر كلبا ولم يعد هناك مجال للتنفس . . .

ارتدى نات على الأرض راکعاً على ركبتيه بين الكلاب وقد أصابه الذعر فأخذ يثن وينوح كما لو كان يحتضر . . . وقال وهو يرتعش :

– الساحرات ٠٠ الساحرات ١

وفى هذه اللحظة فتح توم باب الكوخ وألقى
بقطعة من اللحم خارج الكوخ ، فاندفعت الكلاب كلها
نحوها ٠٠ وخرج توم من الكوخ لحظة ، أغلق فيها باب
العشة ، وعاد الى الكوخ مرة أخرى ٠٠

انحنى توم على نات وأخذ يواسيه ويطيب خاطره ،
ويسأله فى شفقة عما اذا كان قد تخيل شيئا من
الأشياء التى تحدثها له الساحرات ٠٠

وعندئذ وقف نات مذهولا وقال :

– أزوجك يا مستر سيد ٠٠ لا تظن أنى قد جننت
٠٠ أنا لست مجنونا يا مستر سيد ٠٠ ولكنى رأيتهم
بنفسى ٠٠ أكثر من مليون كلب وشيطان لقد لامستهم
ولامسونى ٠٠ آه لو استطعت الامساك بواحدة من تلك
الساحرات الشريرات لا ادرى لماذا يلاحقننى على هذا
النحو ٠٠ لماذا لا يبتعدن عنى ويتركننى فى حالى ٠٠ ؟

فقال توم ناصحا :

– أتدرى لماذا جاءتك الساحرات الشريرات فى هذا الوقت المبكر وانت تحمل طعام الافطار لجيم ٠٠ انهن ببساطة يشعرن بالجوع ٠٠ وما عليك الا أن تصنع لهن « كعكة الساحرات » ٠٠ !

فتساءل نات حائرا :

– ولكنى يا مستر سيد ٠٠ لا أعرف كيف تصنع كعكة الساحرات هذه ٠٠ لم أسمع عن شيء مثل ذلك من قبل ٠٠

– لا تهتم ٠٠ سوف أصنعها لك بنفسى ٠٠ !
– حقا يا مستر سيد ٠٠ هل ستصنع لى كعكة الساحرات ٠٠ انى أشكر لك هذا الصنيع الجميل ٠٠
يجب أن أقبل الأرض تحت قدميك !

فقال توم بشبات :

– لا داعى لمثل ذلك ٠٠ سوف أصنع لك كعكة الساحرات لأنك انسان طيب ٠٠ وتعاملنا باحترام ٠٠

ولكن هناك بعض الشروط لابد أن تنفذها بدقة ٠٠ فيجب أن تكون حريصا وتحفظ بهذا السر ٠٠ وعندما ترانا قادمين اليك فى المطبخ عليك أن تعطينا ظهرك ، وعليك أن تتظاهر بأنك لا ترانا ولا ترى ما سوف نضعه بداخل الكعكة ٠٠ وعندما تعطى الكعكة لجيم ، أدر وجهك عنه وابتعد عينيك حتى لا تراه وهو يفرغ الكعكة من محتوياتها ٠٠ يجب أن تفعل كل هذه الأشياء بدقة ، والا فسوف تتعرض الى متاعب الساحرات وغضبهن عليك ٠٠ كما أن هناك شيئا آخر ٠٠ اياك أن تلمس الأشياء الخاصة بالساحرات التى ستوضع فى الطعام الخاص بتوم بين حين وآخر اياك أن تلمسها ٠٠ !

فقال نات موافقا :

— كيف ألمسها يا مستر سيد ٠٠ هل أنا مجنون حتى أفعل شيئا مثل ذلك ٠٠ اننى لن ألمس باصبعى أى شيء يخص الساحرات ولو أعطونى مليون دولار ٠٠ !!

الفصل الثامن عشر

تسع ملاعق أم عشرة ٠٠ والكعكة ذات الحبل المجدول ٠٠

أعدنا لكل شيء عدته ٠٠ وتوجهنا الى كوم القمامه
والمهملات الذى يقع خلف فناء البيت ٠٠ حيث عثرنا
على وعاء قديم من الصفيح رأينا أنه يصلح لعمل الكعكة
فأخذناه وذهبنا به الى غرفة الحزين وملأناه بالدقيق ٠٠
وعثرنا على مسمارين كبيرين قرر نوم أنهما يصلحان
للسجين ٠٠ حيث يتمكن من استخدامهما فى حفر اسمه
وذكرياته وأحزانه على جدران السجن ٠٠

واسقطنا أحد المسمارين بجيب المريلة الخاصة
بالحالة سالى حيث كانت المريلة معلقة على أحد المقاعد .
كما شبكنا المسمار الثانى بحافة القبعة الخاصة بالعم
سيلاس والتي كانت موضوعة على المنضدة . . وقد قمنا
بذلك بعد أن عرفنا عن طريق الأطفال بأن العم سيلاس
والحالة سالى سيذهبان الى الكوخ لزيارة جيم . فانتهزنا
هذه الفرصة لتوصيل المسمارين اليه . .

وعندما كنا نتناول طعام الافطار ، وضع توم ملعقة
فى جيب معطف العم سيلاس الذى لم يشعر بذلك . .
وكانت الحالة سالى غير موجودة ولكنها حضرت بعد لحظة
وكانت غاضبة محمرة الوجه متعكرة المزاج ، وقالت للعم
سيلاس فى يأس :

– لقد بحثت عنه فى كل مكان . . انى أكاد أجن . .
أين اختفى قميصك الآخر ؟ !

فقال العم سيلاس :

– هذا شئ غريب لا أستطيع أن أفهمه . . ولكنى
متأكد من أننى قد خلعت هذا القميص .

وقالت الحالة :

— طبعا خلعتة .. وغسلناه .. ونشرناه بالأمس
على جبل الفسيل .. لقد رأيته بنفسى .. كذلك فقد
اختفت احدى الملاعق .. كان لدينا عشر ملاعق ..
انها الآن تسع ملاعق .. فلو افترضنا ان البقرة قد
أكلت القميص وابتعلته .. فانها لا تستطيع أن تبتلع
الملقعة أيضا .. هذا شيء أكيد .. وليت الأمر قد اقتصر
على ذلك .. وانما هناك أشياء أخرى ...

فقال العم سيلاس مندهشا :

— ما هذا .. هل اختفت أشياء أخرى .. ؟

وقالت الحالة على الفور :

— اختفت ست شمعات .. ربما تكون قد أكلتها
الفئران التى تمرح فى البيت بدون أن تفكر فى أن تقوم
بسد جورها .. لقد طلبت منك ذلك أكثر من مرة ..
ومع ذلك اذا كانت الفئران قد أكلت الشمع .. فلا يمكن
أن نتهمها باكل الملقعة .. أين اختفت الملقعة .. ؟

وقال العم :

- حاضر يا سالى ٠٠ سأقوم غدا بسد جميع الجحور والشقوق التى تعيش بداخلها الفئران ٠٠

وهنا دخلت الخادمة ليزا وقالت مدعورة :

- سيدتى ٠٠ لقد اختفت احدى ملايات السرير ٠٠!

فصاحت الحالة :

- يا للسماء ٠٠ وأين اختفت هذه الملاءة أيضا ٠٠٠!؟

وهنا قال العم سيلاس وهو يشعر بالأسف :

- أعدك يا سالى أنى سأقوم بسد جحور الفئران اليوم ٠٠ ولن أؤجل هذا العمل الى الغد ٠٠ !

فصاحت به الحالة :

- الزم الصمت ٠٠ هل تظن أن الفئران قد أكلت ملاءة السرير أيضا ٠٠!؟

ونظرت الحالة الى الخادمة ليزا وقالت لها :

- وأين اختفت تلك الملاءة يا ليزا ؟

- لا أدري يا سيدتى .. لقد كانت معلقة بالامه
على حبل الخسيل .. ولكنها غير معلقة الآن !

فكانت الحالة بياس :

- هذه هى نهاية العالم .. لا بد أن القيامة
ستقوم الآن فورا .. ان هذه الأشياء لم يحدث مثلها
طوال حياتى .. لقد اختفى القميص .. ثم اختفت
الملاءة .. واختفت ملعقة وست شمعات .. !

واضافت الخادمة ليزا :

- يا للمصيبة .. لقد اختفى أيضا الشمعدان
النحاسى !

فصرخت فيها الحالة قائلة :

- أغربى عن وجهى والا ألقيت بك على الأرض !!
وهكذا وصلت الحالة سالى الى قمة الحيرة والغضب

وفقدت أعصابها تماما .. وأخيرا .. وضع العم
سيلاس يده فجأة فى جيب معطفه .. وأخرج المعلقة
من جيبه وهو يشعر بالدهشة ..

فقال الخالة سالى على الفور :

– تماما مثلما توقعت .. لقد كنت تخفى المعلقة
فى جيبك طول الوقت .. ومن المحتمل أنك أخفيت
الأشياء الأخرى أيضا ..

فقال العم معتلرا :

– والله لا أعلم يا سالى كيف كان ذلك .. !

وصاحت الخالة فىنا جميعا :

– اذهبوا كلكم .. ابعدوا عني .. ولا تعودا مرة
أخرى قبل أن يعود السلام الى عقلى ويعود الهدوء الى
قلبى !

وخرجنا جميعا من غرفة الطعام . وبينما كنا
نجتاز غرفة المعيشة ، مد العم سيلاس يده الى المنضدة
وأخذ قبعته .. وسقط المسمار الذى كنا قد شبكناه

بحافة القبعة .. فمد العم يده الى الأرض ، والتقط
المسمار .. وببساطة شديدة وضعه على المنضدة !

وعندئذ قال لى توم :

- لن تكون هناك فائدة من استخدام العم سيلاس
فى نقل رسائلنا الى جيم .. انه لا يصلح لذلك كما
رأيت .. ويجب ألا نعتمد عليه فى شىء من هذا
القبيل مرة أخرى ..

واحتار توم فى موضوع الملعقة .. وأخذ يفكر
قليلا ثم اهتدى الى فكرة .. وأخبرنى بما علينا أن
نفعله .. فذهبنا الى المطبخ .. وأخرجنا السلة التى
تحتفظ فيها الحالة بالملاعق .. وانتظرنا ..

وبمجرد أن رأينا الحالة قادمة نحونا .. تظاهر
توم بأنه يعد الملاعق بعد أن قام بصفها فى صف واحد
وقمت أنا باخفاء احدى الملاعق .. وقال توم للحالة :

- ماذا يا خالتي .. ان عدد الملاعق تسع ملاعق
فقط وليس عشر ملاعق كما تقولين ..

فكالت الحالة :

— اذهب والعب بعيدا ولا تحيرنى .. لقد عددت
الملاعق بنفسى ووجدتها عشرة ..

ويبدو ان الحالة قد فقدت صبرها وأعضائها مرة
أخرى حين عدت الملاعق ووجدتها تسعا .. فكالت وهى
لا تصدق نفسها :

— يالها من مصيبة .. انها تسع ملاعق فقط ..
لماذا يا ربى تحدث مثل هذه الأشياء الغريبة .. سأقوم
بعد الملاعق مرة أخرى .

وهنا وضعت الملعقة فى السلة بسرعة بدون أن
تلاحظ الحالة حركة يدي .. وعدت الملاعق بعناية ..
واحدة بعد أخرى .. فوجدتها عشرة .. فكالت وهى
تشعر بشئ من الراحة :

— الحمد لله .. انها عشر ملاعق الآن !

وعندئذ قال توم :

— لا أعتقد ذلك يا خالتي .. انها تسع ملاعق
فقط !

- كفى غباء .. لقد رأيتنى وأنا أعدها .. !
- نعم رأيتك وأنت تعددين تسع ملاعق وليس
عشرا كما تقولين ..

- اذن سأعدها مرة أخرى .. !
وبسرعة التقطت من السلة ملعقة قبل أن تبدأ
الحالة فى عددها .. وقامت الحالة بعد الملاعق ببطء ..
ملعقة ملعقة .. فوجدتها تسعا .. ففقدت أعصابها
وأخذت ترتعش وقد أوشكت على الجنون ..

وأخذت تعد الملاعق مرات ومرات .. حتى اختلط
عليها الأمر فى النهاية ، لدرجة أنها أخطأت وقامت بعد
السلة نفسها واعتبرتها ملعقة .. وهكذا عدت الحالة
الملاعق ست مرات .. فوجدتها تسع ملاعق فى ثلاث
مرات ، وعشر ملاعق فى المرات الثلاث الأخرى ..

وأخيرا أمسكت الحالة بسلة الملاعق وألقته على
الأرض ، وطردتنا من المطبخ بعد أن قالت لنا ألا نريها
وجهينا قبل الظهر ، والا فانها ستقوم بسلخ جلودنا .
وفى انثناء ثورتها ، أسقطنا الملعقة فى جيب

مريلتها ٠٠ ونحن على يقين أن جيم سسيأخذ الملعقة
والسمار عندما تزوره الحالة قبل الظهر ٠٠ وهذا ما حدث
بالفعل ٠٠ !

وفى تلك الليلة وضعنا ملاء السرير مرة أخرى
على حبل الغسيل ٠٠ وسرقنا ملاء أخرى من الدولار
ثم أخذنا نعيد الملاء الى الدولار ونأخذ الملاء المنشور
على حبل الغسيل لعدة أيام تالية ، حتى اختلط الأم
تماما بالنسبة للخالة ، وأصبحت لا تعرف على وجاء
اليقين عدد الملاءات التي تمتلكها ٠٠ بل وأعلنت بصراحة
انها لن تهتم بعدد الملاءات أيا كان ٠ ولا كيف تختفى
الملاءات ثم تظهر ٠٠ وقالت انها بذلك تنقد حياتها
بدلا من أن تموت من شدة الحسرة والحيرة ٠

وهكذا أصبح الموقف سليما فى النهاية ، بالنسبة
القميص والملاء والملعقة والشمعات الست ٠٠ وكان
يفضل ذلك راجعا الى البقرة والى الفرن والى الحيلة التى
معناها فى خلط عدد الملاعق والملاءات ٠٠ أما بالنسبة
للشمعدان النحاسى ، فلم يكن موضوعه ذا أهمية
وصرعان ما نسى الجميع أمره ٠٠ !

أما المشكلة الحقيقية ، فقد صادفتنا عند قيامنا بصنع « كعكة الساحرات » التي كنا نريد تهريب الجبل المجدول عن شكل سلم بداخلها ٠٠ لقد استغرق صنعها عدة أيام ، وبذلنا فيه مزيدا من الجهد ٠٠ لقد اضطررنا للذهاب الى غرفة الحزين ثلاث مرات متوالية لتحصل على عبوات من الدقيق ٠٠ وقد احترقت العجينة في كل مرة محدثة دخانا أسود يكاد يعمي العيون ٠٠ كنا نريد أن يكون السطح العلوي للكعكة محمرا بلون داكن جدا- حتى يخفى الجبل المجدول المخبأ بداخل الكعكة ٠٠ وفي كل مرة كانت الكعكة نفسها تحترق هي وسطحها العلوي طبعا ٠٠

وأخيرا عثرنا على الطريقة الصحيحة لصنع كعكة ذات سطح داكن اللون ، وتكون كافية في الوقت نفسه لاختفاء الجبل المجدول ٠٠ وقمنا بزيارة جيم في الليلة التالية وأخذنا معنا ملءة السرير ٠٠ وأخذنا نمزق الملءة الى شرائط طويلة جدلناها في شكل ضفيرة متينة ٠٠ وقبل أن تشرق شمس الصباح ، كنا قد صنعنا حبلا مجدولا قويا يمكن أن يستخدم في الشنق

من شدة متانته وطوله ٠٠ وتظاهرنّا بيننا وبين أنفسنا
بأن صناعة هذا الحبل المجدول قد استغرقت منا تسعة
أشهر كاملة !

وكنا قد قررنا أن نقوم بطهي الكعكة في الغابة
بعيدا عن الأنظار ٠٠ لذلك فقد حملنا معنا معدّاتنا
وذهبنا الى الغابة في صباح اليوم التالى ٠٠

وما أن شرعنا فى عمل كعكة الساحرات بالطريقة
الصحيحة ، حتى تبين لنا أن الحبل المجدول الذى
صنعناه يكفى وحده لصناعة أربعين كعكة ٠٠ وما يتبقى
منه بعد ذلك يكفى لعمل كميات هائلة من الشوربة.
وما يمكن أن تتخيله من أطعمة أخرى ٠٠ وعلى هذا
فقد قررنا أن نكتفى بقطعة صغيرة من هذا الحبل
ونرمى أغلبية ١٠٠

وكنا قد استولينا على « مدفأة السرير » الخاصة
بالعم سيلاس ٠٠ وهى عبارة عن كانون مصنوع من
النحاس له غطاء ، كان العم يستعملها لتدفئة السرير

فى الليالى الباردة .. وكانت هذه المدفأة خير وعاء
يصلح لصنع الكعكة ..

وملأنا المدفأة النحاسية بعجينة الكعكة ووضعنا
بداخلها قطعة الحبل المجدول ، وغطيناها وأشعلنا
النار تحتها ، ووضعنا فوق الغطاء أيضا بعض الأعشاب
المشتعلة لنضمن تحمير السطح العلوى للكعكة
بلون داكن ..

وبعد نحو خمس عشرة دقيقة من الطهى ومراقبة
النار .. نجعلنا فى صناعة كعكة الساحرات .. وكان
منظرها الخارجى معقولا الى حد بعيد ..

وهكذا حملنا الكعكة الى البيت .. وأدار نات
عينيه عندما دخلنا الى المطبخ ، ووضعنا كعكة
الساحرات ضمن محتويات صينية الطعام التى ستقدم
الى جيم فى الاربعة التالية .. كما وضعنا أيضا قطع
الصفيح الثلاث التى سيقوم جيم بالكتابة عليها ..

وبعد أن قدم نات صينية الطعام الى جيم ، تنحاشى
النظر اليه .. وقام جيم بتكسير الكعكة بنفسه ..

وأخرج منها قطعة الحبل المجدول ، وخبأها بداخل
قش المرتبة الموضوعة على السرير ٠٠ ثم قام جيم بعد
ذلك بنبش بعض العلامات على قطع الصفيح ، وألقاها
من نافذة الكوخ ٠٠ !!

الفصل التاسع عشر

القيام ببعض الأعمال الفظيعة ٠٠!

وكانت صناعة الأقلام التي سيكتب بها جيم رسائله
تعتبر عملا صعبا وشنيعا للغاية ٠٠ وكذلك كانت
صناعة المنشار ٠٠

وقال لنا جيم ان كتابة ذكرياته وأحزانه على
جدران الكوخ ستعتبر بالنسبة له أصعب الأعمال
قاطبة ٠٠ ولكن توم أصر على ذلك ، وقال ان كل
سجين لابد أن يترك مذكراته مدونة ومحفورة على
جدران السجن ٠٠ وقام توم بكتابة بعض النماذج التي
يدونها المساجين ، ، وأخذ يقرأها لنا ٠٠

● هنا تحطم قلب سجين نبيل .. نساء
أصدقائه ونساء العالم .. !

● هنا عاش سجين كسير القلب .. ألغوا
به في غياهب هذا السجن العفن لمدة سبع وثلاثين
سنة !

● هنا مات سجين غريب ، بلا بيت ولا
أصدقاء ، وتجرى في عروقه دماء ملكية ، بعد استمر
لسبع وثلاثين سنة يعاني المر والهوان .. !
كان صوت توم يرتعش وهو يقرأ لنا هذه
النماذج التي كتبها .. وكان يفعل بشدة حتى خشيئنا
أنه قد أصيب بانهيار عصبي ..

وبعد أن انتهى توم من قراءة تلك النماذج ..
احتار في اختيار النموذج الذي سيكتبه جيم على
جدران سجنه .. لقد كانت كل النماذج جيدة وصالحة ،
ولذلك فقد قرر توم أن يقوم جيم بكتابتها جميعا .. !

واعترض جيم قائلا بأن كتابة كل هذه النماذج
على الجدران الخشبية للكوخ قد يستغرق منه أكثر

من عام كامل .. خصوصا وأنه سيستعمل مسمارا
فى حفر الكلمات على ألواح الخشب .. بالاضافة الى
أنه لايعرف الكتابة أصلا ..

ولكن توم طمأنه .. وقال له انه سيكتب الكلمات
بالقلم ، وأن على جيم أن يحفر الخطوط بالمسمار ..
وفجأة قال توم :

- ولكن المساجين لايحفرون ذكرياتهم وأحزانهم
على الألواح الخشبية .. ان جدران السجون لاتصنع
من الخشب ، ولكنها تبني من الصخور والأحجار ..
لابد اذن أن تقوم باحضار احدى الصخور التى تصلح
لهذا الغرض !

وأصيب جيم بالذعر .. وقال ان الكتابة على
الصخر أسوأ بكثير من الكتابة على ألواح الخشب ..
وأنه سيقضى بقية عمره حتى ينتهى من كتابة كل هذه
النماذج .. ولكن توم طمأنه مرة أخرى .. وقال انه
سيسمح لى بأن أساعد جيم فى كتابة ذكرياته
وأحزانه ..

وأخذ توم يراقبنا - أنا وجيم - ونحن نصنع بعض الأقلام التي سيستخدمها جيم فى الكتابة على الصخر .. وكنا نصنع هذه الأقلام من قطع الشمعدان النحاسى التى جهزها توم بعد تكسير الشمعدان .. وكنا نعانى صعوبة بالغة فى عمل سنون لتلك الأقلام ..

وقال توم بعد أن برقت فى ذهنه فكرة جديدة :

- لقد جاءتنى فكرة عظيمة سنضرب بها عصفورين بحجر واحد .. هناك رعى صخرية موجودة بطاحونة الحبوب .. علينا أن نسرقتها فوراً ونحضرها الى هنا لأنها تحقق لنا غرضين هامين .. حيث يقوم جيم بحفر ذكرياته على سطحها ، وحيث يمكن ان نستخدمها فى برى الأقلام وعمل سنون الأقلام .. كما يمكن أن نسن بها حواف المنشار .. !

وهكذا ذهبت مع توم لاحتضار الرعى الصخرية من الطاحونة .. وقد عانينا صعوبات عظمى فى زحزحة الرعى الصخرية الثقيلة من مكانها ، ومحاولة



الرحى الصخرية فى طريقها الى الكوخ ..

دحرجتها أو تحريكها .. بل لقد كادت أن تدهمنا
الرحى وتسقط فوقنا ..

وعندما وصلنا الى منتصف الطريق الى الكوخ ؛
سقطنا منهكين من شدة التعب ، وكان العرق يتساقط
منا بغزارة .. ولم نجد أمامنا وسيلة سوى استدعاء
جيم وإخراجه من الكوخ ليساعدنا فى هذا العمل
الشاق !

وقام جيم من فوق سريره .. وفك السلسلة
من رجل السرير ولفها حول رقبتة .. ثم ساعدناه
فى الزحف عبر النفق الذى حفرناه ، وخرجنا به حتى
موضع الرحى الصخرية .. وساعدت جيم فى تحريك
الرحى ودحرجتها .. بينما وقف توم يلقي الينسا
بتعليماته وأوامره .. لقد كان توم أقدر انسان شاهده
فى حياتى على اصدار الأوامر والتعليمات !

وعندما وصلنا بالرحى الصخرية الى العشة
التي يبدأ عندها النفق الذى حفرناه .. تبين لنا أن
فتحة النفق ضيقة ولا تتسع لمرور الرحى وعندئذ

تقدم جيم وأمسك بالعتلة الحديدية ، وحضر لتوسيع
فتحة النفق حتى أدخلنا الرحي من خلالها ٠٠

وقام توم بكتابة النماذج الخاصة بذكریات
السجين جيم وأحزانه على سطح الرحي ، وطلب من
جيم أن يحفر الحروف والكلمات باستخدام المسامير
ومطرقة صغيرة من الحديد ٠٠ وأن يستمر في الحفر
باحفاء الرحي تحت مرتبة السرير المحشوة بالقشر
حتى يذوى ضوء الشمعة ٠٠ وعندئذ عليه أن يقوم
وينام عليها •

وفي النهاية ساعدنا جيم في ربط السلسلة
برجل السرير كما كانت من قبل ، وتأهبنا للانصراف
٠٠ ولكن فكرة جديدة برقت في ذهن توم ، فهاج
قائلا :

- جيم ٠٠ هل لديك هنا بعض العناكب ٠٠ ؟
- الحمد لله ٠٠ ليس لدى عنكبوت واحد
يا مستر توم !

- هذا لا يهم .. سنقوم باحضار بعض
العناكب !..

- لا .. أرجوك يامستر توم .. انى أخاف من
العناكب الى درجة الموت .. وأخاف منها أكثر مما أخاف
من الحيات ذوات الأجراس !

وهنا طرأت فى ذهن توم فكرة جديدة ، فقال
بعد لحظة تأمل :

- هذه فكرة جيدة يا جيم .. لكن أين ستحتفظ
بها يا جيم .. ؟!

- احتفظ بماذا يا مستر توم .. ؟!

- بالحية ذات الجرس !

- يا للسماء .. أرجوك يا مستر توم .. اذا
أحضرت حية من ذوات الجرس الى هذا الكوخ فسوف
أقفز من النافذة مهما كان الثمن .. !

- ولكن لماذا تخاف من الحية ذات الجرس الى
هذا الحد .. وعلى أية حال يمكنك أن تتخلص من

كل هذا الخوف بعد فترة عندما تعتاد عليها .. انك
تستطيع أن تستأنسها ..

— استأنسها ؟ .. هذا مستحيل !

— لا .. انه أمر فى منتهى السهولة .. جميع
الحيوانات يمكن أن تستأنس وتصبح وديعة اذا
عاملتها بشفقة وحنان .. ولا يمكن أن يؤذى الحيوان
شخصا يعطف عليه ويعامله برقة .. ان أى كتاب
تفتحه تجد فيه هذه المعلومات .. وأنا متأكد من أن
الحية ذات الجرس ستحبك وتنام معك على سريرك ..
بل وستلتف حول رقبتك لتداعبك .. وستضع رأسها
بداخل فمك !

— أرجوك يا مستر توم .. لاتقل مثل هذا
الكلام أرجوك .. أنا لا أريد أن تضع الحية رأسها فى
فمى .. ولا أريد أن تنام معى على سريرى !

وهنا قبل توم توسله وقال :

— طيب .. دعنا من الحية ذات الجرس ..

ما رأيك فى ثعابين الأعشاب .. انها لاتضر لأنها
خالية من السم .. ويمكنك أن تحتفظ هنا بمجموعة
من هذه الثعابين .. وتعلق فى ذيولها بعض الأزرار ..
وتتظاهر بينك وبين نفسك أنها حيات من ذوات
الجرس .. واعتقد أن مثل هذا التظاهر يجوز فى
بعض الأحيان ..

– انى لا أحب جميع أنواع الثعابين يامستر توم
.. وأستطيع أن أعيش هانئا بدونها .. لم أكن
أتصور أن حياة السجين يمكن أن تصبح صعبة وفظيعة
على مثل هذا النحو ..

– انها حياة صعبة بالفعل .. خصوصا اذا
طبقتنا جميع القواعد .. قل لى .. هل لديك فئران
فى هذا الكوخ ١٩٠٠

– لا ياسيدى .. لم أشاهد فى هذا الكوخ فأرا
واحدا ..

– اذن فسوف نحضر اليك بعض الفئران ! ..

— لماذا يا مستر قوم .. أنا لا أحب الفئران
ولا أريدها .. انها أسوأ أنواع المخلوقات .. ورؤيتها
تصيب الجسم بقشعريرة !

— ولكن يا جيم .. لابد أن تكون هناك بعض
الفئران .. لا يمكن تصور أن هناك سـجينا بدون
فئران .. فالمساجين دائما يتعايشون مع الفئران ،
ويعطفون عليها ، ويقومون بتدريبها على عمل بعض
الخدع والأشياء الأخرى .. وفى النهاية يصبحون
أصدقاء للفئران ، وتصبح الفئران أصدقاء لهم .

وتنهذ جيم مستسلما .. ومرت لحظات كان
توم يفكر خلالها .. وعندما انتهى من تفكيره قال :
— هناك شيء آخر كدت أنساه .. هل تستطيع
أن تزرع زهرة فى هذا الكوخ ؟ ..

فقال جيم :

— يمكن استنبات أحد الأعشاب البرية
الموجودة بكثرة خارج هذا الكوخ .. ولكن هذا عمل
لا يستحق العناء ولا الجهد الذى سيبذل فيه ..

وقال توم مقترضا :

— لا ٠٠ من الضروري ان تكون هناك زهرة ٠٠
وسنحضر اليك أحد أعواد النبات لتزرعه هنا في هذا
الركن من الكوخ ٠٠ وليس من اللائق أن تسميه
عشبا يريا ٠٠ بل من الأفضل أن تسميه « بهجة
السجين » ٠٠ ويجب عليك أن ترعاه الى أن يكتمل
نموه ويزدهر ٠٠ وعليك أن ترويه بدموع عينيك !!٠٠

— ولماذا أرويه بالدموع يامستر توم ٠٠ لدى
الكثير من الماء ٠٠ ويمكنني أن أسقيه بسهولة ٠٠
— هذا ضد القواعد ٠٠ وجميع المساجين يروون
زهورهم الخاصة بالدموع ٠٠ انهم يفعلون ذلك دائما ٠٠

— ولكنني لا أستطيع أن أذرف الدمع هكذا
بسهولة ٠٠ بل اني لم أبك في حياتي سوى مرات
قليلة جدا ٠٠ فكيف أروى الزهرة بدموعي ؟٠٠!

• وشعرت بأن توم قد انهزم أمام هذا المنطق .
ولكن توم لا يغلب أبدا ٠٠ فظل يفكر للحظة بسيطة ٠٠

وقال بعدها أن جيم يستطيع ان يذرف الدمع بسهولة
اذا شم بصلة ٠٠ ووعدته بأنه سيتسلل فى الصباح
الى المطبخ ويسرق بصلة كبيرة سيهربها له بداخل
ابريق القهوة !

واعترض جيم على ذلك قائلا بأن وضع البصلة
بداخل الابريق سيفسد طعم القهوة ٠٠ واعترض
أيضا على قيامنا من قبل بتهريب الطباق بداخل ابريق
القهوة ٠٠ لأن ذلك قد أفسد الطباق وجعله غير صالح
للتدخين ٠٠ كما اعترض كذلك على كثرة الواجبات
التي أصبحت ملقاة على عاتقه ٠٠ فعليه أن يقوم
برعاية هذا العشب البرى حتى يزدهر ٠٠ وأن يعقد
صداقة مع الفئران ويعطف عليها ويسليها ٠٠ وأن
يتعايش أيضا مع الحيات والثعابين والعناكب وغيرها
من الحشرات الأخرى ٠٠ وفوق هذا كله عليه أن يقوم
بحفر الرحى الصخرية ليكتب ذكرياته وأحزانه على
سطحها بواسطة المسامير ٠٠ وهذه كلها واجبات ثقيلة
ومسئوليات صعبة لا يستطيع أن يتحملها ٠٠

وهنا فقد توم صبره ، وعاتب جيم قائلا بأن
أمامه أعظم الفرص لكي يصبح من أشهر المساجين في
هذا العالم ، ولكنه يريد أن يضيعها بهذه الاعتراضات
غير المعقولة ..

واعتذر جيم لتوم .. ووعدته بأنه لن يعترض
مرة أخرى على أى شيء ..
وعندئذ خرجنا أنا وتوم من الكوخ .. وتوجهنا
إلى البيت ! ..

الفصل العشرون

الفئران والثعابين والرسائل المجهولة !

وفي الصباح ذهبنا الى القرية ، واشترينا مصيدة للفئران مصنوعة من السلك ٠٠ ووضعناها في مواجهة أحد الجحور الكبيرة بالبيت ٠٠ وفي خلال ساعة واحدة اصطدنا خمسة عشر فأرا من أحسن الفئران ٠٠

ووضعنا كل هذه الفئران في قفص خبأناه تحت سرير الخالة سالي ٠٠ ولكن أحد أبنائها الصغار تسلل تحت السرير وفتح باب القفص ليرى ما اذا كانت الفئران ستفر من القفص أم تبقى فيه ٠٠

وعدنا الى البيت على صراخ الخالة سالى ..
ووجدناها واقفة فوق السرير ، وتصرخ بأعلى صوتها ..
والفئران تجرى تحت قدميها وفوق السرير وفي كل
جوانب الغرفة .. وضربتنا الخالة بعصا كانت فى
يدها .. فجرينا الى الخارج .. وقضينا نحو ساعتين
حتى اصطدنا خمسة عشر أو ستة عشر فأرا آخرين !!

كذلك فقد اصطدنا مجموعة كبيرة من العناكب
ومختلف الحشرات والمخلوقات الأخرى .. كما
اصطدنا نحو دستتين من ثعابين الأعشاب وثعابين
البيوت وضعناها فى كيس خبأناه بغرفتنا ..

وبعد أن انتهينا من تناول العشاء فى تلك
الليلة ، وتوجهنا الى غرفتنا ، فوجدنا بأن جميع
الثعابين قد هربت من الكيس ، لأننا فيما يبدو لم
نكن قد أحكمنا اغلاق الكيس الذى يحتويها .. غير
أننا لم نهتم كثيرا بهروب الثعابين فهى مازالت فى
البيت وربما أخذت تتجول هنا وهناك فى بعض

الحجرات ، لذلك فإن من السهل أن نقوم بجمعها مرة أخرى .

ولكن الثعابين انتشرت فى معظم أنحاء البيت . . . وكانت تظهر من مخابثها بين حين وآخر . . . كنت تراها مثلا وهى تتسلل اليك من بين الشقوق أو من عوارض النوافذ . . . أو تجدها فجأة قد سقطت فى طبقك وأنت جالس الى المائدة تتناول طعامك . . . أو تزحف بنعومة على قفاك وتدخل الى ظهرك من خلال فتحة قميصك!! . . .

ومع ذلك فقد كانت جميع الثعابين طيبة وغير مؤذية ، بالإضافة الى أنها كانت جميلة وهى تتهاذى بيننا بأجسامها ذات الخطوط الملونة !

ولكن الخالة سالى كانت تخاف من جميع أنواع الثعابين . . . لافرق بين المؤذية منها أو غير المؤذية ، أو الملونة منها أو غير الملونة . . . كانت الثعابين لديها سواء . . . وكانت تصاب برعب قاتل حين ترى ثعبانا يزحف نحوها ، أو حتى يزحف بعيدا عنها . . . أما اذا تجاسر ثعبان وزحف على ذراعها أو على صدرها ، فإن

الخالة كانت تلقى بأى شيء يكون فى يدها .. وتهب
مذعورة ، وتنتفض بشدة ، وتصرخ بأعلى صوتها ..
فى الحقيقة لم أر فى حياتى امرأة مثلها !

أما المصيبة الكبرى ، فكانت تحدث حين تجد
الخالة أحد الثعابين وقد تمدد على سريرها .. فعندئذ
كانت تطلق صراخها ، وكان البيت قد شب فيه
حريق هائل ! ..

وظلت الخالة تخاف من سيرة الثعابين حتى بعد
أن اختفى آخر ثعبان كان بالبيت وحين كنا نراها
جالسة تستريح أو لتفكر فى شيء ، كنا نعبث فى
رقبتها بطرف ريشة لأحد الطيور نمررها بلطف على
قفاها أو على طرف أذنها ، وعندئذ كانت تنتفض
مذعورة كأن الشيطان نفسه قد مسها .. وتبدو كما
لو كانت تريد أن تقفز بجسمها خارجة من ملابسها ! ..
وقد أفهمنى قوم أن جميع النساء يتصرفن على مثل
هذا النحو .. وأنهن قد خلقن هكذا ربما لسبب
أو لآخر ! ..

وكانت الخالة تضربنا بالعصا فى كل مرة يظهر
فيها أحد الثعابين فى أى مكان بالببيت ٠٠ وكانت تقول
لنا فى كل مرة ، ان الضرب بالعصا لن يعتبر شيئا
عاودنا جمع الثعابين مرة أخرى ١٠٠ !

غير أننا لم نهتم كثيرا بعصا الخالة ، فقد كانت
غير مؤلمة ، كما كانت الخالة تضربنا بركة ٠٠
أما اهتمامنا كله ، فقد انصرف نحو تجميع الثعابين
الهاربة بالاضافة الى تجميع ثعابين جديدة ٠٠ !

وبعد أن جهزنا كل شيء ٠٠ وأصبح لدينا كل
ما نطلبه من الثعابين والفئران والعناكب والحشرات
والمخلوقات الأخرى ٠٠ ذهبنا الى جيم ، واطلقناها
جميعا بداخل الكوخ ٠٠ وعلى الفور بدأت تمرح فى
جميع الانحاء وجميع الأركان ٠٠

كان جيم لا يحب العناكب ٠٠ كما كانت العناكب
لا تحبه ٠٠ أما بالنسبة للفئران والثعابين والرحى
الصخرية ، فقد قال لنا توم أنها تملأ عليه الكوخ ،

لدرجة أنه أصبح لا يجد مكانا للنوم ٠٠ وقال لنا جيم
انه اذا خرج من هذا الكوخ بعد أن نطلق سراحه ،
فلن يصبح سجيننا مرة أخرى ، حتى ولو أعطوه مرتبا
مقابل ذلك !!

وفى خلال الاسابيع الثلاثة التالية ٠٠ كان كل
شئ يسير على مايرام وبشكل مقبول ٠٠ فقد هربنا
القميص الى جيم بداخل كهكة ٠٠ وذلك حتى يتمكن
جيم من كتابة أو نقش بعض العلامات بدمه على قماش
القميص ٠٠ ونبهنا عليه بأنه اذا عضه فأر من الفئران
وسال منه الدم ، فان عليه أن يغمس سن القلم فى دمه
ويكتب على القماش بهذا الحبر الطازج !٠٠

وفى خلال نفس الفترة أيضا انتهينا من صنع
جميع الأقلام وتوضيب سسئونها ، كما دونا جميع
الذكريات والأحزان على سطح الرحاية الصخرية ٠٠
كما قمنا بنشر رجل سرير جيم وقسمناها الى نصفين
وقد ابتلعنا كل النشارة التى تخلفت عن عملية النشر
٠٠ فأصبنا جميعا بالمغص ووجع البطن حتى كدنا

نشعر باقتراب الموت .. ولكن ذلك لم يحدث كما كان متوقعا .

وفى النهاية أصبحنا كلنا متعبين منهوكي القوى .. وكان جيم أكثرنا تعباً وانهاكا .. !

وكان العم سيلاس فلبس قد كتب عدة خطابات للمزرعة المجاورة لنيو أورلينز ليحضروا لاستلام عبيدهم الهارب .. ولكن العم لم يصله أى رد على خطاباتة لسبب بسيط .. فليست هناك مزرعة اسمها المزرعة المجاورة لنيو أورلينز !

لذلك فقد قرر العم سيلاس أن يكتب اعلانا ينشره فى الجرائد التى تصدر فى نيو أورلينز ، والجرائد التى تصدر أيضا فى سان لويس .. وقد أصبت بصدمة حين سمعت العم يذكر جرائد سان لويس ، فمعنى ذلك أن جميع جهودنا ستضيع فى ملح البصر .. وقلت لتوم : لم يعد لدينا أى وقت نضيعه ، ويجب أن نتصرف فوراً ..

وقال توم موافقا :

— نعم ٠٠ لقد حان الآن وقت ارسال الرسائل
المجهولة !

فتساءلت مندهشا :

— وما هي هذه الرسائل المجهولة ٠٠ ؟!

فقال توم ببساطة :

— هي رسائل تحذير بدون توقيع ٠٠ تكتب
بطريقة أو بأخرى ٠٠ وترسل أو تسلم بعدة طرق
غامضة ٠٠ وفي أحيان كثيرة يكون هناك شخص ما ،
يقوم بابلاغ حاكم القلعة بالأخبار اللازمة ٠٠ ان لويس
السادس عشر نفسه حين غادر قصر التويليرى ، أعطى
احدى رسائله المجهولة لاحدى الفتيات التى قامت
بنقلها ٠٠ انها طريقة جيدة لارسائل تلك الرسائل
المجهولة الخالية من التوقيع ٠٠ سوف نتبع تلك
الطريقة فى ارسال رسائلنا ٠٠ كما أن هناك

شيئا آخر فى غاية الأهمية .. فمن المعتاد غالبا أن تقوم أم السجين بزيارته بين حين وآخر .. وفى احدى هذه الزيارات تقوم الام باعطاء ملابسها للسجين ليتنكر بها حين يهرب ، وتقوم هى بارتداء ملابس السجين وتحل مكانه .. لايد أن نستخدم هذه الطريقة أيضا .. !!

– أرجو أن تسمعنى يا توم .. لماذا بحق الله نقوم بتحذير الناس مما سنفعله .. لماذا لاندعهم يكتشفون الأمر بأنفسهم .. فهذا هو شغلهم .. !

– نعم أعرف ذلك... ولكنك لاتستطيع أن تعتمد عليهم فى مثل هذه الأمور .. انهم فى كثير من الأحيان يكونون أغبياء أو يشقون بأنفسهم لدرجة أنهم لا يلاحظون شيئا .. ولذلك فان من واجبنا أن ننبههم ونحذرهم والا فان جميع الجهود التى بذلناها ستضيع هباء ولن يلحظها أحد .. وبذلك تصبح جميع أعمالنا بلا قيمة !

– بالنسبة لى ٠٠ فان هذا الامر لا يهم !

واشماز توم من قولى ٠٠ وقال باستهتار :

– ولكن بالنسبة لى ٠٠ فان هذا الامر فى غاية
الاهمية ٠٠ !

فقلت وانا اضع حدا للخلاف :

– وهو كذلك يا توم ٠٠ اننا لن نختلف أبدا ٠٠
أنا موافق على كل أمر يروقك ٠٠ ولكن قل لى ٠٠ من
أين سنحضر الفتاة الخادمة التى ستقوم بتوصيل
الرسائل المجهولة ٠٠ ؟!

– هذا موضوع فى غاية البساطة ٠٠ ستقوم أنت
بأداء دور الفتاة الخادمة ٠٠
– أنا ٠٠ ؟!

– نعم ٠٠ وكل ما عليك أن تتسلل الى غرفة
الخادمة ليزا بعد أن ينتصف الليل ٠٠ وتسرق ملابسها
لترتيديها وتمثل بها الدور المطلوب ٠٠ !

- ولكن أرجو أن تلاحظ يا قوم أن هذه العملية ستؤدى الى متاعب كثيرة فى صباح اليوم التالى ٠٠ ومن المحتمل ألا يكون لدى ليزا الخادمة أية ملابس أخرى غير تلك التى سأسرقها ٠٠ فماذا ستكون النتيجة ٠٠ ؟

- انى أعرف ذلك تماما ٠٠ أننا لن نحتاج هذه الملابس لأكثر من ربع ساعة فقط ٠٠ مجرد أن ترتديها، وتذهب فوراً لوضع الرسالة المجهولة الأولى تحت عقب الباب ، ثم تعود فوراً لتعيد ملابس الخادمة ليزا فى مكانها ٠٠ هذا هو كل المطلوب ٠٠ !

- وهو كذلك ٠٠ ولكن ما أهمية قيامى بتوصيل الرسالة المجهولة وأنا أرتدى ملابس الخادمة ؟ ٠ انى أستطيع أن أؤدى هذه المهمة بملابسى العادية ٠٠ ما الفرق ٠٠ ؟

- اذا ذهبت لتوصيل الرسالة المجهولة وأنت تلبس ملابسك العادية ٠٠ فانك لن تبدو مثل الفتاة الخادمة ٠٠ هذا هو الفرق !

- ولكن ياتوم .. هذا لايهم مادمت سأقوم بأداء
هذه المهمة سرا ودون أن يرانى أحد .. أو يعرف أحد
ان كنت أرتدى ملابس الخادمة أم لا .. !

- اسمع ياهك .. ان علينا أن نؤدى واجباتنا
دون أن نضع فى الاعتبار ما اذا كان الآخرون يروننا
أو لا يرون شيئا على الاطلاق .. !

- طيب ياتوم .. وهو كذلك .. سأقوم أنا
بدور الفتاة الخادمة .. ولكن من سيقوم بدور
أم السجين .. ١٩

- بسيطة .. سأقوم أنا بدور أم السجين
وسأسرق رداء من ملابس الخالة سالى .. !

- معنى ذلك أنك ستعطى ملابس الحالة لجيم ليتنكر
بها ويهرب وتبقى أنت سجيننا بالكوخ .. !

- لا .. من ذا الذى قال ذلك .. سأخذ ملابس
جيم بعد أن يخلعها .. وأحشوها بالقش وأمددها على
السريـر فتبدو مثل الشخص النائم .. وبعد أن يرتدى

جيم ملابس أم السجين سيكون فى استطاعتنا عندئذ
أن نهرب جميعا ، وننطلق الى آفاق الحرية ..

وهكذا لم نضيق الوقت .. وكتب توم رسالة
مجهولة .. وقمت بسرقة ملابس ليزا وأرتديتها ..
وأخذت الرسالة ، ومررتها الى داخل البيت من تحت
عقب الباب الأمامى .. وكانت الرسالة تقول :

« احذروا وكونوا متنبهين .. ان المتاعب قادمة
.. افتحوا عيونكم جيدا .. »

« الصديق المجهول »

وفى الليلة التالية .. أرسلنا رسالة مجهولة
أخرى دسستها من تحت عتبة الباب الأمامى ..
وكانت هذه الرسالة عبارة عن رسم لجمجمة وعظمتين
مقاطعتين كشعار القراصنة .. وقد رسم توم هذا
الشعار بالدم ..

وفى الليلة الثالثة أرسلنا رسالة أخرى تتضمن
رسما لتابوت من توابيت الموتى ..

وقد قلبت هذه الرسائل جميع أحوال العائلة
رأساً على عقب .. ولم أر فى حياتى عائلة بأكملها
أصبحت تخاف وتتصبب عرقاً من شدة الرعب هكذا
.. كانوا كلهم مذعورين وكان البيت قد امتلأ عن
آخره بجميع أنواع العفاريت والأشباح ..

وأثناء تناول العشاء ، سمعناهم يقولون بأبهم
قد وضعوا خادماً لحراسة الباب الأمامى للبيت وخادماً
آخر لحراسة الباب الخلفى ..

وقبل طلوع الفجر .. كنا قد أعددتنا رسالة
مجهولة مطولة .. وقفز توم من نافذة الغرفة الى
السقف المائل ، ثم الى عمود النور ثم الى الأرض ..
وتسلل ليستطلع الأمر .. فوجد أن حارس الباب
الخلفى للبيت قد استغرق فى النوم .. وانتهاز توم
هذه الفرصة ، وقام بتعليق الرسالة المجهولة على ظهر
الحارس ! ..

وكان نص هذه الرسالة الخطيرة كما يلي :

« ان عصابة متوحشة من قاطعي الرقاب ستقوم بسرقة العبد الهارب هذه الليلة .. وقد قامت هذه العصابة بتخويفكم وملأت قلوبكم بالرعب حتى تلزموا البيت ولا تخرجوا الى مطاردتها اثناء قيامها بسرقة العبد الهارب .. وانا عضو بهذه العصابة ولكنى متدين وأردت أن أتوب عن فعل الأشياء الشريرة وأعود الى الحياة الطيبة .. ولهذا .. فهانذا افشى لكم كل أسرار العصابة وكل خططها .. انهم سيجيئون من ناحية شمال السور .. وسيكون معهم مفتاح مزيف سيفتحون به باب الكوخ ويستولون على العبد الهارب ويهربون .. وقد كلفتنى العصابة بأن أقف فى مكان ما فوق السور لأراقب المكان اثناء قيام العصابة بعملية السرقة ، وكلفونى بأن أنفخ فى نفير من الصفيح لأحذرهم اذا تعرضوا لآى خطر .. ولكن لأجل خاطرهم فلن أنفخ فى النفير .. وعندما تدخل العصابة الى الكوخ لتفك السلسلة التى ربط فيها العبد الهارب .. سأقوم بالمأمة مثل الخروف .. ولتكن هذه علامة اتفق عليها معكم .. ويمكنكم بمجرد سماع تلك المأمة

أن تهجموا على أفراد العصاة وهم بداخل الكوخ
وتقتلوهم عن آخرهم .. عليكم أن تنقنوا تعليماتي
هذه حرفا حرفا .. والا فان كل شيء سينهار وتحدث
متاعب لاحد لها .. وأنا لا أريد منكم مكافأة على ذلك
.. يكفيني أنى ارضيت ضميرى وفعلت شيئا
طيبا .. ! » « الصديق المجهول »

الفصل الحادى والعشرون

جيم ٠٠ هانتذا حر من جديد !

تناولنا افطارا طيبا فى الصباح ٠٠ وأخذنا معنا
طعام الغداء ٠٠ وتظاهرننا بأننا سنذهب لصيد السمك .
ولكن ما أن وصلنا الى المكان الذى خبأت فيه قاربى
الخفيف بين أعشاب شاطئ النهر ، حتى ركبنا القارب
واتجهنا فورا الى المكان الذى أخفيت فيه الطوف ٠٠

وعندما وجدنا الطوف سليما وفى حالة جيدة ،
اطمأن قلبانا ٠٠ وقضينا وقتا سعيدا ممتعا ٠٠

ولكن عندما عدنا قرب المساء لتناول طعام

العشاء ، وجدنا البيت كله مقلوبا .. وكان الجميع
فى حالة من الاضطراب يفوق الوصف .. وبمجرد
أن انتهينا من تناول الطعام ، حتى أرسلونا فورا الى
غرفة النوم .. ولم يقل لنا أحد ولو كلمة واحدة عن
الرسالة المجهولة الأخيرة .. وبطبيعة الحال فقد كنا فى
غنى عن ذلك .. لأننا نعرف ما جاء بتلك الرسالة أكثر
من أى شخص آخر ..

وعندما أصبحنا فى منتصف درجات السلم ،
أدارت الخالة سالى ظهرها لنا ، فتسللنا فورا الى
دولاب الخزين وأخذنا بعض الطعام استعدادا للمغامرة
التي سنقوم بها هذه الليلة . وحملنا الطعام معنا الى
غرفتنا .. ونمنا نوما متقطعا حتى أصبحت الساعة
الحادية عشرة والنصف قبيل منتصف الليل .. وعندئذ
ارتدى توم ملابس الخالة التي سرقها من قبل .
وفحص الطعام الذى سيحمله معه عندما يقوم بدور
أم السجين . وقال توم :

— أين الزبد .. ؟!

فقلت :

- لقد وضعت قطعة من الزبد على رغيف

الخبز ..

- لا .. ليس هناك زبد .. !

- ولنفترض انه ليس هناك زبد .. فما أهمية

ذلك .. ان في استطاعتك أن تقوم بدورك بدون -

زبد ! .. !

- ويمكنني أيضا أن أقوم بدوري بالزبد ..

هيا اذهب الى الدولاب وخذ بعض الزبد .. ثم عليك

أن تتسلل عبر النافذة وتهبط على عمود النور وتلحق

بى فى الكوخ .. وسأذهب أنا الى هناك الآن لأحشو

ملابس جيم بالقش وكن مستعدا للمأمة مثل الخروف

عندما أعطيك اشارة بذلك ..

وتسللت ببطء الى حيث يوجد دولاب الخزين

وتناولت قطعة من الخبز وضعت عليها قطعة كبيرة

من الزبد .. وأطفأت الشمعة التى كنت أحملها

لتساعدنى على الرؤية فى الظلام .. وتسللت بهدوء

مرة أخرى أخذنا طريقى الى الطابق السفلى .. ولكنى
فجأة رأيت الخالة سالى قادمة وهى تمسك فى يدها
شمعة مضاءة .

وعلى الفور وضعت الخبز والزبد فى القبة ،
ووضعت القبة فوق رأسى .. وفى نفس اللحظة
شاهدتنى الخالة على ضوء شمعتهما .. فقالت لى
مندهشة :

— ماذا تفعل بغرفة الخزين فى هذا الوقت من
الليل .. ؟!

— لا أدرى يا سيدتى .. لا أدرى !
— لا تدرى ؟! .. هه .. اذهب الآن وانتظرنى
فى غرفة الجلوس .. لابد أن أعرف ماذا كنت تفعل
فى غرفة الخزين ! ..

وذهبت الى غرفة الجلوس كما قالت .. وهناك
فوجئت بوجود جمهور غفير .. خمسة عشر من
المزارعين .. وكل واحد منهم يمسك بندقية ! ..
وطبعاً لم أستطع أن أرفع قبعتى تحية لهم ! ..

كان هؤلاء المزارعون قلقين رغم تظاهريهم بالهدوء
.. وكنت أود أن تحضر الخالة فوراً لتنتهي من أمري
.. إذ كان على أن أذهب إلى الكوخ بأقصى سرعة لأخبر
توم بما يحدث ، ولكي نقوم بتفريب جيم ونتمكن
جميعاً من الإفلات من هذا الجيش القادم ..

وجاءت الخالة .. وبدأت تسألني عدة أسئلة ..
ولكنني تلعتشى ولم أستطع الرد بطريقة مقنعة .. لقد
كنت مضطرباً غاية الاضطراب لأنني لاحظت ان المزارعين
قد بدأوا يفقدون صبرهم وأخذوا يتمللملون وكأنهم
يريدون أن يدخلوا المعركة فوراً .. فالساعة الآن
تقترب من منتصف الليل .. وهو الوقت المحدد لقيام
عصابة قاطعي الرقاب بسرقة العبد الهارب ..

وقال أحد المزارعين بعد أن نفذ صبره تماماً ..
أنه سيذهب الآن إلى الكوخ وسيختبئ بداخله ليقوم
بقتل العصابة بمجرد مجيئهم إلى الكوخ ومحاولتهم
فتح بابه .. وقال مزارعون آخرون ان من الأفضل
أن ينتظروا جميعاً حتى يسمعون مأمرة الخروف

باعتبارها الاشارة التى سيعطيهم ايها الصديق المجهول
ليشرعوا فوراً فى الهجوم على العصاة ..

كل هذا كان يحدث أمامى بينما كانت الخالة
تواصل سؤالى سؤالا تلو سؤال .. وأنا غارق فى
خوفى ومضطرب غاية الاضطراب .. وبدأت الزبد
تسيح فوق رأسى .. وسالت على حدى ..

وفجأة شحب وجه الخالة وأصبح فى لون الملاة
البيضاء .. وقالت وهى تشعر بدعر هائل :

- ويلاه .. ماذا حدث للغلام .. انه يعانى
من حمى شديدة فى مخه .. ان مخه قد بدأ يسيل
من رأسه .. !!

وانتبه الجميع الى صياح الخالة ، والتفوا حولي
ينظرون ماذا حدث .. وتقدمت خالتى ورفعت القبة
عن رأسى فسقط الخبز وبقايا قطعة الزبد .. وعندئذ
احتضنتنى الخالة وأخذت تربت على ظهرى ،

وقالت بعطف :

- يا بنى العزيز .. أمن أجل هذا تسللت

الى غرفة الخزين .. لقد قلقك عليك حين رأيت هذا
الزبد يسيل من رأسك .. لقد اعتقدت ان مخك قد
انفجر وبدأ يسيل على وجهك .. والآن .. فلتصعد
الى غرفتك لتنام فى هدوء ولا تجعلنى أرى وجهك الا فى
صباح الغد .. !

وفى ثانية واحدة صعدت الى غرفتى .. وفى
الثانية التالية ، كنت أهبط على عمود النور ، وانطلقت
بأقصى سرعة تجاه العشة ومنها تسللت عبر النفق الى
داخل الكوخ ..

وبصعوبة بالغة بدأت ألتقط أنفاسى .. وقلت لتوم
بأن علينا الآن أن نغادر الكوخ بأقصى سرعة حيث
لم يعد أمامنا سوى دقيقة واحدة .. وأن البيت مملوء
بالرجال الذين يحملون البنادق .. وهم قادمون نحونا
بين لحظة وأخرى ..

وهنا برقت عينا توم وقال بفخر :

— حقا !؟ .. هل وصل الأمر الى هذا الحد !؟ ..
لقد كان باستطاعتى أن أدبر بعض الأشياء الأخرى

حتى يصل عدد هؤلاء الرجال ذوى البنادق الى نحو مائتين ٠٠ على أية حال ففي المرة القادمة سأحاول ذلك ٠٠

فقاطعت متلهفا :

- أسرع أسرع ياتوم ٠٠ ليس هناك وقت لذلك ٠٠ أين جيم ٠٠ ١٩

- هاهو بجوارك ٠٠ لقد ارتدى الملابس التي اتفقنا عليها ٠٠ وكل شيء الآن جاهز ٠٠ وسنهرب جميعا عبر النفق ٠٠ وبمجرد خروجنا سأعطيهام إشارة مائة الخروف التي ينتظرونها لبدء الهجوم ٠٠

ولكننا تسمعنا جميعا فى مكاننا بعد أن سمعنا خطوات الرجال بقرب الكوخ ، وبدأوا يفتحون قفله ٠٠ وسمعنا أحد الرجال يقول :

- لقد جئنا مبكرين قبل وصول العصابة ٠٠ فقفل الباب مازال مقلقا ٠٠ والآن سأفتح الباب ليختبئ بعضكم بداخل الكوخ ٠٠ وفى الظلام ٠٠

انتظارا لوصول العصابة .. وعندما تبدأ العصابة فى
الدخول من باب الكوخ أطلقوا عليهم النار فوراً
وأردوهم قتلى .. وسيبقى بعض الرجال فى الخارج
للمراقبة ، أو للمهجوم على العصابة فور وصولها .

وفى لحظة كان الرجال قد دخلوا الى الكوخ ومعهم
بنادقهم .. ولكنهم لم يرونا فى الظلام .. واختبأنا
جميعاً تحت السرير .. ثم تسللنا بهدوء وصمت تام
عبر النفق وأصبحنا الآن بداخل العشة .. ولكننا
توقفنا تماماً عن الحركة حين سمعنا وقع أقدام بالقرب
من باب العشة الخارجى .. وانتظرنا لحظات قلقة
بينما كانت الأقدام تقترب وتبتعد ثم تقترب مرة أخرى
.. وقال توم فى همس انه سيعطينا إشارة الخروج
فى الوقت المناسب .. ويجب أن نكون مستعدين
تماماً .. وأن يخرج جيم أولاً ، ثم أتبعه أنا ، ثم يلحق
بنا توم فى النهاية .. وأخذ توم يتصنت الى وقع
الأقدام ويقدر الموقف .. وأخيراً أعطانا الإشارة .. ١

وفى لمح البصر أصبحنا جميعاً خارج العشة ..
وانطلقنا فوق السور وتسلقناه .. ولكن ملابس توم

اشتبتكت فى أحد المسامير ، فجذبها توم بقوة ، فحدثت
جلبة وفرقة مسموعة . وعندئذ صاح أحد الرجال :

- من هناك .. أجب والا أطلقت عليك
النار .. !!

وبطبيعة الحال لم يجب أحد .. بل انطلقنا
فارين بسرعة البرق .. وانهمرت علينا طلقات
الرصاص التى كانت تنز بجوار آذاننا .. وسمعنا
بعض الرجال يصيحون فى سكون الليل :

- هاهم أفراد العصاية .. انهم يتجهون صوب
النهر .. فلنلحق بهم يارجال .. وأطلقوا الكلاب فى
أثرهم !

وانطلقوا جميعا وراءنا .. وقبل أن نصل الى
الطاحونة ، كانوا قد اقتربوا منا الى درجة خطيرة ..
فراوغناهم واختبأنا بداخل الأعشاب الى أن تجاوزونا ..
ثم جاءت بعدهم الكلاب .. وكانت لحسن الحظ
كلابنا .. وشعرنا كأن الكلاب كانت تحيينا بسرعة ،

ثم انطلقت وراء الرجال حيث الصباح والاضطراب على
أشده ..

وما أن ابتعد الرجال عنا قليلا حتى انطلقنا
وراءهم الى أن وصلنا الى مبنى الطاحونة ، وهناك
عرجنا الى الغابة حيث كنت أخفى قاربي .. فرمينا
أنفسنا فيه وبدأنا نجذف بأقصى همة الى أن أصبحنا
في منتصف النهر .. ثم اتجهنا الى الجزيرة حيث
أخفينا الطوف .. وكانت تتطرق الى أسماعنا بين حين
 وآخر ، أصوات الرجال وهم يتصايحون على الشاطئ ،
الآخر .. وظلت أصواتهم تخفت رويدا رويدا الى أن
اختفت تماما وعندئذ قلت لجيم وأنا أشعر بفرح
عارم :

- جيم .. هانتذا حر من جديد !

فقال جيم معبرا عن عرفانه بالجميل :

- يا لها من مغامرة رائعة .. لقد خططت
بأحكام .. ونفذت بدقة وسلاسة .. ان أحدا لا يمكنه

ان يصدق أو يتصور أية مغامرة أخرى أكثر صعوبة
وأشد تعقيدا من تلك المغامرة !

لقد كنا جميعا نشعر بقيمة السرور والفرح .
ولكن قوم كان أكثرنا سرورا وفرحا .. فقد أصيب
برصاصة فى رجله .. !!

وما أن سمعنا أنا وجيم بهذا الخبر المفاجئ
حتى تلاشى على الفور سرورنا وفرحنا .. لقد كان
جرح قوم ينزف دما ، ويؤله بشدة .. فقمنا بتمزيق
أحد قمصان الدوق على شكل أشرطة وربطنا الجرح
حتى يتوقف النزيف .. وقال قوم لاهثا :

- اعطونى الأربطة لأضمد هذا الجرح بنفسى ..
أما انتم فلا تضيعوا الوقت .. ولنهرب جميعا من
هذا المكان فورا .. هيا .. ليفك أحدكم رباط
الطوف .. وليمسك الآخر بمجداف التوجيه ..
هيا يا أولاد .. لاتضيعوا الوقت عبثا .. فلننطلق
بالطوف بأقصى سرعة .. لقد نفذنا الخطة بإحكام
يا أولاد .. لقد كان بوسعنا أن نضع خطة لتهريب

لويس السادس عشر ملك فرنسا .. لو أن أحدا طلب
منا القيام بذلك .. !!

وبينما كان توم يصدر أوامره هكذا .. تحدثنا
أنا وجيم في الأمر وأخذنا نفكر فيما يجب أن نفعله
لاتقاذ توم .. وقال جيم في النهاية :

- لن أتخرج عن هذا المكان ولو بوصة واحدة
قبل أن يحضر الطبيب ليعالج رجل توم .. حتى
ولو بقيت سجيناً في هذا المكان لمدة أربعين سنة
أخرى !

لقد كان جيم شهماً ويملك قلباً من ذهب ..
وقد توقعت منه أن يتخذ هذا الموقف النبيل .. وأخبرت
توم بأنني سأذهب الى القرية لاجتماع الطبيب ..
فرفض توم ذلك رفضاً قاطعاً وحاول أن يقوم بنفسه
بفك رباط الطوف ، ولكننا منعناه من ذلك ..

وعندما رآني توم وقد قفزت الى القارب وأوشكت
أن أنطلق به تجاه القرية استسلم للأمر وبدأ ينصحني
قائلاً :

طبيب .. عندما تصل الى القرية لتحضر
الطبيب .. فعليك أن تربط منديلا حول عينيه ..
وضع فى يده حقيبة مملوءة بالذهب .. وتعال به
خلال طريق غير مباشر .. واختر طريقا متعرجا بين
الجزر .. وعليك ان تقوم بتفتيش الطبيب جيدا ..
وخذ منه قطعة الطباشير اذا كانت معه أية قطعة ..
ولا ترد قطعة الطباشير اليه مرة أخرى الا بعد أن يعود
الى القرية مرة أخرى .. فمن المحتمل أن يستخدم
الطباشير فى عمل علامة على الطوف ويفشى أسرارنا ..
فهذه هى الطريقة التى يستخدمها الجميع دائما .. !
فوافقته على كل ذلك .. وذهبت لاحتضار
الطبيب .. واختبأ جيم عندما رأى الطبيب قادما !

الفصل الثانى والعشرون

ماذا جرى لهذا الولد ؟؟

كان الطبيب العجوز ذا مظهر طيب .. وعندما ذهبت اليه فى منزله لاستنجد به .. ادعيت له أن أخى قد ركل بندقيته أثناء النوم بينما كان مستغرقا فى أحد الأحلام .. فانطلقت رصاصة وأصابته فى رجله .. وعلى الفور أعد الطبيب حقيبته ، وأشعل مصباحا ليضىء له الطريق .. وذهبنا معا الى شاطئ النهر ..

ولكن ما أن رأى الطبيب قاربى الخفيف ، حتى
تراجع وقال أنه قارب صغير جدا ٠٠ وحاولنا البحث
عن قارب آخر ، ولكن جميع القوارب كانت مربوطة
بالسلاسل ٠٠ فاضطر الطبيب الى أن يركب قاربى
مشتربا ألا أركب معه ، لأن هذا القارب الصغير فى
اعتقاده لا يصلح لركوبنا معا ٠٠ فوصفت له الطريق
وكيفية الوصول الى الطوف الراسى على شاطئ الجزيرة
٠٠ فانطلق الطبيب بعد أن طلب منى أن تنتظره هنا
على شاطئ النهر ٠٠

واختبأت خلف كومة من الأخشاب ٠٠ وسرعان
ما استغرقت فى النوم ٠٠ ولم أستيقظ الا بعد أن
لفحت وجهى حرارة الشمس ٠ وعلى الفور اتجهت رأسا
الى بيت الطبيب لأطمئن منه على الحالة ، ولكنهم
أخبرونى هناك بأن الطبيب لم يعد حتى الآن ٠٠
فازداد قلقي على توم ٠٠ وقررت أن أذهب فورا الى
الجزيرة وبأى شكل ٠٠

وفى الطريق رآنى العم سيلاس فصاح مناديا :

– **توم ٠٠ أين كنت طوال هذا الوقت أيها**

الشقى ١٩ ٠٠

– **لقد ذهبت مع أخى سيد لمطاردة العبد الهارب**

ليلة أمس !

– **أين ذهبتما اذن ؟ ٠ ان الحالة سالى فى غاية**

القلق ٠٠ !

٠ – **لا داعى للقلق فنحن بخير ٠٠ لقد انطلقنا**

مع الرجال والكلاب لمطاردة العبد الهارب ، ولكننا تهنا

وضللنا الطريق ٠٠ واعتقدنا أن الرجال قد عبروا

النهر لمواصلة المطاردة ، فذهبنا فى أثرهم ، ولكننا

لم نجدهم على الشاطئ الآخر ، فتمنا هناك حتى

الصباح ، وعدنا الى هنا منذ نحو ساعة لنعرف الأخبار

٠٠ وقد ذهب أخى سيد الى مكتب البريد ليسمع

الأخبار بنفسه .. أما أنا فأنى أبحث عن طعام لى وله
.. وسوف نعود الى البيت معا .. !

وذهب معى العم سيلاس الى مكتب البريد
لاحضار « سيد » .. ولكننا لم نجده طبعاً .. واستلم
العم من مكتب البريد خطاباً خاصاً .. وانتظرنا حضور
« سيد » مدة طويلة .. وبعدئذ قرر العم سيلاس أن
نذهب الى البيت عسى أن يحضر سيد فيما بعد ..
وذلك حتى تطمئن الخالة سالى على أننا مازلنا بخير ..

والحقيقة أن الخالة قد فرحت كثيراً عندما
شاهدتنى قادماً نحوها .. وقلت لها ان الضجة التى
أحدثها المزارعون ليلة أمس قد أيقظتنا أنا وأخى
« سيد » من النوم .. فهبطنا على عمود النور لنرى
ما يحدث .. وحكىت لها نفس القصة التى اخترعتها
وقصصتها من قبل على العم سيلاس ..

وقالت الخالة الطيبة أنها سامحتنا وعفت
عنا .. ولكنها أبدت قلقها لعدم عودة سيد حتى
الآن ..

ومر بعض الوقت وازداد قلق الخالة .. وقالت
بعد أن نفذ صبرها :

— ولكن بحق السماء .. لقد أوشكت الشمس
على المغيب ولم يعد سيد حتى الآن .. ماذا جرى لهذا
الولد .. !

قلت لأطمئنها :

— دعيني أذهب لاحضاره .. !

فقالت على الفور :

— لا .. لن تذهب أنت .. وإذا لم يحضر سيد
فى موعد العشاء .. فسيذهب العم سيلاس للبحث
عنه !

وجاء موعد العشاء ولم يحضر توم - أو سيد كما
يعتقدون - وخرج العم سيلاس للبحث عنه . . وعاد
في الساعة العاشرة متعبا وقلقا . . وقال انه بحث
عنه في كل مكان فلم يعثر له على أثر . . وازداد
بالتالى قلق الخالة سالى وعلت وجهها مسحة من الحزن
ولكن العم سيلاس أخذ يطمئنها قائلا بأن سيد
سيعود حتما فى صباح اليوم التالى . .

واقترنت الخالة بهذه الفكرة بصعوبة . . ومع
ذلك فقد أصرت على أن تقضى الليل كله ساهرة بجوار
النافذة . . وأن يبقى المصباح مضاء حتى ينير له الطريق
عندما يحضر . .

وأخذت الحالة بيدى وصعدت بى الى غرفة
نومى ، وأرقدتني على السرير ، وقبلتني، وأخذت
تربت على كتفى بكل ما فى قلبها الطيب من حنان
ورقة . . لدرجة أنى قد شعرت بالحجل من نفسى
ولم أستطع أن أرفع عيني للنظر فى وجهها . .

وقبل أن تبارح الخالة غرفتي ، قالت لي بحنان
وبصوت طيب :

١
- لن نغلق أبواب البيت بعد الآن يا قوم ..
ولا داعي أن تهرب من النافذة هابطا على عمود النور
.. أرجو ألا تفعل ذلك مرة أخرى .. لأجل خاطري ..

ويعلم الله أنني كنت أريد أن أفعل ذلك مرة
أخرى لأطمئن على قوم .. وأني لن أفعل ذلك مرة
أخرى ولو عرضوا على ممالك الأرض ..

وبعد انصراف الخالة ، لم يغمض لي جفن وظللت
حائرا بين حالة من اليقظة وحالة من النعاس المتقطع ..
وحائرا بين الأخذ بنصيحة الخالة الطيبة وواحتي
نحو قوم ..

ولمرتين متواليتين أثناء الليل .. تسللت عبر
النافذة وهبطت على عمود النور .. ولكنني كنت أرى
الخالة مازالت ساهرة على ضوء الشمعة بجوار النافذة

.. تطل بعينيها على الطريق .. وكانت عيناها
مغرورتين بالدموع ..

وفي المرة الثالثة قرب الفجر .. كان ضوء
الشمعة قد خبا .. وكانت الخالة لم تزل جالسة
جوار النافذة .. ولكنها أسندت وجهها بين يديها ..
واستغرقت في النوم ! ..

الفصل الثالث والعشرون

اعادة توم وجيم الى البيت ٠٠!

وفى الصباح المبكر وقبل موعد الإفطار ٠٠ ذهب
العم للبحث عن توم أو لمعرفة أخباره ، ولكنه عاد خائبا ،
وازداد بالتالى قلق الحالة ، وتضاعفت أحزانها فجلست
تتنهد فى صمت ٠٠ -

وبعد فترة قال العم سيلاس :

— ألم أعطك الخطاب الذى استلمته أمس من مكتب
البريد ٠٠ ؟

فقال الحالة وهى تتنهد فى حزن :

- لا .. لم تعطنى أى خطاب ..

فقام العم سسيلاس ، وذهب الى احدى الحجرات
وأحضر الخطاب وقدمه لها .. وما أن نظرت الحالة الى
هذا الخطاب حتى صاحت قائلة :

- أنه من أختى بوللى .. أنه من سان بطرسبورج !

وشرعت على الفور فى فتح الخطاب ولكنها توقفت
فجأة ، فقد حدث شئ غريب .. رأينا نوم سوير محمولا
على نقالة ، ويمشى بجواره الطبيب العجوز ، ومن خلفه
كان جيم مرتديا ملابس الحالة ، وكانت يدها مقيدتين
خلف ظهره ، وحولهم مجموعة كبيرة من الناس .. !!!

فزعت الحالة وهبت واقفة ، وسقط الخطاب من
يدها ، وارتمت على نوم سوير وأخذت تولول :

- لقد مات .. مات .. كنت أعرف من قبل أنه
مات !!

وهنا حرك نوم رأسه بضعف .. وتمتم ببعض

مهمّات غير مفهومة ولكنها تدل على أنه في غير وعيه
٠٠ فصاحت الخالة فرحة مهللة :

- انه حي ٠٠ انه حي الحمد لله ٠٠ يكفيني
هذا !!

واندفعت الخالة داخل البيت لتعد السرير الذي
سيرقه عليه توم ٠٠ وأخذت تلقى أوامرها وتعليماتها
ذات اليمين وذات اليسار ٠٠ وتصدر التنبيهات الى
الخدم ، والى كل شخص آخر بالبيت ٠٠ وانتهرت هذه
الفرصة ، وأخفيت الخطاب ٠٠ !

وحمل توم الى داخل البيت ، وتبعه الطبيب
المعجوز والعم سيلاس ٠٠ أما أنا فذهبت لأرى ماذا
سيكون مصير جيم ٠٠

كان الرجال يلعنون جيم ويشتمونه بوقاحة ٠٠
ولم يقل جيم شيئاً ولزم الصمت ٠٠ بل وتظاهر بأنه
لا يعرفني حين اقتربت منه ٠٠ وأدخله الرجال الى نفس
الكوخ الذي كان مسجوناً فيه من قبل ٠٠ وغلغوا عنه

ملابس الخالة التي كان متنكرا فيها .. والبسوه ملابسه
القديمة .

وفجأة ظهر الطبيب العجوز جوار باب الكوخ وقال
للرجال :

— لا تعاملونه بمثل هذه القسوة أيها الرجال ..
انه صديق طيب ومخلص .. !

وبدا الطبيب يشرح الامر للرجال قائلا :

— عندما وصلت الى مكان الولد المصاب ، وفحصت
جرحه .. تبين لى أن الرصاصة قد استقرت فى رجله
.. وكان لا بد أن أجرى له عملية جراحية فى أسرع
وقت ممكن .. ولكنى لم استطع فعل أى شئ لأنى كنت
فى حاجة الى شخص يعاوننى عند اجراء العملية ..
وكان من المستحيل أن أترك الولد المصاب فى تلك
الحالة السيئة لأذهب لطلب المعونة من أقرب مكان ..
واحترت فعلا فى هذا الأمر .. وأخيرا قلت للولد
المصاب يائسا : لا بد أن أذهب للبحث عن معونة ..

لا بد أن يكون معى شخص يعاوننى ! ٠٠ وفجأة ظهر
هذا الصديق الطيب الذى كان مختبئا بين الأعشاب ٠٠
وتبينت على الفور أنه عبد هارب ولكنه تقدم لمعاونتى على
خير وجه ٠٠ وقد أدى عمله بمنتهى الاخلاص والتفانى
٠٠ وظل ساهرا طوال الليل ومستيقظا طوال النهار
لمراقبة الولد المصاب ورعايته وتمريضه ٠٠ لقد كان له
فضل كبير فى معاونتى لانقاذ حياة المصاب ٠٠ ولقد
كان فى استطاعته أن يفر ويواصل هربه ، ولكنه ضحى
بحريته ليبقى معى ٠٠ وفى هذا الصباح كان هذا
الصديق الطيب نائما حين اقترب منا قارب كبير فيه
مجموعة من الرجال ٠٠ فخشيت أن أصبح مسئولا عن
التستر على عبد هارب ، فأفهمت الرجال بذلك ، فهجموا
عليه بغتة وكتفوا يديه خلف ظهره ٠٠ فاستسلم لهم
بكل طيبة ولم تبدر منه أية بادرة أو مقاومة ٠٠ وأركبه
الرجال فى قاربهم ٠٠ ثم قاموا بربط الطوف الى
القارب ٠٠ وسحبونا ٠٠ وكنت أنا بجوار المصاب على
سطح الطوف ٠٠ صدقونى ٠٠ ان هذا الرجل صديق

طبيب ومخلص وله قلب من ذهب .. صدقوني يا سادة
.. ان أى رجل مثله يعتبر جوهرة ثمينة .. !!

وقد شكرت للطبيب هذا الدور الطيب الذى أداه
خدمة لجيم .. وقد سعدت فعلا لأن رأى الطبيب فى جيم
كان مطابقا تماما لرأىي .. فمنذ أن شاهدت جيم لأول
مرة .. عرفت أنه صديق طيب ومخلص .. وأسعدنى
أكثر وأكثر ان الرجال الذين كانوا يلعنون جيم منذ
لحظة ، أصبحوا الآن يشكرونه .. ويقولون انه قام بعمل
يستحق عليه مكافأة ..

وفى صباح اليوم التالى ، سمعت أن حالة توم قد
تحسنت قليلا .. وكانت الحالة سالى قد لازمته وبذلت
كل عناية ورعاية طوال النهار وطوال الليل .. وعندما
ذهبت الحالة لتستريح قليلا ، تسلمت الى حجرة توم
للتفاهم معه على اختراع قصة تبدو معقولة لتبرير كل
هذه الأحداث التى وقعت .. ولكنى رأيت توم مازال
مستغرقا فى النوم .. وكان وجهه يبدو شاحبا ولكنه

استعداد حرارته الطبيعية .. وجلست صامتاً بجوار
سريره ، منتظراً لحظة استيقاظه ..

وبعد حوالى نصف ساعة دخلت الخالة سالى الى
الغرفة ، وأفهمتني بهمس أنه الآن يتحسن .. وأنها
تعتقد انه سيستعيد وعيه تماماً عندما يستيقظ ..
وجلست بجانبى تنتظر ..

وأخيراً فتح توم عينيه .. وما أن رأنا حتى قال
مدهشاً :

— هاللو .. لماذا أنا فى البيت مرة أخرى ..
كيف كان ذلك .. وأين الطوف .. !!؟

فقلت له باختصار :

— كل شيء على ما يرام !

فتساءل فى لهفة :

— وجيم .. ؟!

— على ما يرام !

— عظيم ٠٠ عظيم جدا ٠٠ لقد عدنا جميعا سالمين
٠٠ ألم تخبر خالتى بما حدث ٠٠ !!؟
وأوشكت أن أقول « نعم » ٠٠ ولكن الخالة سرعان
ما تدخلت فى الموضوع ، وقالت لتوم متسائلة :
— ما هذا الذى حدث يا سيد ٠٠ !؟

فقال توم بشبات كعادته :
— هذه الأشياء كلها ٠٠ !
— وما هى هذه الأشياء كلها يا سيد ٠٠ ؟

فقال توم بشبات أكثر :
— الخطة التى دبرناها — أنا وتوم لاطلاق سراح
جيم ٠٠ !!

فقالت الخالة مدعورة :
— يا ربى ٠٠ عن أى شىء يتحدث الولد ٠٠ لقد
نقد وعيه مرة أخرى وبدأ يخرف ٠٠ !

وقال نوم :

- لا يا خالتي .. لقد وضعنا خطة محكمة أنا
وتوم .. خطة عظيمة لاطلاق سراج جيم .. ولقد نفذناها
أيضا بطريقة عظيمة .. !

وبدأ نوم فى سرد القصة من أولها الى آخرها ..
وأخذ يحكى ويحكى .. وقد جلست الخالة مبهورة
وتكاد لا تصدق أذنيها وهى تستمع الى كل التفاصيل ..
أما أنا فقد لزمت الصمت تماما ولم أنطق بكلمة ..
وقال نوم لخالته :

- لقد كان عملا شاقا يا خالتي .. لقد استغرق
جهدنا لأسابيع طويلة .. وكنا نعمل لساعات وساعات
كل ليلة بعد أن تستغرقوا فى النوم .. وكان علينا
أن نسرق الشمعات الست .. والملاءة .. والقميص ..
ورداء من ملابسك .. والملاعق .. والأطباق ..
والسكاكين .. ومدفأة السرير النحاسية .. والرحى
الصخرية .. وعبوات الدقيق .. وأشياء أخرى كثيرة
.. لا يمكن أن تتصورى يا خالتي مدى المتعة التى

وجدناها في هذا العمل .. لقد كان علينا أيضا أن
نرسم صورا للجمجمة والعظمتين المتقاطعتين .. وصورة
لتابوت الميت .. ونكتب الرسائل المجهولة التي كانت
ترسلها عضابة قاطعي الرقاب .. وكان علينا أن نتسلق
عمود النور عند النزول من غرفتنا وعند الصعود اليها
.. وقمنا بحفر نفق بين العشة والكوخ .. وصنعنا حبلا
مجدولا على شكل سلم وهربناه الى جيم بداخل كعكة ..
كما كنا نهرب بعض الملاحق والأشياء الصغيرة الى جيم
عن طريقك .. كنا نضع هذه الأشياء في جيب
مريلتك .. !

فصاحت الخالة وهي لا تصدق نفسها :

— في جيب مريلتى أنا .. !!؟

وواصل توم حكايته :

— لقد ملأنا الكوخ بالفئران والثعابين لتؤنس
جيم في وحدته بداخل سجنه .. ولكنك يا خالتي

احتجرت نوم لفترة طويلة فى تلك الليلة بعد أن
اكتشفت الخبز والزبد الذى كان يخفيه بداخل قبعته ..
وبسبب ذلك أوشكت الخطة على الانهيار تماما بعد كل
هذا العناء والتعب .. فقد وصل المزارعون ومعهم
بنادقهم الى الكسوخ قبل أن نتمكن من القرار ..
فاضطرونا الى عمل كل شئ بسرعة واستعجال ..
وانطلقنا كدمج البرى .. وانطلق المزارعون خلفنا
وأطلقوا علينا النار .. فآخذت نصيبى .. ومع ذلك
ظللنا نراوهم حتى تجاوزونا وأفلتنا منهم .. وحين
أطلقوا علينا الكلاب .. كانت الكلاب كلابنا ، فلم
تمسك بنا .. وعندئذ قفزنا الى القارب وجدفنا نحو
شاطئ الجزيرة حيث أخفينا الطوف .. وانتهت العملية
بسلام وأصبح جيم رجلا حرا .. لقد وضعنا هذه الخطة
ونفذناها بأنفسنا .. لقد كانت مغامرة عظيمة .. بل
هى العظمة نفسها يا خالتى .. !!

وقالت الحالة وهى تنهد فى عمق :

— هل فعلتم كل هذا أيها العفاريت الصغار ..

انى لم أسمع شيئاً مثل هذا طول حياتى منذ أن ولدت
حتى الآن ٠٠ هل أنتم الذين أوقعوا فى قلوبنا الرعب
والفزع حتى أوشكنا أن نموت ٠٠ سوف أعرف كيف
أعاقبكم على ذلك بعد شفائك يا سيد ٠٠ سوف أسلخ
جلودكم وأنتم أحياء ! ٠٠ والآن ٠٠ عليك أن تنسى كل
متاعك فى هذه المغامرة ٠٠ وإياك أن تتدخل فى شئونه
مرة أخرى ٠٠

فقال توم على الفور وهو يشعر بكثير من الدهشة :

— شئون من ٠٠ ؟ !

وقالت الخالة :

— شئون من ؟ ٠٠ شئون هذا العبد الهارب !

فنظر الى توم بحزن وقال :

— توم ٠٠ ألم تخبرنى بأنه على ما يرام ٠٠ ألم

يطلق سراحه بعد ٠٠ ؟ !

ولكن الحالة سارعت بالقول :

— هذا العبد الهارب ٠٠ لقد قبضوا عليه سليما
وفى صحة جيدة ، وحبسوه بنفس الكوخ الذى كان
سجيننا فيه من قبل ٠٠ ولن نقدم اليه سوى الخبز
والماء ٠٠ !

فهب توم من سريره وقد برقت عيناه غضبا وأخذا
يصيح قائلا :

— لا حق لكم فى معاملته بهذه الطريقة ٠٠ اذهبوا
فورا وأطلقوا سراحه ولا تضيعوا دقيقة واحدة ٠٠
اطلقوا سراحه لأنه انسان حر ؟ حر مثل أى مخلوق
يسير على الأرض !

وتساءلت الحالة فى دهشة :

— ماذا تقصد بهذا الكلام ٠٠ ؟

— أقصد كل كلمة قلتها يا خالتي ٠٠ واذا لم
تذهبوا الآن فورا لاطلاق سراحه فسأذهب أنا لأفعل هذا
بنفسى ٠٠ لقد عرفت جيم طوال حياتى ٠٠ وكان يعمل

لدى العجوز مسز وطسون التى شعرت بتأنيب الضمير
بعد أن رحل .. وكانت تؤنب نفسها لأنها فكرت فى
بيعه .. وقد ماتت مسز وطسون منذ شهرين .. ولكنها
أعتقته قبل موتها .. وهو الآن حر مثلنا !

وقالت الخالة :

- ولكن بحق الشيطان .. هل دبرت كل هذه
الخطط وقمت بكل هذه الأعمال لاطلاق سراح رجل
حر .. ؟!

- نعم يا خالتى .. هذا هو السؤال .. لقد كنت
أريد « المغامرة » .. كنت أريد .. كنت أريد .. رباه
.. من أرى .. خالتى بوللى .. ؟!

وفى نفس اللحظة كانت الخالة بوللى واقفة بالفرقة
.. وقد فوجئت الخالة سالى بوجودها فهبت واقفة
واحتضنتها وأخذت تبكى من شدة الفرحه بقاء أختها على
هذا النحو المفاجيء .. وفى لمح البصر ، أخفيت نفسى
واختبأت تحت السرير .. !



وقال توم : اطلقوا سراحه فورا !

لقد أصبح الأمر محرجا بالنسبة لى وبالنسبة
لتوم .. بل وبالنسبة لنا جميعا .. لقد انعقدت الأمور
تماما وكل شيء سينكشف .. ووقفت الخالة بوللى بجوار
سرير توم وقالت :

— طبعا .. تريد أن تدير وجهك على يا توم .. !!

فكانت الخالة سالى بسرعة :

— يا خبر ! .. هل تغير الولد الى هذا الحد ..
هذا ليس توم يا أختى .. هذا سيد .. أما توم ..
توم .. ولد يا توم .. أين ذهب .. لقد كان هنا منذ
دقيقة .. !!

فكانت الخالة بوللى :

— تقصدين هكلبرى فين .. أخرج ياهك من تحت
السرين .. !!

وخرجت .. وشعرت أن الأرض تميد تحت
قدمى .. !!

وأخذت الخالة بوللى تحكى لهم من أنا .. وكانت

اختها الحالة سالى تستمع فى لهفة وهى تكاد لا تصدق
أذنيها ٠٠ أما العم سيلاس فقد أخرسته الدهشة حين
جاء وحكوا له الحكاية ٠٠ وكان على أن أحكى لهم السبب
فى مجيئى الى بيت مستر فلبس ومسر فلبس ٠٠ وهنا
قاطعتنى الحالة قائلة :

— لا تقل مسر فلبس ٠٠ بل قل الحالة سالى كما
كنت تدعونى من قبل ٠٠ لقد اعتدت على ذلك ولا داعى
للتغيير ٠٠

وشرجت لهم أيضا الأسباب التى جعلتنا ندعى أن
توم هو سيد ٠٠ وأن انتحل أنا اسم توم ٠٠

وقالت الحالة بوللى أن جميع ما ذكره توم عن مسر
وطسون صحيح ٠٠ وأنها أعتقت جيم قبل أن تموت ٠٠
وأن جميع المغامرات والأعمال الغريبة التى قام بها توم
كانت لاطلاق سراح رجل مطلق السراح ٠٠ !

وقالت الحالة بوللى أيضا انها عندما استلمت خطاب
اختها سالى الذى تخبرها فيه بوصول توم ومعه سيد
٠٠ أصيبت بالدهشة ٠٠ واضطرت الى السفر لأكثر

من ألف ميل حتى تحضر بنفسها لترى أى حيل أو خدع يرتكبها توم ضد خالته .. خصوصا بعد أن قامت بارسال رسالتين لم تلتق عنهما ردا .. وهنا قالت الحالة سالى :

- انى لم أستلم منك أية رسالة ..

فكانت الحالة بوللى :

- لقد ارسلت اليك رسالتين متعاقبتين ..
لأسالك فيهما ماذا تقصدين بوجود سيد عندك ..

وقالت الحالة سالى مرة أخرى :

- لا .. لم تصلنى منهما رسالة واحدة ..
وهنا التفتت الحالة بوللى الى توم وصاحت فيه :
- أين هاتين الرسالتين يا توم ؟

فقال توم متظاهرا بالدهشة :

- أية رسالتين ؟
- أين الرسالتين .. والا ..

– طيب طيب .. لقد حفظتهما في الصندوق دون
أن أفتح أية واحدة منهما .. لأنى كنت أعرف أن هذه
الرسائل ستجلب المتاعب .. وستوقف المغامرات ..
– انك تستحق العقاب على ذلك .. وعلى أية حال
فقد أرسلت رسالة ثالثة لعله ..

فقاطعتها الحالة سالى قائلة :

– نعم لقد وصلت هذه الرسالة بالأمس .. ولكنى
لم أقرأها بعد ..
وبمجرد أن اختليت بتوم وأصبحنا وحدنا ،
سألته عما كان يدخره من خطط اذا كانت عملية الهروب
قد نجحت وابتحرنا بالطوف فى مجرى النهر .. وقال
توم انه كان قد وضع خطة للتوجه بالطوف حتى مصب
النهر .. على أن نقوم خلال الطريق بعدة مغامرات ..
وعندئذ كان سيخبر جيم بأنه قد أصبح حرا منذ أن
أعتقته مسز وطسون قبل موتها .. ثم نقوم بالعودة الى
بلدنا على باخرة نهريّة .. وعندما نصل الى هناك سنقيم

حفلة يدور فيها رقص الزوج وتعزف فيها الموسيقى
النحاسية .. ونوف جيم بالمشاعل فى البلدة كلها ..
وسيصبح جيم بطلا .. وسنصبح نحن أبطالاً أيضاً ..
وذهبنا جميعاً الى الكوخ وأخرجنا جيم وأفهمناه
بأنه قد أصبح الآن حراً .. وقد شكره الجميع ..
الحالة بوللى .. والحالة سالى .. والعم سيلاس .. على
ما قام به من معاونة الطبيب ورعاية توم أثناء إصابته ..
وقدموا اليه طعاماً طيباً ، وطلبوا منه أن يتصرف
براحته ..

وعندما ذهب جيم ليطمئن على توم .. أعطاه توم
أربعين دولاراً كأجر له على تحميله السجن بالطريقة
وبالخطأ التى كانت موضوعة .. وشعر جيم بغاية
السرور وقمة السعادة !

وأخذ توم يتحدث ويتحدث .. ثم قال فجأة :

فلنخرج معا فى احدى الليالى .. ونصطحب
معنا كل ما نحتاجه .. لنقضى أساييس كاملة فى
المغامرات مع ذوى البشرة الحمراء !

فقلت على الفور :

- أنت تعرف يا توم أن ذلك يرقنى تماما ..
ولكنى لا أملك نقودا كافية لدفع التكاليف .. فمن
المحتمل أن يكون أبى قد استولى على كل أموالى من
القاضى تانشر ..

فقال توم على الفور :

- انه لم يعمل ذلك ولم يحصل على دولار واحد
.. ما زالت هناك ستة آلاف من الدولارات وربما أزيد
من ذلك .. ان أباك لم يظهر فى البلدة بعد رحيلك ..

وهنا قال جيم :

- بل ولن يظهر بعد ذلك أبدا فى أى مكان آخر .

فسألته :

- ماذا تقصد بذلك يا جيم ؟ ..

فاجاب :

- هل تذكر البيت الخشبي الذى كان طافيا فوق

سطح النهر فى تلك الليلة .. هل تذكر الشخص الميت
الذى وجدناه مقتولا هناك فغطيت وجهه بقطعة من
القماش .. ان هذا الشخص كان اباك .. ويمكنك
الآن ان تحصل على نقودك كاملة !

وبعد فترة استعاد نوم كامل قواه واصبح فى
صحة جيدة .. وكان يعلق الرصاصة التى اصابته فى
سلسلة ساعة يلفها حول رقبته .. وكثيرا ما يقوم
بالنظر فى تلك الرصاصة ليعرف الوقت !

والآن ..

لم يعد هناك شىء لأكتيه واضيفه .. ولو كنت
اعلم مدى العناء الذى يعانى به الانسان لكى يكتب كتابا
مثل هذا لما أقدمت على الكتابة منذ البداية ..

ويبدو أننى سأقوم بمغامرة عظيمة مع ذوى البشرة
الحمراء .. وكان من الأفضل أن أذكرها فى هذا
الكتاب ايضا .. ولكن الخالة سالى تبنتنى .. وتولت
رعايتى وتربيتى .. فهل سيتحقق ذلك .. ؟!

فهرس

صفحة

٩	المؤلف :
١٣	الفصل الأول : عصابة توم سوير . . .
٢٩	الفصل الثاني : هك يعيش مع أبيه . .
٤٣	الفصل الثالث : هك يتمكن من الهرب . .
٥٣	الفصل الرابع : فى جزيرة جاكسون . .
٧١	الفصل الخامس : استيقظ يا جيم يبحثون عنا

٨٣	الفصل السادس : كيف ضحكك عليهم يا هك ؟
٩٩	الفصل السابع : الثار
١٢٧	الفصل الثامن : اثنان من الأوغاد
١٤١	الفصل التاسع : الوغدان على المسرح
١٦١	الفصل العاشر : أنت محتال
١٨١	الفصل الحادى عشر : الحقيبة المملوءة بالذهب
١٩١	الفصل الثانى عشر : المشكلة الكبرى
٢٠٩	الفصل الثالث عشر : أين جيم
٢١٩	الفصل الرابع عشر : وصول توم وأخيه سيد
٢٣٥	الفصل الخامس عشر : خطة لحفر نفق
٢٤٧	الفصل السادس عشر : فن اختراع المصاعب

٢٦٣ الفصل السابع عشر : الحفر

٢٧٧ الفصل الثامن عشر : تسع ملاعق أم عشرة
والكعكة ذات الحبل المجدول

٢٩١ الفصل التاسع عشر : القيام ببعض الأعمال
القطيعة

٣٠٥ الفصل العشرون : الفئران والثعابين
والرسائل المجهولة

٣٢١ الفصل الحادى والعشرون : جيم .. هانتذا
من جديد

٣٣٥ الفصل الثانى والعشرون : ماذا جرى لهذا
الولد ؟

٣٤٣ الفصل الثالث والعشرون : اعادة نوم وجيم
الى البيت

٣٦٣

٣٦٧

مطابع الهيئة للفترة السنوية للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٩٧/٧٩٠٢

I. S. B. N 977 - 01 - 5284 - 6

مكتبة الأسرة



بسرور مزايا خمسون قرناً
بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

■ مارك توين

ولد «مارك توين» في ولاية
ميسوري بالولايات المتحدة الأمريكية
عام ١٨٣٥، وعاش حياة بائسة في
فترة الطفولة، فلم ينل إلا حظاً
متواضعاً من التعليم.

اشتغل في صباه عاملاً في
مطبعة، ثم اشتغل ملاحاً على البواخر
النهرية العاملة في نهر المسيسيبي،
ثم ترك كل هذه الأعمال وانصرف
للكتابة الأدبية.

ويعتبر «
الأدب الساخر».

Bibliotheca Alexandrina



0634883

